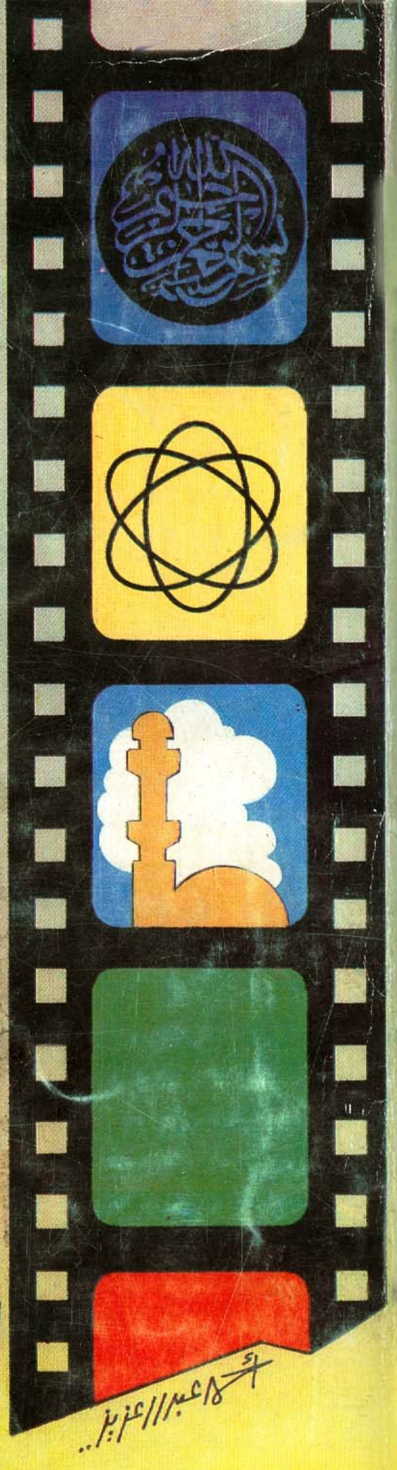
موسوعة العلوم الإسلامية





معالم تاريخ الإسلام المعاصر

ور الجندي

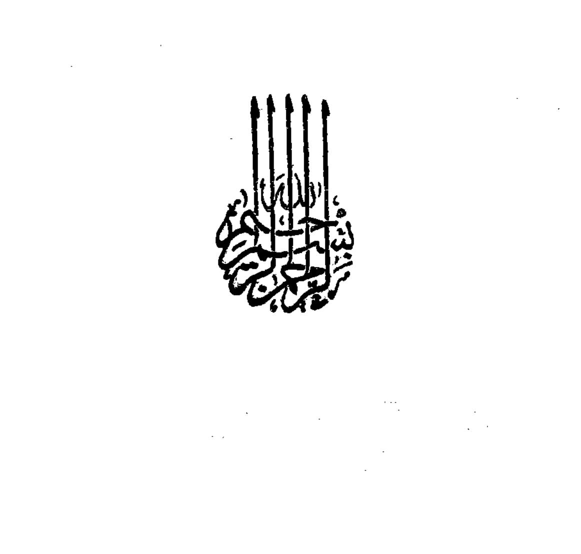
دار الاعتصام

موسوعة العلوم الإسلامية



أنور الجندي

دار الاعتصام



فهرس الكتاب

الموضـــوع — الصفحة

(رابعا)

التغريب

(خامسا)

قضايا الفكر والثقافة

(سادسا)

الغرب والاسلام

(سابعا)

المؤامرة على الاسلام

(ثامنــا)

المؤامرة الصـــهيونية

(تاسعا)

المسلمون والاستعمار الغربى

(عاشرا)

الاســـلام فى الغرب

الموضـــوع | الصفحة

(حادى عشر)

من عطاء الاسلام

(ثانى عشر)

الوحدة الاسلامية

(ثالث عشر)

مصر والنفوذ الغربى

الموضـــوع الصفحة

(رابع عشر)

الدولة العثمانية

(خامس عشر)

متفرقات

بسم الله الرحمن الرحيم

ضـــوء على البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته ومن دعا بدعوته الى يوم الدين .

ان تاريخ الاسلام المعاصر وقد حفل بتلك الاحداث الخطيرة التى جرت على ساحة القارة الاسلامية منذ بدات الحملة الاستعمارية على الهند واندونيسيا ثم على الجزائر والبلاد العربية فى محاولة وصفت بانها ترمى الى تطويق عالم الاسلام ، هذه المؤامرة الخطيرة التى كانت بمثابة عودة الحرب الصليبية مرة اخـــرى الى بلاد المسلمين بعد أن هزمت آخر قوافلها بعد أربعمائة عام ، هذه المؤامرة التى كتبت عنها مئات الابحاث وصـــدرت عنها عشرات المراجع ، ما زالت فى حاجة الى تأصيل وذلك بتقديم مجموعة من الوثائق التى صدرت فى السنوات الأخيرة وكانت محجوبة حتى لا يهتدى المســلمون الى حقـــائق الامور والى المصـــادر الحقيقية للخطط التى رتبتها القوى الغازية التى تجمـــدت تحت لواء النفوذ الغربى والصهيونية والشيوعية بهدف احتواء عالم الاسلام والتى صدرت فى الاساس عن مخطط دقيق موضوع بدقة واحكام استهدف اعلان «حرب» الكلمة على العالم الاسلامى بعد أن فشلت الحرب العسكرية فى الحروب الصليبية فكانت تلك الخطط التى استهدفت ضرب مفهوم الاسلام نفسه واحتوائه وصهره فى بوتقة الفكر الغربى وتأويله واخراجه عن مفهومه الأصيل الجامع ، فى سبيل تحقيق غاية مستورة بعيدة المدى هى القضـــاء على الذاتية الاسلامية وعلى التميز الواضح الذى اعطاه الاســلام لهذه الأمة لتكون أمة مفردة بأهدافها وغاياتها ، تحمل راية التوحيد الخالص الى آخر الزمان وتقدمـــه الى العالمين وبها يظهر الله الاسلام على الدين كله ، ومن هنا كانت الحرب عليها من القوى التبشيرية والاستشراق والشعوبية ، ومن قوى الأيدلوجيات الغربية الراسمالية والماركسية ومن قوى المطامع الوافـــدة كالصهيونية والهندوكية وعشرات النحل والملل . لقـــد كتب تاريخ الاسلام المعاصر من وجهة نظر اقليمية وقومية وماركسية وحاولت قوى متعددة اخضاعه للتفســير المادى للتاريخ وكلها محاولات باءت بالفشل ولاريب أن وضع هذه الوثائق بين يدى الباحث المسلم من شانها ان تلقى امامه أضواءا ساطعة على الأحـــداث وان تكشف له كثيرا من الزيف والخداع ومحاولات التآمر على الأمة الاسلامية وفى يقينى ان هذه الوثائق سوف تعين على حسن الوجهة وصدق الهدف فى التعرف على حقائق الأمور والله نسأل ان ينفع بهذا العمل الباحثين فى مجال تاريخ الاســلام المعاصر والدارسين وأصحاب الوجهة الخالصة لله تبارك وتعالى والله من وراء القصد .

أنور الجندى

* * *

عالمية الإسلام

* عالمية الاسلام .

* الجامعة الاسلامية .

* انتشار الاسلام .

* القوة العسكرية الاسلامية .

(١)

عالمية الاسـلام

قسم مكدوجل الشرائع الى عالمية وقوميـــة : فالعالمية هى الاسلام والمسيحية والبوذية .

والقوميـــة هى اليهـودية والابراهيمية والبابنينية والصينية فانها تحدد مراميها فى جماعة أو قبيلة أو أمة أو دولة بعينها لأن تعاليمها لا يمكن أن تناسب جميـــع البشر .

أما الشريعة العالمية فهى التى تعمـل للسيطرة على العالم .

والشريعة المسيحية روحية بحتة لم تتدخـل فى الشئون السياسية بل تركت ما لقيصر لقيصر وبذلك طغت تعاليمها على النظام القومى فجردته من العنصر السياسى ، لأنها تعمــل على غزو العقائد والأوضاع القومية بغير تمييز ولا تفرقة بين جنس وجنس ، وهدفها انحلال القومية وجعل العــالم كله خاضعا للسيطرة الروحية .

* * *

يقول مكدوجل : أما تاريخ الاسلام فانه يضرب لنا أقوى الأمثال على اتجاهات الشرائع العالمية وقوتها . فان النبى محمد استطاع أن يغرس نظامه الخلقى ومبادئه العالمية فى شعب على حالة الفطرة والبداءة ، وسرى نظام الاسلام سريان الماء فى العود اليابس فأعاد اليه الحياة واكتسح تياره كل العقبات وتكشف عن قوة فائقة فى النموذجية والمثـل . وخضعت له شـــعوب متباينة الأجناس والأشكال متغايرة الالوان من بيض وسـود وصفر وكان خضوع هذه الشـعوب عن رضى وايمان وتبخرت بفضله شرائع متنافرة المبادىء مختلفة العقائد ذلك لأن نظام الأسلام سوى بين الناس وجعلهم صفا واحدا ومحا ما بينهم من فوارق الجنس واللون والطبقة وحطم الحواجز التى كانت بين أبناء الشعوب وسوى بين الرجل والمرأة .

(لا فضل لابن البيضاء على ابن الســــوداء الا بالتقوى والعمل الصالح) .

ويرجع هذا الانتشار بين المسلمين مساواة مطلقة فى الدين والدنيا .

(١) المساواة بين المسلمين مساواة مطلقة فى الدين والدنيا .

(٢) بساطة تعاليمه وقربها من الفطرة .

(٣) النموذجية فى كثير من عناصر الجيش والثقافة وتلاقح الأمزاجة من صنوف البشر .

وسرعان ما اخذت تهوى هذه المدنية الشامخـة لتفكك الشرائع القومية التى غزاها الاسلام ودخلت فى حوزته .

* * *

ولا مراء ان الاسلام ينتشر فى الأمم التى تعيش على الفطرة والبداوة وانه كلما التقى بالمســيحية فى ميدان التنافس الحر صرعها وتغلب عليها .

وكثيرا ما سمعنا من البعض ان المبادىء الخلقية الاسلامية مخالفة بطبيعتها التقدم فى شئون الحياة وهذا افتراء لا يقول به منصف وتدحضه وثبة الاسلام القوية فى أول عهده وما تخللها من التماسك الروحى والحماس القومى وما يظهر من دلائل الايمان والقوة والمرونة .

حين كان المسلمون ٢٥٠ مليونا كانت المســيحية ٦٠٠ مليونا والبوذية ٥٠٠ مليون . ظهرت الشــيوعية كدين ١٩١٧ ونجحت على حساب المسيحية .

الاسلام يغطى مساحة من الأرض تعادل نصفها ولكن العدد ثلث سكان العالم (الف مليون) .

البوذية مشطوب عليها ، والمجوسية محاها عمر رضى الله عنه أما البرهمية فقد انتهت كدين وان بقيت كتراث .

يقول جى دروشير فى كتابه تشريح جثة الاستعمار ان اى دراسة لتاريخ الاستعمار ولو سطحية تضطرنا الى التسليم بأن أوربا على طــــول القرن هى القارة الوحيدة التى أفرزت هذا الشكل من أشكال التوسع .

* * *

لتنقضن عرا الاسلام عروة عروة ، فاولها نقضـــا الحكم وآخرها الصلاة .

حديث شريف

* * *

(٢)

الجامعة الاســـلامية

يقول هـ . ج . ولز فى حديث مع أمين الريحانى : ان القرآن هو عروة الاسلام الوثقى . أو على الاقل وسيلة يحسن استخدامها فى تحقيق الوحدة الاسلامية ، وأن وحدة أى أمة من الأمم مقيدة لها ولغيرها ، فالوحـــدة تعيد اليها كرامتها وتوجب عليها القيام بعهودها ، اما الاسلام اليوم فمشتت الشمل مبدد القوى ولو لم يكن لدى المسلمين واسطة الى الاتحاد لوجب عليهم اختراعها ولكن كتابهم خير واسطة . واذا كانت انجلترا فى خطر من الاحتلال الأجنبى العربى فرضا وكان ابناؤها مشتتى الشمل مبددين فى أربع زوايا الأرض دون رابطة تربطهم بعضهم ببعض ، فلا أتردد فى دعوتهم الى الانجيل بل اتخذ الكتاب المقدس شارة جنسية وعلما وطنيا وعروة شاملة فى الوحدة القومية « الهلال » ١٩٢٢ .

ومع وضوح هذا المعنى فى ذهن الأوربيين فقـــد قامت قيامة الاستعمار على الدعوة الى الوحدة وتأجيج المخاوف حول الجامعة الاسلامية .

يقول مصطفى كامل : ان المسلمين يريدون الأخوة الاسلامية ولكن الأوربيون خلقوا للجامعـــة الاسلامية معنى سياسيا يبعث الرعب فى النفوس ويحل اليأس محل الأمل فى بقاء الأوربيين مستبدين بالأمم الاسلامية واقل مظهر من مظاهر الحياة الاسلامية يشكل خطرا على حدود أملاك الدول الاستعمارية ويزعجها جميعا وكل علامة من علامات التقدم توحى الى خطر يهدد تلك الدول بينما النهضة الاسلامية خالية من كل روح عدوانية وانما هى نتيجة لاستيقاظ تلك الأمم من السبات العميق الذى أصابها ورغبها فى التخلص من النفوذ الأوربى الذى يعمل على تأخر المسلمين أكثر مما يعمل على تقدمهم ، وقد بالغوا فى القول بأن الجامعة الاسلامية اذا تركت وشأنها تؤول بلا شك الى ضياع المدنية الحديثة التى هى ثمرة أعمال البشر فى القرون كلها .

وقد استمعت أوربا الى أقوال المستشرقين فيما سموه بالجامعة الاسلامية وهى آراء يكتنف الخطأ معظمها وان النهضة الاسلامية ليست الا يقظة المسلمين فى سائر الأقطار لمقاومة الظلم الواقع عليهم (العبارة منقولة من كتابات عبد اللطيف حمزة) . وقال مصطفى كامل :

« ان الجامعة الاسلامية ليست فى الواقع الاشعورا عاما لدى المسلمين بالظلم وشكايات متكررة من وقع هذا الظلم » .

وفى ظل هـــذا الخوف ظهرت كتابات تدعو الى مشروع للخلافة العربية يحل محل الخلافة الاسلامية .

فقد كتب بلانت فى كتابه مستقبل الاسلام ، يقول :

ان العالم الاسلامى قوة كبيرة وأن المدبر لأموره سيكون قويا واسع السلطان وأن نابليون كان من اغلى أحلامه تحقيق تلك الأمنية وان مركز الخلافة الاسلامية يجب ان يكون المدينة او مكة ، وأن خليفة المسلمين يجب أن يكون رئيسا دينيا لا ملكا دنيويا .

(راجع المسألة الشرقية لمصطفى كامل ص ٢٨)

وفى مواجهة هذا الخوف هاجم كرومر الاسلام نفسه ووصفه بأنه دين صحراوى ، وقد رد عليه الكثيرون منهم مصطفى كامل وفريد وجدى وغيرهم .

قال مصطفى كامل : كان من المنتظر من اللورد كرومر وهو الحاكم المطلق على أمة غير امته لها آداب غير آدابه وعادات غير عاداته أن يتقرب ما استطاع من نفس الأمة التى يحكمها ليقف على شىء من أفـــكارها وليجذب اليه ثقتها واخلاصها الى انه كان من المنتظر منه أن يخفف من مرارة الحكم المطلق فى النفوس باتباعه سبيل المستبدين الشرقيين فى احترام آداب الأمم التى يحكمونها والوقوف بأنفسهم على عاداتها وتقاليدها ،

ولكن قصر اللورد ولم يفعل ما فعله بونابرت من قبله ، يعيب اللورد دين الاسلام بأنه مجموع مبادىء صدرت منذ أكثر من الف عام لادارة شئون جمعيـــة فى حالة البداوة ولا يمكن ان توجد فى الدنيا اساءة فى اختيـــار الفاظ لمعان مثل اساءة اللورد فى اختيار لفظه «صورت» لمبادىء دين يعتنقه الملايين من الناس .

« واذا كان يعد من عيوب الديانات تقادم العهد عليها وعدم تغيير مبادئها فلعل اللورد لا يجهـــل أن المسيحية اقدم عهدا من الإسلام بخمسة او ستة قرون ومع ذلك لم يخطر ببال احد من اعدائها ان يعيبها بقدم عهدها وعدم تغير مبادئها فأولى به ان يعيب دين امته لأنه دين المسيحية الأولى ولأنه اقدم من الاسلام عهدا » .

يقول عبد اللطيف حمزة : ولقد نشر الإنجليز الشك

والريبة فى نوايا المسلمين والخوف من انتعاشهم وتكتلهم ويريدون فى كل نهضـــة نذيرا لهم بسوء مصـــيرهم فى الشرق الاسلامى وكان من نتيجة ذلك أن حفلت الصحافة الاوربية منذ ذلك الحين بكثير من الكتابة فى موضوع الاسلام والمسلمين تحت عنوان الجامعة الاسلامية .

وقد تصدى للرد فى صحيفة اللواء (مصطفى كامل) وفى صحيفة المؤيد (على يوسف) .

وكانت آراء على يوسف تقوم بصفة خاصة على الوحدة العربية وكان رأيه أن فترة الحروب الصليبية قد انتهت الى الأبد . وكان مصطفى كامل أشد من على يوسف محافظة على الطابع الدينى الذى ظهر بوضوح فى نتاجه الصحفى بجريدة اللواء ولتندار اجيسيان وأن فكرة التكتل الإسلامى على النحو الذى تخشـــاه أوربا ويبالغ فى تصوير اللورد كرومر كانت تداعب خياله .

(٣)

انتشار الاسلام

لم يتوقف الاسلام عن الانتشار منذ بزوغ فجره حتى فى أشد أيام الصراع بينه وبين الاستعمار وقد بلغ الذين اعتنقوه من العرب (١٠٠ مليون) . من بين ألف مليون مسلم وقد انتشر بقوته الذاتية وبفضل مبادئه التى تحمل التوحيد والحرية والعدل والرحمة والاخاء الانسانى الى العالمين وقد وجد فيه الملونون والمستعبدون ضالتهم .

كذلك ان الأمر فى انتشار الاسلام كان ذاتيا ولم يكن مفروضا من أى جهة من الجهات فان الفتح الاسلامى لم يفرض الاسلام على أهل الأقطار ، ولكنه أتاح لهم النظام السياسى العادل الذى دفع اهالى الأقطار انفسهم الى دخول الاسلام ثم أن الذين دخلوا فى هذا النطاق هم بالنسبة الى الذين وصلتهم الدعوة السلمية بمثابة واحد الى عشرة ممن اعتنقوا الاسلام والعالم الاسلامى قطعة من الأرض متصلة ، عالم متكامل بأرضه ومخططاته وناسه ومقوماته ومضائقه ومنافذه اطلق عليه نابليون اسم القارة الوسطى ، البحر الابيض المتوسط فى شاطئيه الشرقى والجنوبى وجزء كبير من شاطئه الشمالى ، البحر الأحمر ، المحيط الهندى ، قسم من المحيط الهادى ألف مليون مسلم فى أكثر من احدى وثلاثين كيانا هى فروع لدولة واحدة وخريطة العالم مليئة بالقوميات المتعددة ، والفرق الدينية ، والمذاهب السياسية ولكنها تجتمع حول ثلاث : لا اله الا الله ، القرآن ، الايمان برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

يمثل المسلمون ربع سكان العالم، التوسع الديناميكى مطرد وبعيد المدى ، فالاسلام اكبر الأديان نموا عدديا ، وهو كل يوم يكسب أرضا جديدة وقوى مضاعفة بالدعوة والتحول على امتداد جبهة عريضة فى افريقيا وآسيا المدارية بالاضافة الى العالم الجديد شماله وجنوبه .

وطن الاسلام العالم الاسلامى فالمسلمون أمة أولا (وليس دولة) ، أمة أساسها ليس العنصر أو الجنس أو القومية أو الوطن وانما العقيدة ورابطتها ليست رابطة دينية وانما هى رابطة فكرية فالاسلامية ليست ضد الوطنية أو القومية ، والعالم الاسلامى متكامل من الناحية الاقتصادية والجغرافية وأدوات الوحدة الحقيقية والأساسية : هى وحدة الفكر ، اداء رسالة ، مقاومة عدوان ، حماية مجتمع .

والدولة الاسلامية ليست دولة دينية لأن الاسلام ليس دينا فحسب بل منهج حياة ونظام مجتمع ، ولا يجعل هذا التشكل سبيلا لدعاة التغريب فى الادعاء بأن النهج الاسلامى يفتح باب الحروب المقدسة والصراعات الدينية ذلك لأن الايدلوجية الاسلامية ليست أيدلوجية دينية (بمفهوم الدين عند الغرب اللاهوتى) بل هى فكرية واجتماعية جامعة وحضارية أساسا وهى تختلف اختلافا مع الديمقراطية والقومية والاشتراكية وان كانت بعض عناصر هذه الايدلوجيات موجودة فى المنظومة الاسلامية ودعوة الاسلام الى قيام دولة لا يتعارض مع عالمية الاسلام فالدولة هى التى تحمل لواء الدعوة .

* * *

اذا كان الاستعمار قد استطاع بالحرب الأولى : القضاء على الخلافة الاسلامية وتمزيق وحدة العالم الاسلامى فانه استطاع بالحرب العالمية الثانية اقامة اسرائيل والقضاء على وحدة العالم العربى فقد أزاح النفوذ الاستعمارى قادة المنطقة العربية الاسلامية وقدم رجاله ففى مصر ازاح الحزب الوطنى محمد فريد وعبد العزيز جاويش ووضع لطفى السيد وسعد زغلول وفى الشام أزاح شكيب أرسلان ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب ودعاة العروبة المرتبطة

بالاسلام ووضعوا قادة البعث ورجال الجامعة الامريكية (أنطون سعادة وميشيل عفلق وقسطنطين رزيق) .

* * *

اليونسكو : فرع من فروع هيئة الأمم المتحـــدة المسيطرون عليه يهود وهو يخدم أغراض الصهيونية متذرعة باسم العلم والفن والثقافة وبحسن الظن بهابعض المسلمين وتباهى بعض الدول الاســـلامية بأن لديها مكاتب تابعة للامم المتحدة .

والامم المتحدة ٨٠ فى المائة من موظفيها يهود .

وبها أربعة آلاف موظف يهودى بين ٥٠٠٠ موظف.

السكرتارية العامة للامم المتحدة ٩٠ فى المائة من موظفيها يهود أما منظمة العلوم والفنون والثقافـــــة (اليونسكو) فهى يهودية روحا ودما .

وقد وجهت الى اليونسكو شبهات كثيرة من حيث يهدف القائمون عليها صهر الثقافات ذات الطابع المستقل وفى مقدمتها الثقافة الاسلامية بهدف القضاء على تميزها الخاص ، وقد كتب كثيرون يكشفون عن هذا الخطر ايمانا بان اليونسكو لا يصلح الا للثقافات الغربية ولما كان العلم عالميـــا فان الثقافة ستظل خاصـــة بكل أمة وقوامهـــا ومادتها عقائد الأمم وفكرها وتقاليدها الخاصة واذا كان دافع اليونسكو الحد من استعلاء بعض القوميات فان ثقافة العرب والاسلام انسانية فى أساسها وأهدافها .

* * *

(٤)

القوة العسكرية الاسلامية

ان هنـــاك محاولة مبيتة دون امتلاك العـرب والمسلمين للقوة العسكرية التى تمكنهم من تحقيق ارادتهم وتكوين حضارتهم الجديدة ومهما اتيحت الفرص للحصول على التكنولوجيا فان ذلك محدود بأمر قاطع هو عـدم امتلاك العرب للسلاح المتطور او السلاح الهجومى وهناك شبه اتفاق بين الدول الكبرى على ابقاء الكيان الاسلامى ضعيفا هشا وهذا ما فعلوه مـع الدولة العثمانية حين اتفقت بريطانيا وروسيا على خطة واحدة فى استغلال الفريسة وكان ان قضوا على سليم الثالث الذى بدأ فى تطوير الجيش وأوقفت الاصلاحات الخاصـة بانشاء جيش جديد بدلا من الانكشارية لمدة ربع قرن من الزمن ، ولقد استطاع الاستعمار ان يملك اوربا السفن الضخمة التى تحتمل السفر الى البحار العالية بينما اعجز تركيا العثمانية عن امتلاك تلك السفن ، وان سبقت تركيا فى ميدان المدفعية والجيش والتدريب والأسلحة المتطورة ، وما يسمح به للدول غير الاسلامية كاليابان لا يسمح به للدول الاسلامية .

ومن مراجعة للقوة الدفاعية للعالم الاسلامى وجد الخبراء ان امكانيات الدول الاسلامية البالغ عددها ٤١ دولة تبلغ ٣٤٨٤٩ مليون دولار (٧٩٠٠ مليون دولار ايران ـ ٧٥٧٠ مليون دولار السعودية وبلغت الجيوش النظامية لهذه الدول (٣٫٣٥٢٫٠٠٠) وتبلغ قوات حلف الاطلنطى باستثناء الولايات المتحدة اقل من ٣ ملايين : القوات البرية ٤٦٥ الف تركيا ـ ٤٤٨ الف باكستان ، تمتلك الدول الاسلامية ١٦ الف و ٨٠٠ دبابة ، القوات الجوية تملك الدول الاسـلامية ٣ آلاف و ٤٤٩ طائرة مقاتلة) .

والمعروف أن النفوذ الأجنبى يعمل على صياغة الجيوش الاسلامية على النظام الغربى والحيلولة دون تشكلها وفق مفهوم الجهاد الاسلامى فتظل خاضعة لمفهوم القوة العددية والمادية ، دون أن تتنبه الى مفهوم القوة المعنوية .

ولقد كانت صيحة الله اكبر من القوى التى تنبهت لها معاهد الاستراتيجية نظرا للنتائج التى حققتها فى حرب العاشر من رمضان ، فقد اعترفت القوى الاجنبية بأن (الله اكبر) سلاح كونى خطير ولقد واجهت قوتى الاستعمار والنفوذ الاجنبى مفهوم الاسلام فى الحرب عدة مواقف : فى حرب فلسطين على أيدى الاخوال المسلمين فى حرب الجزائر ، فى معركة العاشر من رمضان .

ولقد كان ذلك اللون من الحرب الاسلامية خطيرا ومزعجا للنفوذ الغربى الذى عمل فى سرعة على تصفيته والحيلولة دون امتداده .

* * *

الأزهـــــــر

* المؤامرة على الازهر .
* أوقاف المســـلمين .
* واعظ تركى فى جامع المؤيد .



(٥)

المؤامرة على الأزهر

كان اضعاف الأزهر ومحاصرته وعزله عن الحياة وسد أبواب الرزق أمام المتخرجين فيه وحصرها فى باب واحد هو خدمة المساجد من أكبر أهداف النفوذ الأجنبى ومن ذلك انشاء الجامعة الأمريكية ثم انشاء الجامعة المصرية بعد انشاء وزارة المعارف التى قصدت الى تخريج متعلمين من نوع منعزل عن المفهوم الاسلامى الجامع فكان بناء المدرسة الوطنية على أساس العلمانية ومن مخططات المؤامرة على الازهر محاولة طه حسين انشاء معهد للدراسات الاسلامية يلحق بكلية الآداب هدفه العناية بالدراسة الاسلامية على طريقة المستشرقين . ومن دراساته سيكولوجية الدين والتاريخ الدينى للبشرية قبل الاسلام والهدف هو استبعاد الازهر عن القيام بمهمة تعليم الدين لأن مناهجه لا تحقق للدارسين فيه : عمق الثقافة وحرية الفكر وهذا الأمر بحث فى مؤتمر برستون الذى جمع طائفة من الشعوبية وكشف عنه الدكتور محمد محمد حسين .

وتعنى سيكلوجية الدين ما أشار اليه القسيس الامريكى ميلر بروز فى دعواه الهدامة التى طالب فيها بوضع تجربة الدين وتجربة النبوة والمعجزات والصلاة والحياة الأخرى موضع البحث واخضاعها لقواعد علم النفس الحديث .

ولقد جرت محاولات كثيرة لاحلال الجامعة المصرية محل الأزهر دون جدوى ذلك لأن الجامعة والثقافة الجديدة لا تقوم الا على أساس انكار الدين أو على تجريدها من الدين أو الى عدم الحاجة اليه فالتقابل بين الازهر والجامعات تقابل بين الشىء وضده . والجامعة المصرية وجامعات الغرب لا تستطيع ان تحل محل الازهر ولا ترث نفوذه بين الامم الاسلامية .

وبالرغم من كل محاولات التآمر فان الجامعة المصرية لم تستطع ان تحل من ناحية النفوذ خارج الحدود أو داخلها محل الجامع الأزهر ونفوذه وقد بدأت الحملة عى الازهر منذ وقت بعيد .

بدأتها الحملة الفرنسية ثم تولاها محمد على بعد ان خالفه العلماء واتهموه بالاستبداد ثم « قنن » الاستعمار البريطانى المخطط الذى رسم من اجل « تفريغه » من هدفه الأصيل وكانت عبارة كرومر :

« لو امكن تطوير الازهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكانت هذه خطوة جليلة الخطر ولكن اذا بدا ان مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه يصبح الأمل محصورا فى اصلاح التعليم اللادينى الذى ينافس الأزهر » .

* * *



وقد جرت فعلا الخطة على تجميد الأزهر وانماء التعليم العلمانى اللادينى .. ويقول الاستاذ نبيه عبد ربه تحت عنوان الغارة على الازهر لماذا :

« نجح أعداء الاسلام فى اسقاط القيادة السياسية للمسلمين حين اعلن مصطفى أتاتورك اليهودى الماسونى الغاء الخلافة الاسلامية فى تركيا . ثم هذا بعد زعزعة العقيدة الاسلامية وزلزلة وحدة المسلمين وتصديع جبهتهم الداخلية باثارة النعرات القومية والاشتراكية ، وبعد أن ذابت القوميات فى الوحدة الاسلامية جرى العمل على منع قيام أى دولة اسلامية ، أو أى وحدة اسلامية ، والقضاء على كل حركة اجتماعية تعمل على بعث العقيدة الاسلامية فى قلوب المسلمين واقامة كيان سياسى لم يحكم بشريعة الاسلام وكان لا بد لايقاف هذا من التآمر على الازهر فقد قاد الازهر معظم الثورات الشعبية ضد المستعمرين والغزاة وقاد ثورة ١٧٩٤ للمطالبة بعدل الأمراء وقاد ثورة ضد نابليون حتى اضطره الى مهاجمة الازهر (٣١ أكتوبر ١٧٩٨) فاحتله واتلف المصاحف وأعدم ثمانين عالما من علمائه وقاد ثورة القاهرة الكبرى عام ١٨٠٠ (فى عهد كليبر) بقيادة عمر مكرم استمرت اكثر من شهر وساند الازهر محمد على ضد البرديسى رئيس المماليك واسند اليه الولاية عام ١٨٠٥ .

ثم تبين لمحمد على أن الرأى هو القضاء على المصدر الذى تخرج منه القيادات وان ذلك كفيل بأن يجفف منابعها ويقضى عليها وقد ركزت حملة الأعداء على الازهر منذ ذلك الوقت .

وبالرغم من ان القيادة الشعبية فى مصر والتى كانت ممثلة فى علماء الازهر بقيادة عمر مكرم هى التى ساندت محمد على ضد المماليك وبالتالى بايعته على الولاية على مصر الا انه بمرور الزمن تنكر لهذا الجميل ، ورأى فى الازهر قوة تعترض سبيله ولذلك عمل للقضاء على هذه القوة بالقبض على عمر مكرم ونفيه الى دمياط وتمزيق وحدة الصف واصطفاء العلماء الطامعين كما حطم منابع الازهر بانشاء المدارس الحديثة فى مصر واعداد جيل من غير الازهريين أخذ يرسلهم الى أوربا مع اهمال الازهر وبدأ ماسمى نظارة المعارف . وكل الذين ذهبوا الى أوربا رجعوا سفراء للغرب حتى من كان من الازهر أمثال رفاعة .

وجاءت المرحلة الثانية فى تدمير الازهر فى عهد الاحتلال البريطانى ، استمرارا للمرحلة الاولى من التوسع ، وقد رفع الانجليز من شأن المدارس والجامعات العلمانية وحجبوا رجال الازهر وجعلوا المناصب الكبرى فى رجال وزارة المعارف وقصروا الازهر على الوعاظ وائمة المساجد فى مرتبات قليلة .

وفى سنة ١٩١٥ كتب المستشار المالى الانجليزى لشيخ الازهر يقول ان ايرادات الاوقاف على الازهر ضئيلة ولا تكفى نفقة علمائه وكانت تبلغ فى ذلك الوقت ثلاثة آلاف جنيه فاضاف اليها خمسة آلاف أخرى ليصبح المبلغ ثمانية آلاف وأرسل به لشيخ الازهر الذى سر ومن حوله بهذا الاجراء ووعدهم المستشار الانجليزى بالمزيد بشرط أن يتنازل شيخ الازهر عن نظارته للاوقاف حتى يتسنى للحكومة أن تتولى أمرها عن طريق مصلحة انشئت وقتئذ وهى مصلحة الاوقاف التى عدلت الى وزارة الاوقاف واصبحت النظارة فى يد الحكومة لتضع يدها كما تشاء على تمويل الدعوة الاسلامية وعلماء الازهر وتدخلت السياسة المصرية فى اختيار الموظفين فى الازهر وفى كل عام كانت تزداد سيطرة الحكومة على الازهر وعلمائه .

وجاءت المرحلة الثالثة فى عصر الشعوبية والتغريب وحجبوا الشريعة الاسلامية ، ثم علت كلمة الماركسة وسيطرت وتصدر الشيوعيون المراكز الحساسة وشنوا حملة شعواء على الاسلام والأزهر واللغة العربية وحققوا مشروع طه حسين فى هدم الازهر ، وجاء الرقص باسم الرياضة والعرى باسم الحرية وشق عصا الطاعة باسم المساواة وضرب الازهر ضربة قاصمة بدعوى تحويله الى جامعة علمية .

وقد كانت عملية تطوير الأزهر تهدف الى تحويل

الازهر بالتدريج الى جامعة علمانية تهتم بشكل رئيسى بالعلوم الدنيوية .

وقد خضع الازهر للمخطط الشيوعى فى العالم الاسلامى والذى يهدف الى القضاء على الاسلام واحلال الماركسية مكانه .

وقد نظر الشيوعيون للدين على أنه العدو الاول للاشتراكية العلمية ورأت الشيوعية فى العقيدة الدينية خطرا على مخططاتها لأن فى هذه العقيدة من القوة المعنوية ما يعطل المخططات الشيوعية .

ومن وصاياهم : « يجب أن يلاحظ الاشتراكيون بأن للاديان شعارات قوية : شعارات السلام والاخوة والمحبة وللجماعات الدينية قوة تعادل قوتنا على الاقل فى العمل والدعوة اذا اتيح لها مجال العمل وللدين مقدرة عجيبة على التطور والصمود » .

والشيوعيون فى البلاد الاسلامية لا يكشفون هذا العداء حتى لا ينفر المسلمون منهم ولكنهم يعملون للقضاء على الدين بطرق غير مباشرة الهدف منها زعزعة العقيدة فى نفوس المسلمين كخطوة أولى نحو ابعادهم عن دينهم كلية ويرون أنه اذا اتيحت الظروف « تعايشا سلميا » مع العقيدة الدينية أو اظهار الاهتمام بها فى بعض الحالات كما هو الحال فى المناطق الاسلامية فان هذا الاهتمام من قبيل التدبير المؤقت فقط .

ولكن من الضرورى أن يأتى وقت يصدر فيه القرار الجازم بالحسم مع الميراث الجازم واصحابه .

ومن الوسائل الشيوعية لمحاربة الاسلام والتى استعملت فى الازهر ما يسمى فى المخطط الشيوعى : (تنقيح الدين) قولهم : « لقد أوصانا لينين منذ البدء بأن أعادة التنظيم الفكرى للعقيدة الدينية وميراثها ومفاهيمها انما هوبمثابة تنقيحللدين وتحدياته للاشتراكية العلمية فلا تقنع بالقول بأن الاسلام دين الاشتراكية اذ لم يصاحبها تحطيم للمنظمات الدينية وصهرها فى بوتقة التحويل فالتنقيح للاديان كما اوصى به لينين يجب أن يصاحبه الهدم لكل قاعدة يمكن أن يتخذها الدين سبيلا الى البحث والتضامن والتماسك .

ومكافحة الدين وروابطه لا تكون بنسف الدين ومعابده كليا من حياة الناس وانما للترويج لشعار الثورة والتركيز على خلق وعى مادى فى نفوس الجماهير لينفروا من الدعوة الروحية التى فى جعبة الاديان .

وليس المهم ازالة طقوس العبادة وهدم الكنائس والمساجد وانما المهم هو تغيير الوعى الروحى وخلق وعى مادى فى الفرد ووعد الجماهير برفع الانتاج والمنجزات الصناعية والزراعية والقوة العلمية والعسكرية .

ويجب أن نجند بعض رجال الدين وبعض النصوص الدينية اذا أمكن للدعوة الاشتراكية ولذا فلا بد أن تخضع المعاقل الدينية فى الجامعات والمساجد والكنائس والمؤسسات لسيادة الحزب الاشتراكى .

وتدل الدلائل على أن هذا المخطط قد طبق بحذافيره فقد عقد المسئولون فى الحزب عدة اجتماعات مع مشايخ الأروقةفى الازهر كما عقدوا اجتماعات دورية لعلماءالدين وائمة المساجد بمكتب الشئون الدينية بأمانة الدعوة والفكر للاتحاد الاشتراكى .

وزودت الجامعة الازهرية وطلابها المنتشرين فى المدن والقرى بتعليمات تقضى بأن يكونوا لسان صدق للتحدث عن الثورة والاشتراكية .

وبذلك سخر الازهر للدعوة الاشتراكية وحدد القانون رقم ١٩٦٢/٤٤ مهمة المسجد بأن يقدم لنا الفرد الصالح الذى يشارك فى بناء النهضة الثورية التقدمية الجديدة .

وحددت مهمة وزارة الاوقاف بأن هدفها التطبيق الاشتراكى السليم فى المجتمع المصرى كله وأن مهمة الاوقاف اشتراكية بحتة ، وهى العمل على تعميق جذور الاشتراكية فى المجتمع ، لهذا وجد فى الازهر من يدعى بأنالاسلام دين الاشتراكيةوان محمدا هو امامالاشتراكية وأن دعوة محمد نابعة من حياته الأولى المتأثرة بالوضع الطبقى الشاذ فى مكة .

وكتب احد علماء الازهر يقول : لا شك ان الصراع الطبقى فىكل زمان ضراوة تصفها الرجعية العربية دفاعا عن هيمنتها الرأسمالية وعن المصالح الاستعمارية التى تسندها .

وكتب محمد احمد خلف الله : ان القرآن يدعو الى ما تدعو اليه الاشتراكيةمن الاعتماد على العلم فى ممارسة الحيـــاة .

(٣)

تعددت المؤامرات التى دبرت لانهاء أمر الازهر الشريف حصن الشريعة الاسلامية واللغة العربية فقد عملوا على تطبيق سياسة دنلوب فى التعليم بانشاء نظام موازى للازهر له الطابع الغربى تشرف عليـــه وزارة المعارف لعزل الطلاب والجيل الجديد عموما ، ثقافيـــا ونفسيا عن المصدر الاسلامى حتى يصبح مفهوم الحضارة والتقدم عندهم هو تقليد الغرب وترسم خطاه فى أسلوب الحياة أولا وقبل كل علم فنى .

ولعب أستاذ الجيل « لطفى السيد » دوره الكبير فى هذه المؤامرة الثقافية كما لعبها أساتذة كثيرون . ولم تكن السلطة هى الأخرى بعيدة عن هــــذا الصراع الحضارى بل كانت يدها نافذة فى ضرب بقايا الروح الوطنية والتمكين للنظام الاستعمارى .

وكان لاسماعيل دور رئيسى فى فرض القانون الفرنسى وانشاء المحاكم ومحاربة وتشويه كل من يتصدى له من العلماء فكان يقول :

لا يمكن أن تعمل فى هذا القرن بما وضع للعرب من نحو ثلاثة عشر قرنا (مجلة المنار ٣٠ يونيو ١٩٠٤) وأراد أن يستخدم رفاعة بك فى اقناع شيخ الأزهر وغيره من العلماء .

وكشفت جريدة المنار (٢١ مايو ١٩٠٥) سر حملة اسماعيل حين قالت هذه مجلة الاحكام العدلية هى التى الفتها لجنة من العلماء هى احسن من القانون المدنى الفرنسى . وقد أمر السلطان العثمانى بالعمل بها عندما أسس نظام العدلية وابطل به الامتيازات الاجنبية فلماذا لم تتبعه الحكومة الخديوية بل اختارت على أحـــكام الشريعة الاسلامية قانون الحكومة الفرنسية . السبب هو طمع اسماعيل باشا بالاستقلال والانفصـــال عن الدولة العلية بمساعدة أوربا التى تنزلق اليهـــا باتباع خطوات تدينها .

واصبحت قصة الارض البشرية والارض الخراجية فى ذمة التاريخ ونسى الناس الزكاة كنظام مالى اصيل وكذلك الخراج كنظام فريد فى مواجهة ضرورات الفتح وذابت هذه التشريعات الحالية فى شبكة الناس واعادت بذلك ذكرى الضرائب التى طوقت حياة خرائب الرومان والفرس قبل الفتوحات الاسلامية وقامت البنوك بدور الوريثلكل تركة ودواوين الزكاة ودواوين الخراجوعملت بطريقتها الخاصة التى تتلائم مـــع الأسلوب الغربى فى الانتـــاج .

واختلط الأمر على الخاصين الذين ظنوا أن هذه الحال التى انتهى اليها تشريعنا وحاضر الاوضـــاع الاقتصادية وعمل البنوك انما هى من ضرورة العصر وان علينا أن نسابق الزمن امامها بايجاد الحلول الجزئية للمشاكل اليومية ، وعجزوا عن تصور كلى شامل يعالج المشكلة من جذورها فى صورة دعوة الى اقامة الاصول الاسلامية فى حياتنا من جديد فى ميدان التربية وفى الميدان الاقتصادى والاجتماعى على حد سواء . وجاءت الطبقة العازلة من الحكام والجهلة لتعالج التشويهات بتشويهات اكبر حين تصورت علاج الاستعمار فى حياتنا برد فعلى أوربى يمثل فى العقلية المركبة (عبد الحليم خفاجى) .

* * *

كشف الاستاذ فتحى رضوان عن محاذير القانون الخاص بتطوير الازهر (قانون ١٣٠ لسنة ١٩٦١) فقال : ان ما يقدمه القانون لا اثر الا أن يمسخ الأزهر ويصرفه عن وجهته ولا يعينه على اداء شيء ينفع المسلمين وأن القانون عرض فى آخر لحظة من آخر جلسة على البرلمان بعد أن صدر القرار بانتهاء دورته .

* * *

قالت جريدة المورتنج بوست عن الازهر انه تلك البؤرة التى تضغط بها على الاخطار لطمس العلوم حيث ما زال التلامذة يتعلمون ان الارض مسطحة وان الشمس تدور حولها ورد عليهم احمد زكى باشا شيخ العروبة (الاهرام ١٩٢٤/٢/١) فقال أن جميع علماء الأزهر والاسلام اشاروا الى كروية الارض (الشريف الادريسى، فضل الله العمرى ، شهاب الدين النويرى ، الامام الاصفهانى) وقال ان علماء الأزهر قالوا بكروية الارض وانها تدور حول الشمس بينما كان البابا بعد ذلك بزمان طويل يصب أنواع التعذيب والتغرير على كل من القيصرين الطليانى والبولندى اللذين قالا بعدهما فى بلاد أوربا بمثل هذا القول .

قال جيمس ايروين قائد الفضاء فى مركز ابولو الذى استقال من عمله بعد عودته وتفرغ للنشاط الدينى ذلك أن رحلته للفضاء ورؤيته معالم الكون ايقظت فى نفسه دواعى الايمان بل وحركت فى أعماقه واجب الدعوة الى الله . قال :

عندما ذهبنا الى القمر لم أكن فى بادىء الامر على يقين أن الله تعالى سيمد الينا يده ولكنى اعتقد الآن بيقين أن الله تعالى قد مد يده الينا وساعدنا فى رحلتنا وليس هناك أجمل ولا أغرب من أن يرى الانسان منظر الارض من ذلك البعد السحيق كأنها كرة معلقة فى الهواء وكلما أخذ حجمها يصغر ويصغر شيئا فشيئا بحجم الزيتونة كنا نتخيل أولادنا واصدقائنا وآمالنا تعيش كلها على سطح هذه الزيتونة .

* * *

* * *

اوقاف المسلمين

اشار الدكتور عبد الحليم محمود (شيخ الجامع الأزهر) رحمه الله الى حادثى مذبحة المماليك وتأميم أوقاف رجال الدين فى عهد محمد على حيث قدم المؤرخ الجبرتى صورة صحيحة لهذين الحدثين وقال ان شعب مصر قد صدم وتأثر بمذبحة المماليك لان اهل مصر كانوا يعلمون أن المماليك دافعوا عن البلاد وعن الاسلام بدمائهم وشجاعتهم ، ويكفى اخيرا الاطلاع على اسماء من استشهد منهم ومات برصاص جيش نابليون كما ذكر ذلك الجبرتى عند سرده لمعركة (انبابة) المشهورة للتعرف على اسباب تعلق الشعب بهم وأتساءل : من المسئول الحقيقى عن مذبحة المماليك : أهو محمد على أم هو غيره بعد مضى ١٧٧ عاما . يفهم من بعض الوثائق أن هناك عقلا أوربيا جبارا هو (رودفينى) قنصل فرنسا بالقاهرة هو الذى دبر هذه المعركة وخطط لها واشار بها بل ومولها من ماله . ففى مذكرات بوكارت المكتشف والمستشرق السويسرى اشارة الى ما كان يحتفظ به فى خزانة القنصلية الفرنسية وأن رودفينى استأذنه فى أن يقرضه هذا المال لأن المتآمرين من ضباط الالبان كانوا مترددين حتى بعد أن قبضوا ثمن خيانتهم فهذا الذهب قد استعمل لتنفيذ اغراض رودفينى . ولم يكن محمد على سوى آلة نفذت اغراض السياسة الفرنسية التى كانت ترمى الى القضاء على المماليك ثم الى افناء الألبان .

ثم جاء الاستيلاء على اوقاف علماء المسلمين اى أوقاف المجتمع الاسلامى ، جاء لتحطيم هذه القوة تكملة تحطيم القوة العسكرية الاوربية وهذا تخطيط أوربى .

والصارى عسكر بونابرته خرب وهدم ١١٨ أثرا اسلاميا لبناء حصونه وقلاعه فى مدينة القاهرة وحدها منها بضع عشر جامعا بين مصر القديمة (وقصر النيل) وقد ذكرها الجبرتى بحسرة والم .

* * *

ومن بين هذه الاوقاف ما أوقفه السلطان حسن على جامعه المعروف حيث خصص على تعليم أبناء مصر من المذاهب الأربعة وكانت تصرف لهم الكساوى والاطعمة وكانت أوقاف جامع عمرو لا حصر لها . وكان للمسلمين أوقاف على الناس والمساجد والاربطة وبعضها لحماية الحيوان ومنها الصرف على الاتباع وصغار الكادحين اذا كسرت منهم آنية أو خزف فلايتعرضون لاهانة مخدوميهم .

ولم يجرؤ السلطان العثمانى على الغاء الأوقاف .

وقد أوقف على الحرمين بمكة والمدينة ما يجبى من خراج مديريتى قنا وجرجا وهذا المبلغ بقى يرسل اليها ولم يمسه محمد على وهذا ما كان يسمى بالصرة .

والأوقاف شملت الحرمين وبيت المقــدس ومقام ابراهيم الخليل .

ولا تزال آثارهم باقية فى كل مكان بالحجـــاز وفلسطين وسوريا الى اليوم .

وأرادت فرنسا الاستيلاء على الاراضى المنزرعة شاطىء الجزائر بعد احتلاله لانشـــاء المستعمرات الاستيطانية ولكنها وجدت أن ثلاثة اخماس هذه الاراضى من أملاك الحبوس (الاوقاف) فماذا تعمل فرنسا التى تعهدت لسكان البلاد بعدم التدخل فى شـــئون الدين الاسلامى ، طوقت الجزائر من مصر حيث لجأت الى محمد على بواسطة ممثليها ونصحته بأن تحرر بعض الاوقاف وأشارت عليه بالحصول على فتوى بامكان ذلك لمضى الوقت وغيره من المبررات والمصوغات السياسية ونفذ محمد على ذلك .

فماذا فعلت الجزائر . دفعت من الخزانة الفرنسية ما يكفى لصيانة هذه المساجد بادىء الأمر ولكنها استنت بسنة غيرها من الحكومات الاستعمارية فانقصت عدد الأئمة ومرتبات العلماء وأنزلت عدد المساجد حتى انه لم يبق بمدينة الجزائر اكثر من ثمانية عشر مسجدا .

وذات الخطة تكرر تنفيذها فى فلسطين بعد اكثر من قرن .

تقرير يهودى وضعته الوكالة اليهودية بقصــــد تحطيم المجلس الأعلى ونزع الأوقاف من تحت اشرافه ، كتبه اخصائيون من اليهود وتناولوا العالم الاسلامى فى شكله الذى خضع لسلطان الدول الاوربية واستشهدوا بما جرى العمل به فى البلاد المستقلة .

هذا التقرير اين هو ؟

ادرك الاستعمار منذ وقت باكر التوظيف الذى هو رق لصاحب الفكرة وصاحب الدين ومن هنا كان ما قامت به الحكومات الوطنية من احتواء علماء المسلمين بضم الاوقاف الأهلية الى ما سمته وزارة الاوقاف ليكون الامر اكبر يسرا والعلماء اكثر مقادة .

* * *

(٧)

واعظ تركى فى جامع المؤيد (الجبرتى جـ ١ ص ٤٨) ١١٢٣ هـ .

« حضر الى القاهرة واعظ تركى أخذ يعظ الناس بجامع المؤيد ثم انتقل من الوعظ الى ذكر ما يفعله أهل مصر باضرحة الاولياء وايقاد الشموع والقناديل على القبور فلما سمع الحاضرون ذلك خرجوا ليلا الى باب زويلة حاملين العصى والأسلحة فهرب من كان هنـــاك فذهبوا الى الجامع الازهر وأخبروا الشـــيخ النفراوى واحمد الخليفى بما حدث فافتى هذا بأن كرامات الأولياء لا تنقطع بالموت ولا يجوز لأحد أن ينكر اطلاع الأولياء على اللوح المحفوظ ويرجو بزجر الواعظ » .

لا ريب أن هذه الصيحة موازية للدعـــــوة الى التوحيد التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الدرعيةمن الجزيرة العربية ، وقد تبعتها ولحقتها دعوات فى أماكن متعددة فى اليمن والهند وغيرها ، وهى حجـــة الله البالغة الى التوحيد الخالص والتحرر من كلمحاولات سيطرة فكرة أو طائفة أو نحلة التى لم يتوقف على مدى الازمان والعصور منذ بزغ فجر الاسلام فى الدعوة الى كلمة الله الغالبة .

* * *

(٨)

الأزهر والثورة العرابية

أصدر العلماء فتوى بعزل الخديو ، ووضع الشيخ محمد عبده صيغة اليمين الوطنية ، وقد حوكم العلماء لاشتراكهم فى الثورة العرابية ، وحـــــكم عليهم بالنفى خمس سنوات : عبد الرحمن عليش ، عبد القادر محمد الهجرسى ، احمد عبد الجواد القاياتى ، محمد عبدالجواد القاياتى ، يوسف شرابة ، محمد عبده كما حكم على عدد من العلماء بتجريدهم من رتبهم منهم الشيخ حسن العدوى والمنصورى والسمالوطى والحفناوى وقد حوكم الشيخ العدوى (٣ ديسمبر ١٨٨٢) وسأل : هل أفتيت بعزل الخديوى قال اذا جئتمونى الآن بمنشور هذه الفتوى فانا أوقعــــه ، وما فى وسعكم وأنتم مسلمون ان تنكروا أن الخديو مستحق للعزل لانه خارج على الدين والوطن ومن قبل سجل تاريخ الازهر ثورة الامام الدردير (يناير ١٧٨٦) وثورة عبد الله الشرقاوى ١٧٩٥ عندما شكى فلاحو قرية بلبيس من ظلم محمد الالفى .

* * *

العـــالم الإســــــلامى

* احداث رمضان الاسلامية .
* مكة والبيت الحرام ــ دعوة التوحيد .
* احداث ما قبل الحرب العالمية الأولى .
* الف رباط من طرابلس الى رباط الفتح .
* كتابات التاريخ المغربى .
* امبراطورية الفولانيين .
* تحدد الاسلام فى الاندلس .
* الرشيد وشارلمـــــان .
* أول سفارة اسلامية لدى روسيا .
* العرب وكشوف الجغرافيا .
* السيطرة على افريقيا .
* احتلال سبتة ومليلة .
* الجزائر والباكستان .

(١١)

احـــداث رمضان الاسلامية

فى شهر (رمضان) نزل القرآن .

بدر فى السنة الثانية للهجرة .

فتح مكة فى السنة الثامنة .

معركة تبوك فى السنة التاسعة .

رمضان ٥٣ هـ فتح رودس .

رمضان ٩١ هـ نزل المسلمون فى بلاد الاندلس .

رمضان ٩٢ هـ انتصر طارق على رزريق فى معركة

رمضان ٣٦١ هـ بنى الأزهر الشريف .

رمضان ٥٨٤ انتصر صلاح الدين على الصليبيين.

* * *

(١٢)

مكة والبيت الحرام

ثلاث احداث استهدفت الكعبة والبيت الحـرام اثنتان فى الجاهلية وواحدة فى الاسلام ، أما فى الجاهلية فكان ابرهة الحبشى فى صنعاء فبنى كنيسة (التلس) لم ير مثلهـــا فى زمانها وذلك أرضـــاء لنزوة فى نفسه واسترضاء لمولاه النجاشى فى الحبشة ثم كتب له (انى قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها ولست بمنته حتى أصرف حج العـــرب واعد أبرهة العـــدة ليهدم بيت الله بمكة ويحول الناس الى بنائه ولكن للبيت رب يحميه فقد رده الحق تبارك وتعالى .

قال تعالى : (**الم يجعل كيدهم فى تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف ماكول**) .

والثانية وكانت سابقة على الأولى حين اغار تبع ابن حسان الحرى على الأوس والخزرج فى الجاهلية وفى أثناء عودته من يثرب فى طريقه الى اليمن حدثته نفسه بهدم الكعبة .

وفى الاســـلام كانت هجمة القرامطة على الكعبة وانتزاع الحجر الأسود منها .

دعـــوة التوحيد

بدأ الامام محمد بن عبد الوهاب دعوته (١١٥٣ هـ ـــ ١٧٤٠ م) فى عام ١١٥٧ تعاقد محمـــد بن ســـعود ومحمد بن عبد الوهاب فى الدرعية على اقامة الحكومة الاسلامية .

وقد تضافرت كل القوى فى مواجهة دعوة التوحيد : السنة فى تركيا والشيعة فى العراق لأن الأضرحة كان لها فى مذهبهم مكان مرموق .

وقد تحول الموقف فى عهد محمد على حين استجاب لطلب السلطان العثمانى فارسل حملات عسكرية لمحاربة الوهابيين والقضاء على دعوتهم وحركتهم .

أما الموقف الثانى فكان على النقيض ، كان موقفا

فكريا اذ قام عدد كبير من المفكرين والمصلحين المصريين بتأمين الدعوة الوهابية، والدفاع عنها ، فكان الشيخ محمد عبده فى دروسه فى الأزهر يدعو الى ما كان يدعو اليه محمد بن عبد الوهاب فيما يتعلق بعقيدة التوحيد وكان يذكر الدعوة الوهابية ويؤيدها ويدافع عنها دفاعا قويا وتابعه تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا .

وقد ادعى بعض المفكرين المحدثين على مذهب التوحيد (الوهابية) الغاءه للقياس والوقوف مع الالتزام بالقرآن والسنة والرجوع للسلف الأول وتشددها الزائد فى منع زيارة القبور وبعدها عن مواجهة ما ادخل فى حياة المسلمين فى العصر الحديث ولم يكن ذلك صحيحا فى جملته فقد برزت فكرة التوحيد والعودة لاحكام القرآن والسنة الصحيحة .

* * *

وقد قامت الدولة السعودية على ثلاث مراحل :

(الاولى) منذ تحالف محمد بن سعود مع محمد بن عبد الوهاب ١٧٤٧ .

(الثانية) منذ قيام تركى بن سعود بالقبض على أزمة الأمور بعد القضاء على نفوذ محمد على والتخلص من قواته نهائيا بموجب معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ حتى عام ١٨٩١ حين قضى ابن الرشيد على دولتهم .

(الثالثة) من ١٩٠١ الى اليوم ، بقيادة الملك عبد العزيز بن سعود والمستمر فى أبنائه .

أما الحجاز فانه عقب انسحاب الجيوش المصرية من الحجاز وعودة الحكم العثمانى المباشر للبلاد بدأ مد الخط الحديدى الى المدينة المنورة وجرت محاولات مده الى مكة لولا معارضة الشريف حسين .

وقد أولى السلطان عبد الحميد اهتمامه بجزيرة سيناء ومطالبة الدولة العثمانية ١٩٠٦ بالسيادة على سيناء وكانت تسمى ولاية عثمانية لا تركية .

وتردد أن عددا من الجواسيس والمستشرقين والخبراء الأجانب قد زاروا مكة المكرمة فى القرن الخامس عشر الميلادى منهم :

١ — كابوت الأكبر الذى زار مكة فى القرن الخامس عشر وكانت مكة يومئذ أكبر سوق يتم فيها تبادل البضائع بين الشرق والغرب ، ولعل كابوت سافر الى مكة متنكرا كما فعل غيره من المسيحيين .

٢ — زيارة بيرو دى كوفيلا لمكة والمدينة وهو رجل برتغالى يحسن اللغة العربية ، سافر من مراكش حيث عهد اليه عام ١٥٢٠ ملك البرتغال بتقصى البحث عن طريق التوابل .

وكان كوفيلا يعرف الديانات المسيحية والوثنية والاسلام وقد القى عصا التسيار فى الحبشة بعد أن قضى أربه من الرحلة ولم يسمح له بمغادرتها .

٣ — ومنهم من ذهب متنكرا فى زى التجار الى سواكن وعدن ومن هؤلاء فون هارف الذى كتب رحلته بنفسه وغادر القاهرة فى يوليو ١٤٩٧ الى سيناء قطع بلاد العرب حتى وصل الى عدن وفى طريقه من مكة .

وهذا يدل على أن أوربا كانت خلال القرن الخامس عشر قد بدأت استكشاف الطريق الى أرض الاسلام .

* * *

(١٣)

احداث ما قبل الحرب العالمية الأولى :

١٨٢١ حرب استقلال البلقان عن الدولة العثمانية

١٨٧٥ ثورات البلقان .

١٩٠٤ الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا تطلق به الأولى يد انجلترا فى مصر مقابل اطلاق انجلترا يدها فى تونس .

١٩٠٨ اعلان الدستور العثمانى .

١٩١٤ اعلان الحرب العالمية الأولى .

بعد الحرب العالمية الأولى :

١٩١٦ قيام روسيا الشيوعية .

١٩١٦ وعد بلفور .

١٩٢٦ القضاء على دولة الخلافة .

بعد الحرب العالمية الثانية :

١٩٤٨ قيام اسرائيل والقضاء على فلسطين .

١٩٦٧ سقوط القدس .

* * *

(١٤)

الف رباط من طرابلس الى رباط الفتح

عرف المجتمع الغربى الرباط مع الفتح الاسلامى حيثبنى الفاتحون رباطات تأوى اليها الجيوش الاسلامية الفاتحة ليحتموا بها من الغارات الخاطفة وهى فى نفس الوقت مكان للدعـــوة الاسلامية ، وكان أول رباط مغربى اسس هو رباط (ماسه) بسوس الاقصى ايام دخول عقبة بن نافع الفهرى ثم بنى بعده مصلى بن مصلين الكراكى كما يذكر المؤرخون رباط شاكر المعروف بسيدى سكير على ضفة واد نقيس بحوز مراكش .

وهو مدفن المجاهد العربى شاكر من أصـــحاب عقبة بن نافع ، وتأسست فيما بعد عدة رباطات ورابطة مثـل رابطة عبـد الله بن ياسين الذى سمى اتباعـه بالمرابطين ونظامهم السياسى بالدولة المرابطة .

وقـد أشار كتاب الاستقصاء انه لمـا اجتمع الى عبد الله بن ياسين من اشراف صنهاجه نحو الف رجل سماهم المرابطين للزوم رابطتهم .

ومن الرباطات رباط العباد ، رباط اسفى ، رباط تازة ، رباط سلا ، رباط الفتح ، رباط شاله ، رباط المستنير ، رباط عين القطر ورباط بالاطلس الكبير الذى هو دار المهدى بن ترمرت .

وقد اختير دائما موقع الرباط بحيث يكون عاليا فى قمم الجبال والصحراء ، وقرب المكان من الساحل حتى يكون قريبا من البحر لمواجهة الغزو الأوربى للمغـرب الذى كان من أهدافه دائما الاستيلاء على المغرب بل على افريقيا عامة وأن يكون بجانب الانهار والعيـون والمراعى وخصوبة الأرض على العموم حتى تتوفر المواد الاقتصادية .

يقول ابن مرزوق : اذا كان القراصنة الأوربيون كثيرا ما يأتون بسفنهم الى هذه السواحل ويختطفون منها اهل البوادى ليستعبدوهم فى بلادهم فكانت الربط التى اسسها أبو الحسن المرينى تمتد من اسفى جنوبا الى آخر المغرب الاوسط وأول بلاد افريقيا — تونس — اذا وقعت النيران فى اعلاها تتصل فى الليلة الواحدة او فى

بعض ليلة ، وذلك فى مسافة تسير فيها القوافل نحوا من شهرين وفى كل محرس فيها رجال مرئيون نظار وطلاع يكشفون البحر فلا تظهر فى البحر قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين الا وعى بها كل من فى المحارس .

وكان الرباط نواة لتكوين المدينة المغربية اذ من الواضح انه ساهم بشكل جلى فى تكوين المـدن نظرا للمعطيات التى يتوفر عليها اقتصادية واجتماعية ودينية الامر الذى كان يتيح الهجرة اليه كرباط الفتح ورباط اسفى ولتدعيم ما ذكره الاستاذ حجى فى كتابه الزاوية الدلائية نقلا عن ابن حوقل فى كتابه (المسالك والممالك) فيقول :

وكانت مدينـة سلا القديمة منذ خربت فى أوائل القرن الرابع الهجرى والناس يسكنون ويرابطون برباط يحف بها وربما اجتمع فى هذا المكان من المرابطين مائة الف انسان يزيدون او ينقصـون ورباطهم على بر غواطه ولما اقيم رباط الفتح كان فيه عدد قليل من المرابطين ازداد سكانه ومرابطوه بعد انتصار فيليب الثالث وطـرده لعرب الأندلس فرحل هؤلاء الى رباط الفتح ورباط سلا ومنذ ذلك الحين وهو يعرف بزيادة سكانية .

وقد أظهر الرباط نوعا من الهندسة المغربية التى يجب ان تعتبر اضافة للفن المعمارى المغربى وكانت هندسته تقوم على سور حصين يحيط به ، يقوم فيه حجرات للسكنى ومخازن للاسلحة والمؤن وبرج الاشارة ثم حدث تغير وظيفى ، حيث أصبح يضم عدة وظائف فى تنظيمه الداخلى وذلك ناتج عن الهجرة السكانية اليه .

وقد قوم (المهـدى بن تومرت) المرابطين الى فئات وجعل لكل مائة وظيفة وصفة يتصف بها (صاحب الاستقصاء) منهم أهل الدار واهل الجماعة واهـل الساقية واهل خمسين واهل سبعين والطلبة والحفاظ وأهل القبائل وأهل الجماعة (للتفاوض والمشـورة) وأهـل الدار (للامتهان والحرف) واهـل الساقة (للمباهلة) وأهل سبعين وخمسين والحفاظ والطلبة لحمل العلم والتلقى ، وسائر القبائل لمدافعة العدو وفى كل رباط رجال مرتبون نظار وطلاع يكشفون البحر فيما يظهر فأمنت السواحل فى أيامه السعيدة .

وكان بناء الرباط عملا اختياريا فى أول أمره ، ينظر اليه المجتمع على انه من الأعمال الهادفة والصالحة والتى لها ثواب فى تدعيم الأسلام ونشره وهذا المنهج هو نفسه يلاحظ فى بناء المسجد عند الفتح الاسلامى بالمغرب ، وبقى حتى يومنا هذا ولا يمكن القول بأن فكرة (الرباط) قد انمحت بمرور الزمن وظهور (الزاوية) فان الفكرة وأسلوب الرباط ظل فى ذهن المجتمع المغربى ، وهذا يرجع الى تذكره القرآن الكريم الذى يحث على اقامة الرباط فى أى لحظة حرجة ، ومثال ذلك ما فعلته قبيلة تحسمان ايام الحرب السريعة حيث قامت باشعال نيران الحراسة على قمم الجبال لاخبار البطل عبد الكريم الخطابى فى اجدير بالغزو الاسبانى للريف ، وهذا يذكرنا بوصف ابن مرزوق للرباط ايام دولة المرئيين وكذلك رباط جيش التحرر المغربى فى الجبال لمحاربة الاستعمار وهو نوع من الرباط .

وكان الانتماء الى الرباط عملا اختياريا ويعتقد كل داعية أو من يحض الناس على الانتماء اليه له اجر وثواب عند الله ذلك انه اذا بنى شخص رباطا على نفقته أو عزز حصون رباط قديم كان ذلك عملا من اعمال البر والتقوى وكذلك كان من الثواب أن يحض المرء النـاس على الانخراط فى سلك الرباط للجهاد فى سبيل الاسلام وقـد انتقلت فكرة الرباط الى افريقيا والأندلس على يد هرثمة ابن أيمن وهو أول منشىء للرباط فى أفريقيا اذ شيـد أول رباط ١٧٩ هـ ويوجد مصطلح الرباط فى اللغـة الاسبانية بصيغ ربابوت ورابطة وهى تدل على الهجوم المفاجىء تقوم به فرقة من الفرسان وفقا للفن الاسلامى وفى اصطلاح الفقهاء يطلق الرباط على شيئين :

أولهما : البقعة التى يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم العدو عنها .

والثانى : عبارة عن المكان الذى يلتقى فيه صالح المؤمنين لعبادة الله وذكره والتفقه فى أمور الدين والدنيا .

فالقوم فى الرباط مرابطون متفقون على قصـد واحد واحوال متناسبة ووضع الرباط بهذا المعنى أن يكون ساكنه يوصف بما قاله الله تبارك وتعالى فى سورة الانفال .

وعرفه الاستاذ حسن السايح : بانه مركز ثقافة حربى حسب بنائه الذى يشبه القلعة الحصينة وثقافى ليعلم المرابطين الثقافة الاسلامية وتلقى المعارف الدينية ويعرف الرباط بانه زاوية اسلامية حصنة .

(مصطفى المهماه)

(١٥)

كتابات المؤرخين الأجانب للتاريخ المغربى

يقول عبد العزيز البسمانى : اتسمت كتابات عدد من المؤرخين الأجانب بالضحالة والتسرع فى الاحكام او التعصب المشين ولم يستطيعوا بذلك فهم المدلول العميق لحركة المقاومة المغربية ضد الهيمنة الأجنبية ولم يكونوا متمكنين من ناصية اللغة العربية مما جعلهم يقعــون فى أخطاء فادحــة ، بالاضافة الى تشبعهم بالايدلوجيــة الاستعمارية التى فرضت عليهم اسلوبا خاصا فى الكتابة يستهدف خدمة اغراض الغزو وكانوا يتجاهلون مرحلة المعارضة ضد الاستعمار وثبات الهوية القومية ضــد المحــاولات الاستعمارية الرامية الى طمس معـــالم الشخصية المغربية ومسح مقوماتها الوطنية .

(١٦)

امبراطورية الفولانيين الاســلامية

أسس الشعب الفولانى امبراطورية اسلامية مترامية الأطراف شملت معظم جمهورية نيجيريا الحالية وبعض جمهوريتى النيجر والكمرون ومعظم جمهورية داهومى وبعض جمهوريتى توجو وفولتا العليا وقد جعلوا واجبهم الأول هو الدعوة الى الاسلام نشر العلوم الاســلامية واللغة العربية وكان سلاطينهم يحملون لقب أمير المؤمنين أمثال عثمان بن فودى وابنه السلطان محمد يولو الفولانى حوالى ١٨٣٧ .

والفولانيون من سلالة عربية جدهم الاكبر عقبة بن عامر أو عقبة بن نافع .

وقد جاء الفولانيون من شمال افريقيا وسواحل البحر المتوسط وقد أعلن عثمان بن فودى الجهاد الدينى ١٨٠٤ وقام بحركة دينية حربية تشبه الحركة الدينية الحربية التى قام بها المرابطون فى القرن الحادى عشر الميلادى ، والتى قام بها الامام ابراهيم بن مالك ١٧٥١ فى فوتاجالون فى القرن ١٨ وحركة الحاج عمر التكرورى ١٨٥٦ (ق ١٩) .

وقد اعلن عثمان بن فودى الجهاد ضد الوثنيين وتجمعت لديه قوات اسلامية جرارة من الفولانيين وممن أسلم من الهوسا والتكارنة ولم تقتصر فتوحاته على بلاد الهوسا بل امتدت الى جميع الجهات ففى الشرق توسع على حساب املاك امبراطورية البرتو الاسلامية .

(١٧)

تجدد الاسلام فى الاندلس

بعد الف عام من خروج الاسلام من الاندلس يعود سلما (١٤٩٢ ــ ١٩٨٢) ليضىء بأنواره قلوب مئات الآلاف من ابناء الشعب الاسبانى حيث يوجد ١٥٠ الف مسلم (ويوجد ٨ آلاف طالب عربى ومسلم فى مدريد) وقد تبين أن الذين يتوارثون الدين الحنيف منذ عهد الاسلام فى الاندلس ظلوا يحفظون دينهم سرا ويعلمونه ابنائهم الى أن جاء الوقت للخروج الى ضوء النهار .

وان قراءة تاريخ الاسلام فى الاندلس توصل الى الايمان بان الاسلام دين الله ورسالته الى العالمين وان قراءة تاريخ الاندلس بعيداً عن المؤثرات الأجنبية (أو الداخلية على الأصح) من شأنها أن تقضى بالمرء الى الاقتناع بربانية هذا الدين .

وكانت غرناطة قد سقطت فى أيدى الاسبان ١٤٩٢

حيث لقى المسلمون أشد أنواع العنت الذى واجهته طائفة الورسكين حتى نفيها النهائى من اسبانيا ١٦٠٩

وكان المدجنين الاندلسيون فى شرقى الاندلس وهم الذين سبقوا الورسكيين فى تحديد اوضاعهم مع الملوك النصارى عقب سقوط اوطانهم فى ايدى الاسبان وكانوا لظروفهم واعتماد النبلاء والسادة على جهودهم واعمالهم فى الزراعة والصناعة اسعدحظا واقل شقاء من الورسكيين فى منطقة غرناطة .

وقد عرض (المقرى) فى كتابه (نفح الطيب) صورا من أروع وأمتع الصور عن جغرافية الأندلس وحواضره التالدة .

ويذكر فى هذا المقام (زفرة العربى) فى ١٠ يناير ١٤٩٢ وكانت من الساعات الفاصلة فى مجال التاريخ حيث تدق ضربات المدافع فى ابراج الحمراء داعية ملك الاسبان فردناند الى تسلم زمام الحكم فى حمراء غرناطة وأبو عبد الله آخر ملوك بنى الأحمر يودع البلاد وأمه تقول له :

(ابك كالنساء ملكا لم تدافع عنه كالرجال) .

وتظل كنيسة الحمراء الى يومنا هذا تقرع نواقيسها اربعا وعشرين ساعة قرعا متداركا يوم ثانى يناير من كل عام ابتهاجا بجلاء المسلمين عن الاندلس .

(١٨)

الرشيد وشارلمان

ترددت قصة هدايا هارون الرشيد الى شارلمان ويقول محمد سليمان العبدة ان الخبر ليس له مصدر موثوق ، وانه غير موجود فى المصادر الاسلامية ، هذا الخبر هو مراسلة الرشيد لشارلمان وهداياه له واعطائه مفاتيح بيت المقدس ويقول الدكتور يوسف العش فى كتابه (الدولة العباسية) تحت عنوان علاقة الرشيد بالفرنجة :

تقول لنا المصادر الغربية ان الرشيد كان موقف آخر مع ملك الفرنجة شارلمان حسبى يدعمه مؤلفان اولهما (انهارد) فى كتاب له يقول : ان هارون الرشيد استقبل سفراء من شارلمان أتوه بهدايا فأجاب عنها بأن ارسل سفراءه بهدايا ايضا ومن جملتها ساعة مائية دقاقة اعجب بها الفرنجة ويعلمنا المصدر الاخر وهو القسيس سانكال ان بطريرك القدس تلقى سفراء من شارلمان بهداياهم وارسل هو بدوره هدايا ومعها مفاتيح بيت المقدس الى شارلمان وذلك عام ٨٠٠ م هذان الخبران يأتياننا من المصادر الأجنبية القديمة ولكن المصادر العربية لا تذكر عنهما شيئا وتعلق التواريخ الأجنبية الفرنسية على هذين الخبرين تعليقات شتى فتنسب الى الرشيد رغبته فى ان يضع امام الخليفة الأموى عدوا حليفا لبنى العباس وينسب الى الحكم العباسى ايضا الرضا بأن يكون الاشراف على بيت المقدس لفرنسة ولملك الفرنجة.

والخبران ضعيفان وصاحباهما غير مؤلفين يخلطان فى مسائل التاريخ ولا سيما القسيس سانكال . وينقل الدكتور يوسف العش كلاما لبروكلمان قال فيه ان الخبر الاول لا يعدو أن يكون خبرا عن التجار اليهود الذين كانوا يحملون الهدايا الى بلاط الخليفة ولئن كانت هدايا ذهبت الى شارلمان فهى ايضا على أيدى تجار عاديين .

اما خبر مفاتيح بيت المقدس وكنيسة القيامة فالظاهر فيه الوضع ولا يعقل بحال من الاحوال أن يعطى الرشيد وهو الخليفة صاحب الدين التقى مفاتيح بلد مقدسة الى رجل غير مسلم ويسمح له بحماية الاماكن المقدسة وبالجملة فالرشيد لم يراسل شارلمان ولم يسلم له مفاتيح بيت المقدس .

***

(١٩)

أول سفارة اسلامية لدى روسيا

فكر الخليفة العباسى المقتدر بالله أن يتصل بأقصى الاصقاع من الشمال وأن يبلغ بلاد نهر الفولجا عند الروسيا استجابة لدعوة ملكها ورأس وفد السفارة (أحمد بن فضلان) الذى غادر بغداد ٣٠٩ هـ ٩٢١ م وعاد بعد قرابة عام كامل من رحلته برسالة من (بلطوار) ملك الصقالبة يطلب ارسال من يفقهه فى الدين ويبنى له مسجدا يصلى فيه وحصنا يتحصن فيه من الملوك المخالفين له واعداءه هم من ملك الحزر اليهود ، وقال ان الصقالبة الذين يسكنون حول نهر الفولجا يمتد ملكهم حتى يبلغ قرب قازان .

وقد سافر الوفد الى فارس فمر بالنهروان حتى وصل بخارى فخوارزم وعندما وصلوا بخارى وارادوا عبور نهر جيحون تجمد النهر فانتظروا ثمانية شهور ، قال ابن فضلان (نظرت الى لحيتى وهى قطعة واحدة من الثلج حتى كنت ادنيها الى النار) .

وعند نهر الفولجا يقصر الليل ويطول النهار .

(٢٠)

العرب وكشوف الجغرافيــا

كشف البحث التاريخى حقائق جيــدة تقرر ان فاسكودى جاما البرتغالى لم يكن هو الذى كشف طريق راس الرجاء الصالح بل كان المسلمون يعرفونه قبل ذلك بأربعة قرون على الاقل ان لم يكن خمسة وكانت تجارة العالم كله تمر فى ايدى المسلمين من أرض الصين شرقا الى الجزر البريطانية شمالا وغربا وكانوا يخططون الشاطىء الآسيوى الافريقى ويحفظونه عى خريطتهم . وعلى هذه الخرائط اعتمد فاسكودى جاما فى رحلته .

ثم انه من الثابت تاريخيا ان ابن ماجد البحار العربى المسلم كان قائد سفن فاسكودى جاما .

ولقد كانت رحلة فاسكودى جاما التى اكتشف فيها راس الرجاء الصالح جزءا من الحروب الصليبية ولم تكن رحلة علمية بل رحلة كشفية صليبية للتعرف على اى الطرق التى ينفذون منها لغزو العالم الاسلامى بعد أن عجزوا أن يأتوه من المشرق بسبب وجود القــوة القادرة : قوة الدولة العثمانية ومنــذ ذلك الحين بدأ الصليبيون غزو العالم الاسلامى وقبل أن يهتدى الرجل الابيض الى طريق رأس الرجاء الصالح اتجه الصليبيون منذ ١٢٤٩ الى شق قناة فى برزخ السويس يكون ملكا مشتركا للعالم المسيحى ، ويبددون بها شمل المسلمين ، الا أن الوثيقة المتضمنة لهذه الفكرة والتى رفعت فى تلك السنة الى ملك فرنسا لم تزد على أن يكون مجرد خيال الى أن عرفوا طريق رأس الرجاء الصالح فى الوقت الذى استطاع كولمبس أن يصل الى قارات العالم الجـــديد وخسرت مصر باكتشاف الطريق الجديد خسارة بالغة لأن اوربا التى باركت دى جاما قـــد حشـــدت القراصنة البرتغاليين وغيرهم ممن تربصوا فى بحر الهند واغرقوا اسطول مصر التجارى سنة ١٥٠٢ وحاول الســلطان الغورى ان ينتقم من ذلك الفعل الشنيع وأرسل سفيرا من لدنه الى البابا والى ملوك اسبانيا والبرتغال فذهبت محاولاته ادراج الرياح ثم ارسل ليبنتز الى لويس الرابع عشر وصية من اخطر وثائق الاستعمار مؤرخة ١٥ مارس ١٦٧٢ قال فيها :

أريد ان أتحدث اليكم يا مولاى فى مشروع غزو مصر ولا توجد بين أجزاء الأرض بلد غير مصر يمكن السيطرة منه على العالم كله وعلى تجارة الدنيا بأسرها وحتى تستطيع أن تلعب هذا الدور لسهولة استيعابها لعدد

كبير من السكان وبسبب خصب ارضها المنعدم المثال . ولقد كانت فيما مضى من الأيام مهدا للعلوم ومحرابا لنعمة الله ولكنها اليوم معقل الديانة المحمدية التى تغدر بنا ولأى داع تخسر المسيحية تلك الأراضى المقدسة التى تصل آسيا بأفريقيا والتى جعلت منها الطبيعة حاجزا بين البحر الأبيض والبحر الأحمر ومدخلا لبلاد الشرق بأجمعهاومستودعا لكنوز أوربا والهند ولديكم من الوسائل ما يجعل مصر سهلة المنال .

واذا كانت القسطنطينية قلعة لجيوش الامبراطورية العثمانية الا أن الهجوم المباغت لن يترك لها فرصة النجدة لبعد الشقة بينها وبين أوربا ومصر تكتنفها صحراوات واسعة .

هكذا كانوا يخططون !

الشريعة فى الدولة العثمانية كانت الشريعة الاسلامية هى شريعة البلاد الأولى والقانون المرئى الذى طبق بها تحت اسم المجلة عام ١٨٦٩ عبارة عن تقنين لأحكام تلك الشريعة أخذا بمذهب الامام ابى حنيفة كان تطبيق الأحكام على جميع رعايا الامبراطورية العثمانية سواء كانوا من المسلمين أم من غير المسلمين .

دعا احد خريجى الارساليات عام ١٩٣٥ الى انشاء دولة يهودية فى فلسطين ودولة مسيحية فى لبنان ثم عادوا مرة اخرى الى الدعوة سنة ١٩٤٥ الى أن تكون لبنان وطنا قوميا للنصارى فى الشرق الأدنى .

* * *

(٢١)

السيطرة على افريقيا

منذ جرت تلك الحركة السريعة الخطيرة بين دول أوربا للسيطرة على افريقيا وما تزال عوامل التحدى قائمة بين أهل القارة التى تزحف نحو الاسلام بقوة وبين عوامل التبشير والتنصير وتدمير مقوماتها من ناحية اخرى وفى الماضى كان يحكم القارة البريطانيون والفرنسيون واليوم يحكمها تلامذتهم من مبشرين مسيحيين ومجندين من الأفارقة الذين اضطروا الى ترك دينهم والدخول فى النصرانية حتى يتمكنوا من تولى كبريات المناصب. دخلت المانيا الكاميرون ١٨٨٢ والنيجر فرنسا ١٩٠٤ وتنجانيقا المانيا ١٨٨٥ ونيجيريا بريطانيا ١٨٩٠ وتشاد فرنسا ١٨٩٧ .

والملاحظة العابرة تفيد ان هناك مجموعات مسيحية تسيطر على معظم عناصر الثروة فى افريقيا بما فى ذلك الدول المسلمة . وقد كان للتبشير الغربى اثر كبير فى جعل المجموعات المسيحية تسيطر على ١٣ قطرا من مجموع ٢٣ قطرا مسلما تشكل الاغلبية بالنسبة لدويلات القارة الافريقية . ويمر المسلم الافريقى فى هذه الأيام بلحظات عصيبة جدا فى تاريخه السياسى ووضعه الاجتماعى .

فالسنغال نسبة المسلمين فيها ٩٥ فى المائة ولكن الادارة والاقتصاد والسياسة فى يد حفنة قليلة من المسيحيين وفى نيجيريا سلطة اقلية مسيحية على اغلبية مسلمة من ممثلى الهوسا والفولانى .

وفى ايرتريا والحبشة يكون المسلمون الاغلبية ولكن ليس لديهم من الأمر شىء ويواجهون صفا متزايدا ازاء المبشرين المسيحيين ويشجعهم على ذلك المستشارون اليهود ، وكلهم يعملون على زعزعة الثقة فى نفوسهم واضعاف روح الاسلام لدى ناشئتهم .

وقد سجل دعاة التبشير منذ ١٩١٠ فى تقارير عن افريقيا أن الاسلام هو العقيدة القائمة فى وجه المسيحية وأن خصمهم الأول هو ذلك الشيخ ذو العمامة البيضاء الذى يجوب شواطىء البحر الأحمر والنيجر والمغرب ووادى النيل ومعظم دول افريقيا قد استقل عام ١٩٦٠ .

ان علاقة العرب المسلمين مع افريقيا علاقة قديمة منذ انتشر الاسلام فيها فى أوائل التاريخ الاسلامى ولكن الاستعمار الذى فصل افريقيا وقطعها عن العالم العربى بوضع حواجز اصطناعية ومؤامرات لتسميم العقول والأفكار بايراد النزعات القومية واثارة الكراهية ضد العرب والدعاية الكاذبة ضد الاسلام ويتقلص الاستعمار عن القارة الخضراء بدأت الحياة تعود الى طبيعتها وبدأ الاسلام يلعب دوره فيها رغم استمرار مكائد التبشير المسيحى ومؤامرات الاستعمار .

(٢)

بعد الهجمة الاستعمارية الصليبية الحاقـــدة التى غزت القارة الافريقية كان مخطط العمل يرمى الى طمس المعالم التى تركها الاسلام فى حياة الكثير من اهلها وفى واقعهم السياسى والاقتصادى والثقافى وشن الحـــرب معنويا ضد الاسلام والمسلمين من أجـــل هزيمتهم فى افريقيا ونشر المسيحية والشيوعية وبث المذاهب الهدامة بينهم واستخدام فئات منهم تدعى الاسلام فتثير الشكوك وتبلبل الأفكار . وهناك عدد من الدعاة المجاهدين الذين طرقوا القارة يوم كانت ترسف فى مناهب الوثنية والجهالة ويعيش اهلها عيشة بدائية لينقلوهم الى عصر المدنية الاسلامية وحضارة الانسانية لا تفرقة بين لون ولون أو عرق وعرق .

(٣)

يقول باتيين فى كتابه عن أواسط افريقية :

ان انتشار الاسلام بين الافريقيين ـــ اذا روجعت انسانية ممتازة لم يكن فى العالم حضارة تضارعها أو تقوى على فعاليتها وان وصول الاسلام الى القارة الافريقية كان ملازما لوصوله الى القارة الاوربية نفسها وامتداده الى اقطار بعيدة من القارة الاسيوية ، فقد كان امتياز حضارته سببا كافيا لسيادته على العالم المعمور والعالم المجهول على السواء .

ان مثل هذه الحضارة لا سبيل الى حصرها فى بقعة محدودة من العالم مع اقدام العربى المسلم على احتمال الجهد والخطر ورغبته فى الرحلة والارتياد فانتشـــار الاسلام انما هو فى حقيقته انتشار حضارة جـــديرة بالانتشار .

(٤)

تقول جريدة التيمس : كان الاعتقاد قديما ان الاسلام هو دين شعوب الصحراء وقد يتقدم الى الحضر وما كان احد يصدق انه يستطيع أن يخترق المناطق الاستوائية وأن يصل الى الجنوب كما حدث فى سيراليون وساحل العاج وساحل الذهب والداهومى ويخشى رجال الادارة على الأخص من انتشار الاسلام فى هذه البقاع ويختلف الغربيون فى اتجاههم الفكرى نحو مستقبل الاسلام فى أفريقيا فمن قائل أن تقدم الاسلام لن يضر بالمصـــالح الاستعمارية ما دام يسير فى (الخطوط التى رسمها له الاستعمار) بينما يرى آخرون ضرورة (الحد من تقدم الاسلام) عن طريق نشر البدع والخرافات (أى نشر البدع المخالفة لأصل الاســلام لافساده وازالة حقيقة الاسلام مع بقاء اسم الاسلام عنوانا له) حتى يكون ذلك بمثابة حائل يقف امام ضغط الاسلام المتزايد .

(٥)

اشارت مجلة الأزهر (م ٢٩ ـــ شوال ١٣٧٧) الى أن حكومة السودان بلغت اعتماداتها للتبشير ٩٦٪ من مجموع ما ينفق فى المنـــاطق المقفلة ، لا يقـــل عن خمسمائة جمعية لها فروعها المنبثة فى كل مكان ويعيش القوامون عليها فى بحبوحة من العيش فى الغابات وغيرها ولديهم من وسائل التبريد والتدفئة والمواصلات البرية والبحرية والجوية ما يوجد وقد خلقوا جيلا جديدا مثقفا بثقافة جعلته متعصبا يخالف دين الاســـلام . وهناك الكنيسة الايطالية فى مدن واو عاصمة مديرية بحر الغزال ذات النفوذ الواسع والسلطان الممتاز حتى لكأنها قطعة من فاتيكان بروما .

* * *

(٦)

فى محاولة لايقاف انتشار الاسلام فى ربوع القارة السوداء رسـم الاستعمار خطا دفاعيا ضد الاسـلام يمتد من البحر الأحمر الى المحيط الاطلسى حيث يبتدىء بارتيريا (الشعب المسلم الذى قدمته أمريكا هـدية للحبشة) ثم الحبشة وجنوب السودان واوغندا وتشاد والنيجر وينتهى فى نيجيريا التى خطط الاستعمار بشطرها الى شطرين: نيجيريا وبافاريا وقد فشل مخطط الاستعمار وتصدع وجرت مثلا تلك الكلمة التى تقول :

« ان عمامة بيضاء فى القارة السوداء اخطر علينا من الف قنبلة ذرية » والمعروف أن القارة الافريقية تعد فى نظر النفوذ الأجنبى أخطر مناطق العالم اليوم لأنها منطقة النفط أولا ويوجـد بها احتياطى من المعادن كاليورانيوم والماس ، كذلك فان القرن الافريقى يتيح أفضل قواعد الانطلاق الى الخليج العربى حيث يرقـد أضخم احتياطى عالمى من النفط .

وهذا هو السر فى الخطوات التى يتخذها السوفييت اليوم بهدف السيطرة على بعض المناطق الاستراتيجية ، وقد بدأ ذلك بتركيز وجود سوفيتى فى الحبشة وانجولا ، والتدخل السوفيتى فى أثيوبيا يستهدف الصومال من أجل السيطرة على البوابة الجنوبية للبحر الأحمر ومحاولة الاتحاد السوفيتى السيطرة على القرن الافريقى وتهديد أمن البحر الأحمر ، ويتمركز السوفييت الآن فى انجولا وموزمبيق وبوسوانا وزامبيا واثيوبيا .

* * *

(٧)

تجارة الرقيق

تعد قضية تهجير ثلاثة ملايين من الافريقيين الى أمريكا من عام ١٨٦٠ ـ ١٨٧٠ كخطوة أولى نحو مؤامرة ضخمة تتابعت بعد ذلك ببيع احد عشر مليونا فيما بين سنتى ١٨٧٠ ـ ١٩٠٠ ثم بيعهم تسعة ملايين بعـد الحرب الأولى من كبرى القضايا ذات الأهمية البالغة وهى ابرز الصور لتجارة الرقيق الشـهيرة التى شاركت فيها الاطراف الثلاثة (الراسمالية الاوربية الناشئة) التى كانت تعد السفن لغزو الشواطىء الافريقية الغربية من أجل اختطاف الالوف من أهلها أو ابتياعهم ثم حملهم عبر الاطلنطى للعمل ـ والموت أيضا ـ فى مزارع القطن والسـكر فى جزر الهند الغربية وفى الولايات المتحـدة وهذه بدورها تصدر السكر والقطن الى أوربا الغربية مغذية بذلك راسماليتها الناشئة .

هذه التجارة البشعة لم تؤد لهدم حياة الملايين من الزنوج الافريقيين وانزال اقسى ضروب العـذاب بهم وبذويهم فحسب وانما ادت كذلك الى تغـذية روح العنصرية عند الاوربيين واقرانهم الامريكيين كما ادت الى انزال الزنوج من اسفل منزلة فى منازل السلم العنصرى الذى صـاغتـه عقليـة المسـتعمرين الاوربين اذ تصوروا انفسهم فى قمة الهرم وخلاصة العالمين ثم رتبوا الأمم والشعوب دونهم مراتب جعـلوا ادناها الزنوج الافريقيين ، بل ذهب الشطط ببعض العنصريين الاوربيين الى حد زعموا فيه ان الزنوج ليسوا بشرا البتة وقالوا ان الزنجى ليس له روح فهو اذن على احسن الفروض وحشى كما قال الحاكم العام للسودان فى تقريره ١٩٠٥ والا فهو شىء لا يرقى حتى لمرتبة الوحشية والحيوانية ثم انه شىء شرير رمز للشر والقبح بحيث اذا صـور الأوروبيون الالهة والملائكة والنبيين وما ارتبط بها من معانى الخير والجمال جعلوها بيضاء براقة البياض بينما أصبح السودان فى عرفهم رمزا للشر والقبح والانحطاط (دكتور مدثر عبد الرحيم) .

* * *

(٢٢)

احتلال سـبتة ومليـلة

ما تزال مدينتا سبتة ومليلة اللتان دخل منهما طارق ابن زياد الأندلس محتلتين حتى الآن بجيوش اسبانيا ، بل ان الحركة التبشيرية فيهما قائمة على ساق الجد فى المدينتين ، وهى حركة تتلقى تعاليمها وتخطيطهـا من مركزها فى مدينة مالقا بجنوب اسبانيا وبالرغم من الخلاف بين الكاثوليكية والبروتستانتية فانهما اتحدتافى كل من سبته ومليله على سرقة ابناء المغرب القاطنين بهاتين المدينتين وتوزع بهما منشورات مسيحية منها كلمات من الانجيل كتب على غلافها بحرف بارز الشعار الاسلامى (الله اكبر) استغلالا لهذا الشعار للوقيعة بالمسلمين .

وهــذه ظاهرة تكشف مدى التعصب الاوربى المسيحى البالغ الشأن ، وهى تسقط مزاعم الاعتقـاد بأوربا العلمانية فى دعواها بأنها لا تعادى دينا بعينه ، أو تؤازر دينا بعينه وهى توحى بتصميم اوربا على المضى فى خطتها نحو استغلال التبشير فى السيطرة على بلاد المسلمين .

والمعروف أن احتلال اسبانيا للصحراء كان انتقاما من الوجود العربى الاسلامى فى الاندلس الذى دام قرونا عدة زيادة على الفوائد السياسية والاقتصـادية التى جناها المستعمر ولا يزال .

وقد جاءت مؤامرة السيطرة على هذه الاجزاء من المغرب بالاتفاق بين فرنسا واسبانيا حيث أخذت اسبانيا وادى الذهب وتقرر أن منطقة الساقية الحمراء تقـع خارج التراب المغربى وقـد تذرعت فرنسا عام ١٩١٢ ببعض الأسباب للاحتلال التدريجى والبطىء للمغـرب (وجده ، الدار البيضاء ، الشاوية) وقامت اسبانيا من جهتها بتقليد فرنسا فاحتلت ريستيفة ورأس المـاء من ناحيـة الريف ثم أحلت فرنسـا مدينة فاس واحتلت اسبانيا مواقـع بين سبته وتطوان ونزلت بالعـرائش واحتلت القصر الكبير .

وقد نشرت العلم المغربية (٤ اكتوبر ١٩٨٦) ان ممثل اسبانيا لدى الأمم المتحدة ادعى القول بأن وضـع جبل طارق مشابه لوضعية كل من سبتة ومليلة مرتبطتان وقال ان سبته ومليله مدينتان اسبانيتان وتحدث عن حق بلاده فيهما وادعى أن المدينتين من كل الجوانب العرقية والثقافية والسياسية مرتبطتان باسبانيا وانه لا يمـكن اقامة اى مقارنة بين وضعهما وبين جبل طارق وقالت المغرب ان سبته ومليله مدينتان مغربيتان ، احتلتهما وان عهد الاستعمار قد انتهى وقالت المصادر ان المدينتين توجهان حملة تبشيرية ضخمة الى المغرب .

(٢٣)

الجزائر والباكستان

مرت الجزائر بنفس تجربة الباكسـتان وبنفس المأساة . فقد قامت باكستان فى ظل مفهوم يقول بان التصور الاسلامى هو الاساس الذى تقوم عليه الدولة ولكنهـا عجزت عن ذلك تماما ثم تحول التيار الى الحد الذى اصبحت هناك قومية باكستانية مغايرة للقومية البنغالية ثم وقع بينهما الصراع الدموى . كذلك الأمر فى الجزائر فقد قام الجهاد فى سبيل تحريرها على أساس مفهوم الاسلام وقدمت مليونا من الشهداء ولكنها عجزت عن أن تمضى فى الخط الاسلامى اى تحقيق قيام مجتمعه ودولته وتحولت الجزائر الى تجربة أخرى مغايرة للخط الاسلامى تماما وان عادت أخيرا الى تعديل خطها نحو الاســلام قليلا .

وفى باكسـتان قال غلام اعظم (أمير الجماعـة الاسلامية) بما أن هذه الحركة لم تتبلور كحـركة اسلامية فان غالبية قادتها بعد قيام الباكستان تنكروا لقضية الاسلام . لقد قامت باكستان على تصور اسلامى ولكنها بعد تأسيسها لم تحقق هذا التصور وبالتالى لم يترسخ فى أعماق الجيل الجديد ولذلك حينما نحت هـذا الجيل عن قوميته وجدت الاقليمية واللغة طريقها الى تفكيره . ويقول المودودى عن حركة جناح انه بالرغم من ان هذه الحركة تثار باسم الاسلام ولكنها ليست حركة اسلامية ونظرية العمل الاسلامى الصحيحة هو أن ينتشر الاسلام أولا حتى اذا ما انتصر الدين الاسلامى فى أعماق الجماهير فان هؤلاء المسلمين سيقيمون الدولة الاسلامية فى الهند كجزء من عقيدتهم . وقد حـدث فى السنوات الأخيرة تحول جذرى نحو تطبيق الاسلام يتجه نحـو الرسوخ والاستمرار .

وفى الجزائر فان المعركة التحريرية قامت على أساس الجهاد فى سبيل الله ولولا انهم اكدوا ذلك لما استشهد منها من استشهد ، والشعب الجزائرى لم يدع لخوض المعركة التحريرية الا باسم الاسلام ولولا ذلك لما استطاع أن يحمل فى هذا العصر لواء المقاومة ضد الاستعمار المدجج بأحدث الأسلحة وأفتكها .

ولكن العبرة بما بعد ذلك ، لقد حاول النفوذ الأجنبى القضاء على هذه الروح خوفا من ان تستعلن الاسلام فى العالم الاسلامى كله .

والمعروف أن الحركات التحريرية الوطنية فى العالم الاسلامى قامت على أساس الجهاد فى سبيل الله ولكن الاستعمار استطاع أن يقضى على هذه الخطة وان يحتويها بانشاء تلاميذ فى مدرسته الاستعمارية يحملون لواء الحركات الوطنية ويدورون فى دائرته ويعارضونه فى جزئيات السياسة بينهما هم اتباع حقيقيون لفكره ومفاهيمه ولأسلوب العيش الغربى وكان فى مقدمة هؤلاء سعد زغلول فى مصر ومن ثم فقد تحولت حركات التحرر الى معارك حزبية ولم تستطع القضاء على النفوذ الأجنبى .

لقد كان على الثورة الجزائرية أن تلتمس اسلوب الاسلام وبناء المجتمع الاسلامى وكذلك كان الأمر بالنسبة لباكستان .

ومما يذكر فى هذا الصدد أن اخطر سياسة تعليمية على اسلام الجزائر وعروبتها كانت تلك التى طبقها الجنرال ديجول منذ ١٩٥٨ بعد تسلمه الحكم فقد أحس بحكم تجاربه ودرايته وحصافته السياسية أن استقلال الجزائر آت وان مرحلة المحافظة على الجزائر كمستعمرة فرنسية قد تجاوزها الزمن ، وان عليه أن يعمل على تطبيق سياسة من شأنها أن تبقى على تبعية الجزائر الثقافية لفرنسا الى جانب التبعية الاقتصادية التى يصعب على الجزائر المستقلة التخلص منها بسهولة . ومن رأى ديجول أن العامل الثقافى فى ميدان التبعية أقوى من العامل الاقتصادى فى هذه الظروف . فالابقاء على هيمنة الثقافة الفرنسية على الجزائر معناه ابقاء لمقاليد الأمور وازمة الحكم بين أيدى الجزائريين المثقفين ثقافة فرنسية والجاهلين لثقافتهم القومية أى بين أيدى جزائريين يفكرون ويعيشون على الطريقة الفرنسية . وهذا ضمان كاف للابقاء على التبعية الثقافية والتبعية الاقتصادية فالمتطرفون الذين يسيرون الادارات الجزائرية يؤلفون طبقة ممتازة بالجزائر سواء بالنسبة لطريقة تفكيرهم أو طريقة معيشتهم . هذه البطقة هى التى ستخوض المعركة من اجل البقاء بالجزائر أمام الحتمية التاريخية المسماة التعريب وذلك دون العودة الى شخصية الجزائر الاصلية، لذلك سارع ديجول بنشر التعليم الفرنسى بين الجزائريين واستطاعت سياسة ديجول خلال اربع سنوات (٥٨ — ١٩٦٢) أن تؤكد التبعية الفرنسية الثقافية وابقاء الجزائر ذات وجه فرنسى الثقافة والتفكير مع عرقلة التعريب ووضع العقبات فى طريقه ، قال الوزير الفرنسى المسئول عن الشئون الجزائرية : ان ديجول عمل على تأخير تحقيق التعريب فى الجزائر الى أمد بعيد .

واذا كان لنا ان نقول اليوم شيئا فهو أن ثورة جبارة كالثورة الجزائرية التى قامت فى اطار الاسلام وتمثلت فى الاساس جهاداً اسلاميا ضد اعداء الله واعداء الاسلام ذودا عن حياض العقيدة كان يؤمل منها أن تكون سباقة بعد التحرر الى الأخذ بالمنهج الاسلامى الشامل بابعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فان ما يجرى من حولنا هنا وهناك فى العالم الاسلامى من ممارسات ودعاوى وشعارات اسلامية ترفع ، انما هى وسائل لامتصاص طاقة الجماهير المتعطشة للتطبيق الكامل للاسلام : اسلام الاستعلاء العقدى . اسلام العدالة الاجتماعية ، اسلام الاقتصاد القومى ، اسلام الشورى الصحيحة ، اسلام الثقافة المتحررة من كل هيمنة أجنبية شرقية أو غربية ، اسلام الوحدة الكاملة الشاملة الوطن العربى . ولا ريب أن التأكيد على الهوية الجزائرية الوطنية فى المنطقة المحصورة بين وجده وغار الدماء هى ثغرة اقليمية تقع فيها بلاد غربية أخرى ولا ريب أن جنسية المسلم هى عقيدته وكل الحدود والسدود هى التى صنعها الاستعمار والمسلم يؤمن بأن كل أرض تعلوها راية الاسلام هى أرض اسلامية ، لا بين المحيط والخليج ، بل من المحيط الى المحيط .

يجب أن نفرق ونحن نتحدث عن علاقة الدولة العثمانية بالعرب بين أمرين :

الأول : ان العرب هم الذين سعوا الى الاندماج فى العثمانية باعتبارها رافعة لواء الاسلام وفى مواجهة اخطار الغزو الغربى المتجدد .

الثانى : أن هناك فارقا بين حكم الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد الى عام ١٩٠٩ وما بعد ذلك وهو حكم الاتحاديين الذين سلموا طرابلس الغرب لايطاليا وفلسطين لليهود وأدخلوا الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى دون مبرر قوى .

التغـــــــريب

* الغرب والاســـلام .
* مخططات البحر الميت .
* محاولة لويس بعد هزيمة المنصورة .
* الطهطاوى ومحمد على : بوابة التغريب .
* قرار ١٩٠٧ كامل بنرمان .
* شـــــهادة حق .
* الثورة الفرنسية والحركة الوطنية .
* قانون نابليون .
* لبنــان والارســاليات .
* كرومر : رأس الافعى .
* العرب والدولة العثمانية .
* دنلوب .
* اتاتورك .
* هزيمة ١٩٦٧ .

(٢٤)

الغرب والاسلام

ان الامم الاوربية تنصرت فى القرن الثالث والسادس من ميلاد المسيح وبقيت كذلك فى غفوتها طوال عشرة قرون ثم تيقظت من نحو أربعة قرون فقط بينما نهض الاسلام بمنعته واقام حضارته الباهرة منذ القرن الاول للهجرة فلم يكن الاسلام سبب تأخر المسلمين ولم تكن المسيحية سبب تقدم أوربا .

يقول فيكتور سحاب (المستقبل العربى) كانت دولة الاسلام حليفا طبيعيا للنصارى العرب ، ما داموا فى صفها السياسى لا فى صف الدول العدوة ولا حاجة اذا بالنصارى العرب الى الغرب بل ان الغرب هو الذى توسل الى مصالحه بحماية من النصارى العرب وجعلهم فى كثير من الاحيان يدفعون من دمهم ثمن تحويلهم الى ترس يختبىء الغرب من ورائه ، حدث ذلك كلما كانت تقوم للغرب دولة فى منطقتنا : الحقبة البيزنطية ، الحقبة الصليبية ، الحقبة الحالية ، طالب فارس الخورى السورى حماية المسلمين للنصارى العرب من مرامى الدول الغربية ونوازعها .

* * *

كانت كل هزائم المسلمين عن طريق الرشوة أو المؤامرة ، يظهر ذلك جليا فى الثورة العرابية وفى مقاومة العلماء لمحمد على ويقول المؤرخون انه لو لم يرش محمد على قبائل العرب بالمال ويستعين بهم على الوهابيين لما استطاع التنكيل بهم (المقتطف سبتمبر ١٩٠١) .

ازكى الاستعمار فى العصر الحديث فكرة باطلة هى أن هناك استعمارا تركيا وأزكى فكرة الثورة العرابية ضد الاتراك وعمل على تعمق الخلاف بين السنة والشيعة وبين الفرس والعرب وكان من نتيجة ذلك ما انتهت اليه الثورة العربية من تمزق الدولة الاسلامية ووضع الدول العربية تحت الانتدابات والواقع أن مفهوم الاستعمار على هذه الصورة لم يعرفه العثمانيون وانما وجد مع النفوذ الغربى .

* * *

سقطت الدولة الرومانية ٤٧٦ م واستمرت الدولة الرومانية الشرقية بعد ذلك عشرة قرون حتى دخلها محمد الفاتح واستولى على القسطنطينية بدا عصر النهضة فى أوربا نتيجة زحف المنهج العلمى الاسلامى اليها ، ولما اشتد ساعد الغرب استدار على العالم الاسلامى حيث بدا عصر الاستعمار وحكم الامبراطوريات وتخلفت تركيا بعد مؤتمر فيينا ١٨١٥ منذ ان استولى المسلمون على القسطنطينية ١٤٥٣ .

وظهرت فرنسا وبريطانيا كدولتين عظمتين ، وكذلك روسيا القيصرية ، وتقلصت اسبانيا والبرتغال والامبراطورية الرومانية المقدسة ومهدت الثورة الفرنسية لظهور نابليون والحملة على مصر .

يؤكد بعض الباحثين ان انفصال العرب عن الجامعة الاسلامية المثلة فى الاسلام هو من اخطر التحديات التى واجهت المسلمين فى العصر الحديث فقد كشف خطر التمزق عن اثره البعيد على النتائج التى حدثت والخطوات التى اتخذت لانفصال الجزء عن الكل وعجزه عن القيام بنفسه ، وكانت المؤتمرات تنتظر العرب لتصدع بنيانهم ولكى تجتاحهم وكان هناك العجز عن حفظ الوجود وايجاد المناعة وكان خروج العرب عن الوحدة الجامعة خطرا شديدا فسرعان ما انتقل العرب من العروبة الاسلامية الى الاقليمية المغربة ، ويرى البعض ان هذا العمل الاستعمارى كان مقصودا به التمهيد لانشاء الدولة اليهودية التى هى غاية الصهيونية والتى كانت تعمل لها منذ وقت بعيد وان كان برنامج الوطن القومى لم يوضع الا فى أواخر القرن الماضى بدأ زعماء اليهود يجمعون المال لانشاء المستعمرات فى فلسطين ويبذلون جهدهم لدى الباب العالى .

* * *

عاش النصارى مسيحيو الشرق ، الروم مسيحيو بيزنطة ، الفرنجة مسيحيو الغرب فى ظل الدولة الاسلامية سواء كانوا مغاربة ، آراميين ، أو مشارقة يعاقبة ، أو موارنة أو سريانا كاثوليكيين ، نساطره ، أو كلدانا

أو ملكيين ، عاشوا فى أمان على أساس عقد الاسلام الذى وضعه القرآن وانفذه النبى صلى الله عليه وسلم وصكه عمر بن الخطاب فى القدس .

جرت ثلاث سفارات بين النصارى والمسلمين :

سفارة سفروبنوس بطريرك أورشليم مع عمر بن الخطاب .

سفارة حنا (بولس) بطريرك القسطنطينية مع محمد الثانى (الفاتح) سلطان الترك .

سفارة البطريرك اللبنانى الحويك مع الانتداب الفرنسى اللبنانى .

احتفل الانجليز بالذكرى العاشرة لفتح بيت المقدس فى (٩ ديسمبر ١٩٢٧) فى اجتماعات عقدت فى لندن لتنفيذ مشروع جمع خمسين ألف جنيه لانشاء كاتدرائية سان جورج ومبلغ سنوى قدره خمسة آلاف جنيه وانشاء مدرسة للصبيان ، الاجتماع عقد فى كنيسة وستمنستر وخطب رئيس اساقفة كنتربرى وأسهب فى الكلام على موقف الكنيسة الانجليكانية وكان السير صموئيل هور (اليهودى) هو منظم المشروع .

(٢٥)

مخطوطات البحر الميت

أدى دخول احد الرعاة البدو القاطنين قرب بيت لحم واسمه محمد الغريب الى احد الكهوف فى وادى قمران شمال غرب البحر الميت الى مغارة مجهولة فوجد هناك عددا من الجرار المغطاة ففتحها حيث كانت فى داخلها مخطوطات قديمة ، تبين بالبحث والدراسة انها مما كتبه أصحابها الاسنيون على جلود الحيوانات وهى تضم أسفار العهد القديم أو التوراة وانها موضوعة فى هذه الكهوف قبل ميلاد المسيح بحوالى قرن من الزمان كما عثر على عدد من المحابر احداها من مادة البرونز .

وقد تبين من نتيجة الدراسات التى قام بها عدد كبير من علماء التاريخ والآثار فى منطقة قمران على المخطوطات التى عثر عليها ان مكتشفات قمران تعود الى طائفة الاسنيين التى اشتهرت بالايمان التوحيدى والاستقامة وافراد هذه الطائفة كانوا على شريعة موسى واضطهدوا من حافظ على الشريعة وخاصة طائفة الاسينيين والفرنسيين .

واشارت مجلة للانتينا البرتغالية (سان بولو) ١٩٧٨ تحت عنوان (هل العهد الجديد صحيح) الى ان دراسة ملفات البحر الميت قد ادت الى ثورة فكرية فى تعاليم الانجيل وخاصة فيما يتعلق بالعهد الجديد وقد قامت لجنة من الاخصائيين بدراسة هذه الملفات يتقدمهم العالم الشهير جون ماركو اليكوى الذى أخذ يعتقد من خلال ما اكتشفه فى هذه المخطوطات ان المسيح عليه السلام لم يمت مصلوبا وقال ان هذه الملفات لم تنشر جميع فحواها بعد لان ما ثبت فيها يشكل خطرا على الديانة المسيحية ذلك أن هذه الملفات تثبت براءة المسيح من عقيدة الصلب لأن عقيدة الصلب والتثليث جاءت متأخرة جدا بعد المسيحية .

(٢٦)

محاولة لويس بعد هزيمة المنصورة

قاد لويس التاسع الحملة الصليبية السابعة الى مصر ، وهزم بها شر هزيمة وكان فى بدأ حملته قد نزل قبرص وقام باتصالات مكثفة بالمغول لتنسيق العمل معهم وكان يرى انه بالقضاء على قوة مصر فقد قضى على قوة العالم الاسلامى وبذلك خطط للهجوم فنزل دمياط ٦٤٧ هـ ــ ١٢٤٩ م اثناء انشغال الملك الصالح فى اخماد الفتن واستعد للزحف على القاهرة ووصل الى المنصورة وفيها هزم واقتيد للاعتقال فى دار ابن لقمان ليفتدى نفسه .

ولا ريب أن سماحة حكام مصر المسلمين هى التى انتنت بالافراج عن لويس حقنا للدماء ورغم ذلك فان خيانة العهد كانت دائما طابع الصليبيين : ذلك أن لويس بعد أن افتدى نفسه فى مصر عاد الى عكا وظل بها أربع

سنوات حاول خلالها القيام بمؤامرات مختلفة بين أمراء المسلمين للقضاء على وحدة كلمتهم ولاستغلال المتناقضات بينهم لصالحه ولم يكتف بذلك ، بل اكمل ما بداه في قبرص وهو الاتصال بالمغول لمفاوضتهم لتطويق أراضى العالم الاسلامى معه ولكن المغول آنذاك كانوا فى شغل بأمور داخلية . وبدأ لويس فى تحقيق هدفه ٦٥٥ هـ — ١٢٥٧م بعد مغادرته لفلسطين بعامين تقريبا ، الا أن لويس ترك للامراء الصليبيين المقيمين بالشام استكمال ما بداه من مفاوضات مع المغول وهو ما تم فيما بعد وانتهى بالغزو المغولى الى أن انتهى الاستيلاء على بغداد دمشق وكانت هزيمته فى معركة عين جالوت .

وذهب لويس بعد ذلك الى تونس وقتل ولكن بعد أن ترك الخطة الخطيرة فى حرب الكلمة التى دعا اليها المبشرين والمستشرقين .

* * *

(٢٧)

الطهطاوى ومحمد على : بوابة التغريب

ان رؤيا رفاعة الطهطاوى للنفوذ الأجنبى الذى كان قد بدأ فى محاصرة مصر لم تكن واضحة تماما وكان حسن الظن بالحضارة الغربية وأوربا بحجب الرؤية الصحيحة للخلفيات الخطيرة والنيات المتآمرة المبيتة . وحسن الظن هذا قد استمر طويلا وأشار اليه الدكتور محمد حسين هيكل وقال انه خدع به طويلا حتى راى محاولات الاحتواء والسيطرة الخطيرة ممثلة فى حركة التبشير .

وقد كان حسن ظن رفاعة بأن هذا الفكر الغربى الذى راه فى أوربا هو عربى اسلامى اصلا ولذلك فلا باس من استرجاعه فى صورته الجديدة بينما لم يكن الأمر كذلك فان الاوربيين اخذوا نقاطا معينة من الفكر الاسلامى وصهروها داخل بوتقة تفكيرهم المسيحى والوثنى والرومانى واليونانى القديم . ذلك لم يستطيعوا أن يحملوا لواء حركة اصيلة قائمة على مفهوم الدين الحق ولكنهم انتقوا ما صهروه فى بوتقتهم وحافظوا به على وجودهم وجددوا به كيانهم دون أن ينصهروا هم فى الفكر الاسلامى أو فى مفهوم الاسلام للمجتمع والحضارة .

ومن هنا فقد كانت محاولة ابراز رفاعة لدى الماركسيين وكذلك الأمر فيما يتعلق بالكواكبى الذى الف كتابا عن الاستبداد .

ولعل رفاعة فى السنوات الاخيرة من حياته حينما راى غلبة القانون الوضعى وعجزه عن الاستجابة لفكرة تقنين الشريعة الاسلامية قد أحس تماما بفساد وجهة نظره كلها سواء فى الاعجاب بالحضارة الغربية أو بالدعوة الى المصرية الاقليمية أو العامية أو حب الوطن فان هذه المعانى لم تكن فى ذلك واضحة من حيث خلفيات النفوذ الأجنبى الذى أراد بها ضرب الجامعة الاسلامية والوحدة الفكرية الاسلامية .

وهذا الخطر هو ما تنبه له من بعد جمال الدين ومحمد عبده وغيرهما مما دفعهم الى المحافظة على الذاتية الاسلامية دون أن تنصهر فى الحضارة الغربية . والمعروف أن محمد على قد أعاد للفرنسيين نفوذهم الاقتصادى والفكرى بعد أن هزمتهم القوة الاسلامية الوطنية التى حطمها محمد على وهى قوة العلماء ، ولقد أيد رفاعة هذا الاتجاه التغريبى الذى قام به محمد على حين جمد الازهر وانشأ نظاما تعليميا عصريا وأوجد للفرنسيين نفوذا ثقافيا وتعليميا وتربويا حين يقول (لو لم يكن لمحمد على من المحاسن الا تجديد المخالطات المصرية مع الدول الاجنبية لكفاه ذلك) فقد كان رفاعة غير بعيد النظر عن الخطر السابق بالاحتلال الفرنسى الذى انتهى عسكريا واستبدل به محمد على نفوذا سياسيا واجتماعيا وثقافيا ظل ممتدا ومؤثرا الى ما بعد الاحتلال البريطانى بل الى اليوم ولعل رفاعة الطهطاوى لم يعلم ان محمد على كان عاملا من عمال النفوذ الفرنسى حين سعى الى التدخل فى المغرب لحساب فرنسا وهذا ما دعا الانجليز الى تحطيمه .

وحين يتحدث رفاعة عن وحدة الفكر الانسانى ويرى أن الفكر العربى (أى الاسلامى) رافد من روافده يخطىء اشد الخطأ فان الفكر الاسلامى له ذاتيته الخاصة التى لا تنصهر فى الفكر البشرى الذى يمكن أن يتلاقى شرقيه بغربيه ، غنوصية بهلينية ، لانه من مصدر واحد حضارات بابل وآشور والهنود وفارس والمجوسية واليونان ؟ كل هذه لها سياج تقف عنده ولا تتعداه الى الفكر الاسلامى الاصيل الغنى الذى ليس فى حاجة الى

اضافة ولا الى امتصاص ولا تلاقح على حـــد عبارتهم الشائنة .

وانما يحتاج الى الأساليب والوسائل الحــديثة والمستحدثة فقط ولا يستطيع أن ينصهر لتركيبه الربانى المصدر الانسانى الوجهة الخالص الجامع مع فكر بشرى مادى وثنى اباحى جزئى وانشطارى .

وعلى العموم فان لرفاعة أجر المجتهد الذى أخطأ .

يقـــول أحد الباحثين : ما لبثت أبواب مصر أن انفتحت أيام محمد على وخلفائه أمام تدفق الافكار والنظم الغربية المسيحية التى اصطدمت بالاطار العقــائدى الاسلامى وفككته . حقيقة أن محمد على فى اقتباسه من الغرب كان يهدف الى فتح نافذة محدودة ، الا انه لم يدر انه بذلك قد فتح الباب على مصراعيه أمام تدفق الطوفان الذى دمر الاسس التى كان يقوم عليها المجتمع المصرى مما أدى الى اضمحلال أو انهيار النظام السياسى القديم وتفكك القوالب الاجتماعية والثقــافية الاســلامية وتم ــاستيراد مجموعة من النظم والقوانين والمقاييس الغربية التى ظلت لفترة طويلة غريبة عن الكتل الجماهيرية ولا يتفق مع حاجات ومشاعر السكان المسلمين .

وجاء اسماعيل فقال ان مصر قطعة من أوربا واقام المحاكم المختلطة والمحاكم الاهلية ، وتوقفت الشريعة الاسلامية تماما وحجبت ، وكان القضاء موصى به من الاستعمار الفرنسى نقلا من نظامهم الاستعمارى فى الجزائر كما اعترف بذلك نوبار باشا اعترافا صريحا فى مذكــرة رفعها الى اسماعيل (١٠ اغسطس ١٨٦٧) .

وكان الخديو اسماعيل مســتعدا لمنح الاجانب امتيازات جديدة بل منحهم نفس ما للوطنيين من حقوق بما فيها حق امتلاك العقار . وقال نوبار وهو يفتح بوابة التغريب على مصراعيها فى مذكراته : « ان التقدم لا يأتى الا من ناحية أوربا ونتطلع الى اشراك هذا العنصر المتمدن ونود أن نستجلب رءوس الاموال بأن نهيىء لها استغلالا مدر للربح » .

وقد أغدق اسماعيل الهبات على بعثات التبشير الفرنسية المتعاونة مع الاستعمار من الصين الى اعماق افريقيا .

وفى رسالة مسيو بوحاد قنصل فرنسا فى مصر ١٨٦٩/٥/٢ : ان اسماعيل منح رئيس اساقفة اللاتين بمصر قطعة أرض مساحتها ٣٥٠٠ ذراع فى موضع حسن جدا (١٥٠ الف فرنك ذهب) ومنح الراهبات اعانة سنوية (٦ آلاف فرنك ذهب) وهبة (٢٠٠ الف فرنك) ومنح أساقفة اللاتين منحة أخرى هى أرض مساحتها ٦ آلاف ذراع وكانت منذ عام ١٨٦٧ قد بدأت مدارس الاستعمار الفرنسى والبريطانى فى العمل فى مصر وجميع عمــلاء الغرب من رجال الخديو اسماعيل انما صنعتهم هــذه المدارس (المحافل الماسونية + المدارس التبشيرية) .

والمعروف أن مصر وقعت فى براثن الاحتلال نتيجة المضاربات المالية والافلاس الاقتصادى وسقطت قبــل الاحتلال البريطانى فى أيدى الدائنين اليهود وافتتح بنك الكريدى ليونيه فى اسكندرية (١٨٧٤) وبنك الرهونات (١٩٠٠) .

* * *

من ابرز الفوارق المميزة بين الحضارات ما تتميز به الحضارات الاسلامية فى مجال الطب ، فالطب فى الاسلام طب للعامة وقد حطم القاعدة الوثنية التى كانت تعتنقها الحضارة الفرعونية والحضارة الرومانية وهو القضــاء على المريض الضعيف وحجب الدواء عنه وقصر الدواء على الثراة والسادة .

(٢٨)

قرار سـنة ١٩٠٧ كامبل بنرمان

وجه رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩٠٧ الدعوة الى لجنة من كبار علماء الغرب وقدم لها ورقة عمل على هذا النحو :

ان الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تسيطر الى حد ما ثم تنحل رويدا ثم تزول والتاريخ ملىء بهذه التطورات وهو لا يتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل امــة فهناك امبراطوريات روما واثينا والهند الصينية وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيرها .

فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون

السقوط والانهيار أو تؤخر مصير الاستعمار الأوربى وقد بلغ الآن الذروة وأصبحت أوربا قارة قديمة استنفدت مواردها وشاخت معالمها بينما العالم الاخر (العالم الاسلامى) لا يزال فى شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية هذه مهمتكم أيها السادة .

وقد أخذت اللجنة فى دراسة تاريخ الامبراطوريات وكيف نشأت وكيف حكمت وكيف انحلت وأسباب هذا الانحلال من كافة النواحى السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية وأخذت تدرس وضع الامبراطوريات الحاضرة وكيف يمكن ان تدوم ومن أين يمكن أن تأتيها المخاطر ؟

وانتهت اللجنة الى اقرار خطة المستقبل على النحو التالى :

(أولا) : اهمية السيطرة على البحر المتوسط لانه الشريان الحيوى للاستعمار فهو الجسر بين الشرق والغرب وملتقى طرق المواصلات فى العالم وأن من يسيطر على شواطئه الجنوبية والشرقية يستطيع التحكم فى العالم

(ثانيا) : استبعد التقرير اى خطر على الاستعمار فى المستعمرات الحرة ، اى البلاد التى استوطنها الانجليز مثل جنوب افريقيا ، كندا ، استراليا ، كما قلل من خطر استغلال الهند والملايو والهند الصينية ، ومناطق جنوب شرق آسيا لأن المشاكل الدينية والعنصرية والطائفية واللغوية ستشغل هذه الاقطار فور استقلالها ولأجل طويل .

وقلل التقرير من خطر المستعمرات فى افريقيا فى المحيطين الأطلسى والهادى لانعزالها .

أكد التقرير ان مصير هذه المستعمرات هو الارتباط بالدول الاوربية اقتصاديا وثقافيا حتى اذا انعدم ارتباطها السياسى والعسكرى نتيجة للاستقلال .

(ثالثا) : اكد التقرير أن الخطر على الاستعمار يكمن فى البحر المتوسط صلة الوصل بين الشرق والغرب وفى حوضه حيث تمهد الديانات والحضارات وانه يسكن فى هذه المنطقة شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ واللغة والدين وكل مقومات التجمع والترابط ، هذا فضلا عن ثرواته الطبيعية ونزعة أهله للتحرر فلو اخذت هذه المنطقة بكل الوسائل الحديثة وامكانيات الصناعة الاوربية وانتشر التعليم فيها فانه ستحل الضربة القاضية حتما بالامبراطوريات الاستعمارية وعندها ستتبخر احلام الاستعمار الغربى فيجب اذن على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار « تجزئة » هذه المنطقة وابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر ، وأن تعمل على وضع هذه المنطقة المجزأ المتأخر مع بقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وجهل ، وهذا يستلزم فصل الجزء الافريقى فى هذه المنطقة عن الجزء الاسيوى .

كما أوصى التقرير بضرورة محاربة اتحاد هذه الجماهير أو ارتباطها بأى نوع من الارتباط الفكرى أو الروحى أو التاريخى .

وكاجراء سريع لدرء الخطر أوصى التقرير بضرورة اقامة حاجز بشرى «قوى وغريب» فى منطقة الجسر البرى الذى يربط آسيا وافريقيا ويربطهما معا بالبحر المتوسط بحيث يشكل فى هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة » .

والمعروف أن الاستعمار كان قد التقى فى هذه الفترة مع الصهيونية واتفقا على هدف واحد : الاستعمار يرمى الى محور ترابط المنطقة والصهيونية تريد السيطرة على فلسطين وبيت المقدس .

* * *

أشار مؤلف كتاب « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » الى تحديات اليونسكو وذكر مؤلف كتاب « اوقفوا هذا السرطان : حقيقة الماسونية » للدكتور سيف الدين البستانى الى أن ٨٠ فى المائة من موظفيها يهود وأن ٤ آلاف موظف فى الأمم المتحدة هم أيضا يهود وأن السكرتارية العامة للامم المتحدة بها ٩٠ فى المائة يهود .

* * *

(شهادة حق)

يعد تقرير السير ريتشارد وود قنصل دولة انجلترا الجنرال ووكيلها السياسى فى تونس الى ناظر الخارجية للدولة الانجليزية فى الكتاب الأزرق ١٨٧٨ وثيقة خطيرة تكشف عمق فهم هذا الرجل للمسلمين (نشره السيد محب الدين الخطيب ١٩١٢ بجريدة المؤيد) وقد عرف السير ريتشارد المسلمين فى سوريا قبل أن يعرفهم فى تونس وكانت له صلة دائمة بالعلماء أيام كان قنصلا لدولته فى دمشق ، يقول : من أوهام الناس أن الاسلام يمنع مساواة أهل الذمة بالمسلمين فيما لهم وما عليهم وينبو عن الاخذ بأسباب التقدم والحضارة لانه لا يجيز انتشار المعارف والتحلى بالعلوم .

واذا رجعنا الى فتوى الشيخ احمد بن الخوجة شيخ الاسلام بالملكة التونسية وهو أحد مشاهير علماء الاسلام وفتواه تقرر أن الاصل فى الاسلام قاعدة : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن أوكد الواجبات على الخلق التعاون والتآزر على حفظ المصالح وتأييد الحق وكف النفوس عن شهواتها والقرآن يتضمن أحكام الدين وفى الوقت نفسه يشمل الأمور الدينية والاصول السياسية ومعلوم أن أهل الذمة لهم ما للمسلمين وعليهم ماعليهم اذا ثبت أن غايتهم الوطنية موافقة لغاية المسلمين وانهم مثلهم فى ايثار مصالح الوطن والخير العام ، فاذا ما اتفقت كلمة الشعب من كل المذاهب واتحدت غاياتهم وقع الاتحاد الوطنى الذى هو الوسيلة الوحيدة لسيادة الأمة وراحتها وبدونه يكون المجتمع فى الخطر العظيم . وقال أن الشيخ أحمد بن الخوجة قال أن الحرية التى نحن ملزمون بها لمن هم ليسوا على ديننا توجب علينا أن نستمع شكواهم وان نتدارك ما يضر بمصالحهم وقد نص (القرافى) وابن حزم على أن من حق حماية أهل ذمتنا اذا تعرض الحربيون لبلادنا وقصدوهم فى جوارنا — أن نموت فى الدفاع عنهم ، ويقول القرافى ما معناه : ان من واجب المسلم للذميين الرفق بضعفائهم وسد خلة فقرائهم واطعام جائعهم والباس عاريهم ومخاطبتهم بلين القول واحتمال أذى الجار منهم مع القدرة على الدفع واخلاص النصح لهم فى جميع أمورهم ولا يخفى على المتأمل فى هذه الفتوى انها تنتج أمرين مهمين :

الأول : ان الاسلام يجيز استشارة أهل الذمة فيما يتعلق بالنظامات الدنيوية والا لما كان يجيز للامام أن يستعين برأيهم ويعمل بمشورتهم ويقبل مفاوضتهم فى نوازل المسلمين .

الثانى : ان الاسلام لا يمنع من استخدام النصارى واليهود اكثر مما يقتضى الحال وتستلزمه الضرورة الوقتية والواقع أن الاكفاء من النصارى كثيرا ما نابوا عن السلطان العثمانى لدى الدول الأجنبية فى النوازل المهمة جدا .

٢ — ان الذى يدرس نصوص الشريعة ويختبر مقاصدها الحقيقية يجدها بعيدة بمراحل عما ينسبه اليها ذوو الاغراض ، وحاشا ان يكون الاسلام غير واف بما يستدعيه الظروف والاحوال من الاصلاح وكبار العلماء متفقون على أن **كل ما يتعلق بالعبادات من أحكام الدين** هو الذى لا يقبل التغيير بوجه أما فيما يتعلق بالاسياسة والادارة فليس كذلك ، وقد روى عن امير المؤمنين عمربن عبد العزيز أنه كان يقول : تحدث للناس أقضيه بحسب ما يحدثونه من الفجور .

(ثالثا) : ان كثيرا من مؤلفى الافرنج يزعمون أن المسلمين لا يتسنى لهم التقدم والارتقاء فى معارج الحضارة ما داموا مقيدين بنصوص القرآن التى يقولون انها تلائم المعارف واكتساب الفنون ، وهذا ايضا وهم باطل نشأ عن الجهل بمقاصد القرآن ويكفى برهانا على بطلانه تاريخ صدر الاسلام وعناية علماء العرب بالمعارف والفنون ودرسهم كتب الحكماء الاقدمين مثل أرسطو واقليدس وابقراط وبطليموس وغيرهم .

٤ — ان اكبر بواعث سوء التفاهم بين المسلمين والعرب هو انتشار الظن فى أوربا بأن الاسلام دين القوة والسيف ولكن هذا الظن مخالف للواقع ، ولما جاء فى القرآن « وقاتلوا الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » .

وصاحب الشريعة الاسلامية قد ميز بين اهل الكتاب وهم النصارى واليهود وبين المشركين من العرب وقد وقع بين الخليفة الثانى : عمر بن الخطاب وبين بطريق بيت المقدس اتفاق يضمن حرية النصارى ويمنحهم امتيازات وفى بها .

(رابعا) : والذى يبحث بحثا دقيقا عن أسباب

الفتنة التى سفكت فيها الدماء فى المشرق (فتنة لبنان ١٨٦٠) يعلم ان الباعث الوحيد على حدوثها هو أصبع السياسة الأجنبية التى تنتهز الفرص لايقاد نار الفتنة بين ذوى الاحقاد ، ولم يكن أولئك المفسدون يحسبون ان هذه الفتنة تجر الى القتل والفظائع . ومن هذا القبيل واقعة الدروز والموارنة وواقعة الصقالبة والبلغاريين وقد تبين أن الاعتداء انما كان يبتدىء من جانب النصارى (١) .

* * *

(٣٠)

الثورة الفرنسية والحركة الوطنية

حاول دعاة التغريب اعطاء الثورة الفرنسية آثارا فى العالم الاسلامى والأدب العربى . صدرت هذه المقولة من جماعة المثقفين الذين تأثروا بالثقافة الفرنسية وخاصة فى بيروت التى كان لها ولاء ثقافى وفكرى وعقدى مارونى وفى مصر كانت هناك مجموعة توالى هذا التيار من أمثال أديب اسحق وفرح انطون .

وكان لموقف فرنسا — لفترة من الزمن — فى الترحيب بالدعاة الى الحركة الوطنية أمثال مصطفى كامل اثرا فى هذا التصور الذى اتصل أيضا بهجرة جمال الدين الافغانى ومحمد عبده الى فرنسا واصدار مجلة العروة الوثقى ١٧٩٨ وكان الاتصال بالفكر الفرنسى يعد مقاومة للنفوذ البريطانى الذى جاء من بعد وأن ظل الصراع بين الثقافيين قائما أمدا طويلا .

ولعل هذا يرجع كما يقول بعض أولياء الثقافة الفرنسية الى أثر الحملة الفرنسية واللون الذى غلب أيام محمد على الكبير ومن بعده فى اسرته وخلفائه .

ثم كانت جماعة التغريبيين أمثال طه حسين ومحمود عزمى وذلك الولاء الظاهر فى شعر شوقى وكتابات الانسة مى وما يتصل بالترجمة من الأدب الفرنسى . وما كتبه أمثال جوستاف لوبون وغيره .

وكان أبرز ما يحاول هؤلاء جميعا أن يبرزوه : دور الثورة الفرنسية فى تحرير البشرية وقد كانت كتاباتهم حماسية بلاغية وكانت تخفى الخلفيات التى عرفت من بعد وهى أن اليهود هم الذين صنعوها للخروج من الجيتو وقد حاولوا ان ينسبوا اليها الافضال التى لا تطال .

ولكن جوستاف لوبون فى كتابه فلسفة التاريخ كشف زيف هذا وقال : ان الامتيازات التى الغتها الثورة الفرنسية كانت سائرة نحو الزوال قبل حدوثها وأن تحرير الفلاحين كاحدى النتائج الكبرى التى أسفرت عنها الثورة الفرنسية ثم مثل هذا من قبل فى بلدان اخرى منها حكومة فيينا وتحققت نتائج اخرى فى هنجاريا ورومانيا من غير حركة ثورية ولقد امتدت هذه الحماسة حول الثورة الفرنسية وقتا طويلا، وكانت ترمى الى اعلاء شأن فرنسا والدعوة الى مشروع المتوسطية الذى يحاول الادعاء بأن للبلاد التى من حول البحر الأبيض المتوسط ثقافة مشتركة وهى نظرية استعمارية سياسية تولاها طه حسين ومحمود عزمى وكثيرون .

ولقد كشفت تلك الاحداث التى قامت بها فرنسا فى بلاد الشام بعد الحرب العالمية الثانية حين ضربت دمشق بالقنابل عن حقيقة واضحة هى أن الولاء الذى أولاه الكتاب العرب والمصريون لفرنسا انما كان ولاء مشبوها ومضللا .

ولما هاجمهم الكتاب العرب والوطنيون ادعوا أن هناك تفرقة بين فرنسا السياسية المستعمرة وبين فرنسا الادبية المتمدنة على حد تعبير احمد حسن الزيات الذى قال أن فرنسا الروحية هى الوطن الفكرى لكل اديب . ومن ذلك ما كان يردده أمثال الياس أبو شبكة ورعوف خورى من انه ان يكن نابليون فشل فى فتح سوريا فقد تولى هذا الفتح مكانه اعلام الفرنسيين من رجال الادب والعلم، وذلك الادعاء العريض بأن لفرنسا دورا فى الثقافة العربية الاسلامية .

يقول ساطع الحصرى : قال البعض يجب أن نميز بين فرنسا الادبية المتمدنة وفرنسا السياسية المستعمرة ولكن هل يمكن التمييز بينهما ؟ ، انا لا أقول بذلك أبدا لان الادب الفرنسى نفسه لم يلتزم الحياد تجاه السياسة

الفرنسية بوجه عام وحيال السياسة الاستعمارية بوجه خاص بل بعكس ذلك فقد انبرى لخدمة تلك السياسة بكل الوسائل الممكنة .

فقد كتب الادباء الفرنسيون المقالات والخطب والاشعار والقصص والروايات التى تمجد الاستعمار وتزينه فى النفوس ، والاكاديمية الفرنسية اختارت رجالها من بين صناديد الاستعمار ، وقد انتخبت المارشال ليوتى عضوا بها وهو من اكبر رجال الاستعمار وفى خطبته الافتتاحية قال ان الاستعمار مصدر هام للقوة والثروة ومنبع لا ينضب للجيش وساحة تدريب وتكوين للقواد .

لقد كان سقوط فرنسا بين أيدى الالمان فى لحظات قليلة دليلا على انهيارها الداخلى وفسادها الاجتماعى وقد شهد بذلك زعيمها بيتان .

ومع ذلك فقد بكى عليها بعض اتباع النفوذ الغربى وحاولوا الدفاع عن هذا الانهيار . كذلك فقد ثارت مقولة تقول بأن العرب والمسلمين لم يستيقظوا الا بعد أن جاءت الحملة الفرنسية ١٧٩٩ فايقظتهم وهذا محض افتراء فان المسلمين قد استيقظوا قبل ذلك من مصدر داخلى اصيل هو حركة التوحيد التى قادها عام ١٧٤٠ الامام محمد بن عبد الوهاب فى قلب الجزيرة العربية وحركة اخرى فى اليمن والأزهر فى مصر .

والمعروف ان فرنسا هى التى صدرت الى البلاد الاسلامية ذلك القصص الماجن والمكشوف وتلك الدعاوى الباطلة فى الجنس والاباحة .

بل ان الادعاء بانها كانت موئل الاحرار والوطنيين هو ادعاء باطل لأن ذلك لم يدم الا قليلا حتى اتفق الاستعمار البريطانى والفرنسى باطلاق يد فرنسا فى تونس مقابل اطلاق يد بريطانيا فى مصر ، عند ذلك توقفت فرنسا عن السماح للوطنيين المصريين بالدعاية لقضيتهم وشجب هذا العمل وقد اتضح من ذلك ان الاستعمار واحد فى مصدره .

ولقد كان الاستعمار الفرنسى اقسى ألوان الاستعمار وقد ذاق منه اهلونا فى المغرب وسوريا العذاب الاليم ، كما كان مستشرقو فرنسا أقسى المستشرقين تعصبا وأعنفهم اتهاما للاسلام .

ومما يذكر المؤرخون ان الفرنسيين فى أبان الحملة الفرنسية قد حاولوا نقل السلطة الى الاقليات وقد نشأت حركة تنادى باستقلال مصر بقيادة المعلم يعقوب وبعض الزعماء الاقباط الذين خرجوا من مصر متجهين الى فرنسا وقت جلاء الحملة وانهم الفوا ما سموه الوفد المصرى . وانضم اليهم مغامر اسمه (لاسكاريس) واخذوا يكتبون المذكرات دفاعا عن فكرة استقلال مصر حتى تعود الى الدولة العثمانية ومات يعقوب فى عرض البحر ووضعت جثته فى برميل من الكروم (الخمر) حتى لا يتعفن الى ان وصلوا الى مارسيليا ودفنوه .

وأخذ أعضاء الوفد يطرقون أبواب بونابرت وارسلوا للحكومة الانجليزية ولم يجدوا أى استجابة وتشتتوا فى فرنسا فقد خاف هؤلاء على حياتهم بعد خروج الفرنسيين حيث لا مستقبل لهم فى مصر وفشلت محاولة فرنسا فى تكوين فرقة من الاقباط ممن جندوهم ودربوهم .

* * *

فى مؤتمر لكنو الهندى التبشيرى تلى تقرير القس ويلس وفيه أن التربية الغربية هى من قبيل قوة تنحل بها عرى الروابط الاسلامية .

المؤيد المصرية غرة رجب ١٣٣٠ (عدد ٦٧٠٦) نقلا عن مجلة العالم الاسلامى الفرنسية .

وجاء فى عدد ٦٦٩٦ من الجريدة ترجمة تقرير استورد كرفار :

ان المسلمين يعيشون من حيث لا يشعرون شطرا من المدينة النصرانية ويدخلونه فى ارتقائهم الاجتماعى وما دامت الشعوب الاسلامية تندرج الى غايات ونزعات ذات علاقة بالأنجيل فان الاستعداد لاقتباس النصرانية سيتولد فيها على غير قصد .

* * *

(٣١)

قانون نابليون

كان قانون نابليون من أخطر التحديات التى واجهت البلاد الاسلامية فقد غير تطبيقه كثيرا من مواضعات المجتمع الاسلامى وكانت ولاية القضاء قبل تأسيس المحاكم المختلطة والاهلية خاضعة للشريعة الاسلامية فلما جاء النفوذ الأجنبى عمل على حجب هذه الشريعة وفرض قانون نابليون : القانون الوضعى وكان للوزراء شريف ونوبار وبطرس غالى ولورد دوفرين اثر كبير فى ايجاد المحاكم الأهلية بحجة ايجاد فارق بين الادارة المصرية والادارة العثمانية ، وقد كان الباب العالىمعارضا لهذا الاتجاه .

ويقول الاستاذ محمد عبد اللطيف سعودىبمناسبة مرور خمسين سنة على قانون نابليون (١٩٣٣) ان وجود المحاكم الأهلية قوبل بتذمرات واحتجاجات وصدر بعضها من المفتى الاكبر الشيخ العباسى المهدى وقد انتهت بتركه دار الافتاء ، وكان هذا الاتجاه مفهوما لان البلاد اتخذت لأول مرة فى حياتها عام ١٨٨٣ (بعد الاحتلال البريطانى بعام واحد) شريعة جديدة تقيم الحدود وتحكم بين المتنازعين وترجع فى أحكامها لاراء دالوز وفستان هيللى وغيرهما من فقهاء الفرنسيين والطليان والبلجيكيين ، بعد أن كانت لا تعرف غير الشريعة الاسلامية وفقهائها .

وقد فرض اللورد كرومر أن يكون بجوار وزير الحقانية موظف انجليزى يسمى المستشار القضائى ، يمد الوزير بالنصح ويهيمن على تعيين القضاة ، وكان أول مستشار انجليزى فى وزارة الحقانية مستر سكوت ونتيجة للتحط فى الرجال دخل فى القضاء كثير من الرجال الضعفاء فى القيم والاخلاق .

وقد ظلت المحاكم المختلطة قائمة بجوار المحاكم الأهلية حتى صفيت بعد عام ١٩٣٧ وكانت تجرى مناقشاتها باللغة الفرنسية وكانت المحاكم المختلطة قد انشئت عام ١٨٧٦ قبل الاحتلال الانجليزى بسنوات ثم انشئت المحاكم الأهلية بعد الاحتلال على منوالها ، وقد كان لموقف عبد السلام ذهنى القاضى بالمحاكم المختلطة اثره المدوى حين امتنععن تلاوة الاحكام باللغة الفرنسية وتلاها باللغة العربية وقد أوقف عن العمل على اثر ذلك .

(٣٢)

لبنــان والارساليات

كان ابراهيم باشا فى السنوات التسع التى احتل فيها الشام (١٨٣١ ــ ١٨٤٠) قد شجع البعثات الدينية والادارية والأمريكية على الاقامة فى تلك البلاد وكان اليسوعيون بوجه خاص بحلول ١٨٤٠ كانوا قد وطدوا مركزهم منها من جديد وصار لهم نفوذ عظيم بين الطائفة المارونية فى لبنان (بدأت تابعيتها لكنيسة روما فى ايام الحروب الصليبية) لم تقتصر على الامور الدينية بل تخطاه الى العمل على تمكين السياسة الفرنسية فى بلاد شرق البحر الابيض . أما بريطانيا فقد انتفعت بصداقتها مع رؤساء عشائر الدروز بجنوب لبنان .

وفى عام ١٨٣٩ أصدر فرمانا يجعل جميع الاديان فى الدولة العثمانية أمام القانون سواء وقد وجدت فيه الطوائف المسيحية اكبر مشجع لها واستغله رجال الدين أما فرنسا فقد عملت جانب المارونيين بصفتها الحامية لطائفتهموكانت بريطانيا تشجع الدروز . وفى عام ١٨٦٠ قام الدروز بهجوم عام على المارونيين وذبحوا منهم نحو ١٤ الف نفس فى بيروت وخمسة آلاف فى دمشق .

واستغل الغرب هذه الأحداثضد الدولة العثمانية .

وفى عام ١٨٦٤ فتح الحكم الذاتى لسنجق لبنان بحيث يتولاه حاكم مسيحى يتقدم به النصارى وتعينه حكومة الدولة العثمانية وسمح للبعثات العلمية الفرنسية (التبشيرية) بمواصلة اعمالها الثقافية حتى قبل عام ١٩١٤ أكثر من نصف تلاميذ المدارس فى سوريا وفلسطين يتعلمون بمعاهد فرنسية وقد تبين ان فتنة ١٨٦٠ من الموارنة والدروز كانت نتيجة الصراع الدائر فى جبل لبنان بين الانجليز والفرنسيين ، وكان الانجليز وراء الدروز والفرنسيون وراء الموارنة ولم يكن جبل لبنان يعرف هذا

النوع من النزاع الطائفى قبل أن تتدخـــل الاصابع البريطانية والفرنسية التى كانت تتصارع على ميراث الامبراطورية العثمانية وقد كشف هذه الحقيقة تقرير مستر ريتشارد وود قنصل انجلترا ووكيلها السياسى فى تونس الى ناظر خارجية حكومية وقد نشرته الحكومـــة الانجليزية فى الكتاب الأزرق عام ١٨٧٨ (ترجم التقرير محب الدين الخطيب تحت اسم « الاسلام والاصلاح »).

هذا وترجع علاقات لبنان بفرنسا الى عهدالصليبيين فقد وصل الصليبيون الى لبنان ١٠١٩ م ٤٩٢ هـ منهوكى القوى فلو لم يساعد اللبنانيون اعداء الفرنجة عليهم (المسلمون) لما قامت لهؤلاء الفرنجة قائمة فى الشرق فلم يكتف اللبنانيون بعدم الانحياز الى الاعداء بل مدوا يد المساعدة الى الصليبيين على ما ذكر مؤرخوهم واخصهم غليوم مطران جور فاللبنانيون هدوا الصليبيين السبيل وتطوعوا فى الجيوش وحاربوا جنبا الى جنب مع الفرنجة وأصحابهم وكان للبنانيين يد فى فتح طرابلس وأورشليم الى آخر ما يحمله التاريخ للبنانيين فى ذلك العهد .

ولما تضاعفت قوات الصليبيين فى ســوريا لجأت بقيتهم الى لبنان فأنزلها اهلوه بينهم على الرحب والسعة وكان التاريخ يعيد نفسه دائما فى ما جرى من ٨٠٠ سنة يتجدد فى هاتين السنتين فلو أراد اللبنانيون شرا لزادوا موقف الجيش الفرنسى خطرا وفى الاشـــارة غنى عن الاسهاب وكما اهرق الجدود دمائهم تحت أسوارطرابلس هكذا آراق الاحفاد دمهم تحت أسوار راشيا على قمم كرومر .

(يراجع الفصل الرابع من كتاب فى سبيل لبنان المطبوع فى الاسكندرية ١٩٦٩ — عن جــــريدة الراية (يوسف السودا) ١٠ رجب ١٣٤٥) .

الماســونية والفنانون

لقد ثبت ان معظم الفنانين البارزين كانوا فى المحافل الماسونية : حسين رياض ، زكى طليمات ، احمد علام ، كمال الشناوى ، احمد كامل مرسى ، سراج منير ، أنور وجدى . ولقد عملوا على تحقيق رسالة الماسونية .

***

(٣٣)

كرومر : رأس الأفعى

عمل كرومر بعد الاحتلال على خلق طبقة أطلق عليها اسم اصحاب المصالح الحقيقية وصفها محمد لطفى جمعه بانهم محدثو الغنى وهم طبقـــة اجتماعية جديدة قوامها اشخاص لم يكونوا قبل الاحتلال شيئا مذكورا فصاروا بعده ملاكا والفضل فى غناهم راجع الى تقسيم أراضى الدائرة السنية وغيرها . كان الانجليز فكروا فى خلق هذه الطبقة من المظلومين والصعاليك فاهتدوا الى رجلين قديرين يقومان باعداد هذا العمل : هما ويلكوكس وارنست كابل اولهما للعمل الفنى وثانيهما لرأس المال فوزعوا اراضى جيدة بتراب الفلوس وكان ولكوكس يغنى من يشـــاء بغير حساب على ما فصله فى كتابه القيم (ستون عاما فى الشرق) .

وفى طرفة عين أصبح هذا الفريق من الاعيان يخبون فى القفاطين والجيب من الالاجة والشاهى والجـــوخ السلطانى ويضعون فى أوساطهم احزمة السلبند التى أحكم نسجها الحمصانى وصارت تلك الفيالق تعرف باسم أصحاب المصالح الحصيصة اى الذين يملكون الأطيان ويدفعون الضرائب وقد اختير لهم هـــذا الوصف الذى لا يوجد له مثيل فى أوطان العالم ليدللوا به عن ان دعاة الوطنية والاستقلال والجلاء لاتربة لهم ولا يسمع صوتهم لانهم لا يملكون الاطيان ولأن الذى ينادون به حلم من احلام ووهم من أوهام العامة .

وكان داب الانجليز ان الرأى فى كل مكان للرجل الذى وكلنا اليه أمره وكان الاحتلال قد انشأ جيلا من المشايخ الذين يسايرون القابض على زمام الامـــور ، ويسمونه اهل الحل والعقد .

وقد وصف محمد عبده مجلس النظار سنة ١٩٠٤ بانه مجلس الصم والبكم والخشب المسندة وكان لكرومر مستشارين فى المالية والداخلية والمعارف والاشغال وفى

الحربية وكانت اللغة التركية هى السائدة فى القصر والخديو نفسه يستعملها فى محادثة رجاله وخدمه فان شذ فالى الفرنسية أو الى العامية ، والحاشية رجال يمتون الى تركيا واليونان بأصولهم والى مصر بنشأتهم والى أوربا ببعض تعليمهم .

وكانت تقارير كرومر قد أوجدت نوعا من الادب الاستعمارى لم يكن معروفا من قبل الا فيما كتبه لورد ماكولى عن الهند ، وغاية هذا الادب تبرير الاغتصاب بحجة الاصلاح وعمل الغاصب على خير المغصوب ولو رغم أنفه . وقد نسب كرومر الى نفسه انه صديق الفلاحين اصحاب الجلاليب الزرقاء ميال الى العدل بين الدهماء .

وفى كتاباته يدس نبذا قصيرة بعيدة المرمى عن ضرورة الاحتلال ووجوب التسليم لبريطانيا فى سائر نواحى الحياة وتخلى المصريين عن الحكم لصعوبته وتعقيده وعجزهم عن تناوله ، وان مصر لم تمر عليهافترة من التاريخ وهى حرة بل قضت أجيالا فى العبودية وان انجلترا ارحم المستعمرين أى انها اعدل الظالمين واقلهم اجراما فانها لم تحتل مصر لاستعمارها بل لخير مصر ونفعها وقيامها بما انتدبتها لها العناية الالهية من واجب القيام على شئون الانسانية الضالة فى بيداء الجهل والفقر والظلم .

وقد تعلم على هذه التقارير لطفى السيد وسعد زغلول وقد وصفت بانها من الوثائق السياسية النادرة.

وقد استعان كرومر بمن لديه من الكتاب المأجورين والشتامين الذين حذقوافى افراغ اقذع القدح فىقالب المقال السياسى بكاتب نابغ هو الفريد ملنر الذى اخرج أول كتاب عن مصر فى عهد الاحتلال فى ١٨٩٣ .

وكان فى ذهن كرومر (ايفلن بارنج) فكرة مكونة عن استمرار الحكم الانجليزى فى مصر الى الابد بشرطين :

الأول : ان يقوم باصلاحات مادية يؤدى الى الرخاء واليسر(٢) وأن يخاق العاطفةالوطنية بطريقةالتهزئىتارة وطورا بادعاء أن البلاد غير ناضجة للاستقلال والحكم الدستورى وانها الى أن تصبح ناضجة محتاجة الى سند من الانجليز .

* * *

تستخدم الشركات الغربية نساء آسيويات لتجربة عقاقير منع الحمل التى تجرى على نسبة عالية من مادة الاوستروجين ، كما تستعمل شعوب العالم الثالث كحيوانات تجارب لتجربة الادوية جديدة عليهم قبل تجربتها على الأوربيين .

(٣٤)

العرب والدولة العثمانية

كتب الأمير شكيب ارسلان اجابة واضحة على التساؤل الذى كان مثارا أبان الثورة العربية التى قادها الشريف حسين وهو لماذا لم يشترك بعض زعماء العرب فى هذه الثورة العربية أمثال الامير شكيب وعبد العزيز جاويش وغيرهم قال : لم يمنعنا من الاشتراك بالثورة العربية سوى اعتقادنا ان هذه البلاد ستصبح نهبا مقسما بين انجلترا وفرنسا وأن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود وهذا التكهن كان عندنا مجزوما به حتى انى كنت اقول قبل الحرب : لو ارتفع الغطاء فما حصل بالفعل شىء غير ما كنا نقول . وكنت أقول لو علمت أن هذه الحركة ستفضى الى استقلال العرب ولا تسقط بها البلاد فى احضان الاستعمار الغربى لما سبقنى أحد الى رفع لواء الثورةعلى الاتراك فاما فيما بينالدولة العثمانية والشرق وبين الافرنج فكنت أفضل الدولة العثمانية ولم أزل أعلن على الملأولميكناعتقادنا انالبلاد صائرةالى ماصارت اليه بعد الحرب عن مجرد حدس وتخمين واخذ بالقرائن أو ادراك طرف من اطراف الغيب ، كلا بل كنا عدا القرائن والارهاصات قد عرفنا تقسيم فرنسا وانجلترا لسورية وفلسطين ١٩١٢ واطلعنا بعد ذلك على معلومات راهنة لا تقبل الرد وسأشرح هذه المسائل كلها مع غيرها فى كتاب انا مباشر تحريره تحت اسم البيان عما شهدته بالعيان ولما شاهدته من الأعيان من أعلان الدستور العثمانى الى الآن . وان هذا التقسيم الذى وقع ١٩١٢ اعترف به المسيو بونكاريه فى جواب اجاب به المسيو فكتور بيراز فى مجالس السنات فهو أمر راهن لا رجم بالغيب .

هذه المسائل ستعقب لى كتابات عنها مطبوعة قبل الحرب وفى اثناء الحرب وقد أعاد يوم نشر شىء منها منذ سنوات وهو خطاب مفتوح كتبت معها الى احد الاشراف قائلا ماذا تصنعون : اتقاتلون العرب بالعرب وتسفكون دماء العرب بأيدى العرب لاجل أن تكون

سورية لفرنسا والعراق لانجلترا وبعض اليهود تحت حماية هذه فكنا اذا على بينة من امرنا وكنا نعلم مصير القضية بدليلى العقـــل والنقل وياليتنا كنا المخطئين واستقلت البلاد ويا ليت نذرنا كانت وهما وظننا كان اثما ولم تلق علينا السلطة الاستعمارية بكلكلها .

(ابريل ١٩٢٩ الشورى)

(٣٥)

دنلوب

كان دنلوب هو اداة النفوذ الاجنبى فى تغيير التعليم المصرى من اسلوبه الاسلامى الى الاسلوب العلمانى الذى ما زال ساريا الى اليوم ولذا فان اى دراسة لهذا العمل يجب أن تبدأ من هذه النقطة .

يتحدث عن هذا معاصر له هو محمد لطفى جمعه :

عندما حضر دنلوب الى مصر كان عضوا فى البعثة الايقوســية وكان يلبس ثياب القسيس الاسكوتش ثم اندس فى مدرسة رأس التين لعهد ناظرها شعبان بك ودرس نظم التعليم الابتدائى والثانوى ، ثم خلق خـلافا شكليا بينه وبين ناظر المدرسة مع انه كان معـلم الخط الافرنجى ثم انتقل الى وزارة المعارف بأمر اللورد كرومر وما زال يعلو ويكبر ويستأثر ويستولى ويستبد ويتحكم ويخيف ويرهب ويعطى ويمنع ويثيب ويعاقب ويغـير ويبدل ويولى ويعزل ويثبت ويزعزع حتى أصبح الكل فى الكل وقال مستر ادوارد فانديك انه ما كان احد يجسر على مخاطبة ديكتاتور المعارف باسمه سواه فيقول له : مستر دنلوب وكل انسان غيره كان يخاطبه بقوله : سعادة السكرتير العام .

* * *

(٣٦)

اتاتورك

قال ادوارد هريو فى مذكراته التى نشرها ١٩٣٤ : اخبرنى اتاتورك انه حين قرر الغاء دور الخلافة قرر ان ينفذ هذه الرغبة قبل الفجر فتمثل هذا العمل المزدوج على أساس انه موجه ضد الخلافة وضد السلطنة . كان فى تصوره العمل الرئيسى الكفيل بتحقيق ارائه فى علمانية مطلقة ومن هنا قام الرئيس التركى بجولات خاصة فى الارياف متصديا لاكليركية رجال الدين المسلمين مانعا اياها من التحدث فى حضوره .

.. ومنذ ذلك اليوم اصبح محظـــورا على ائمة المساجد ان يظهروا فى شـــوارع المدن والقرى بالعمة والجبة والالتزام بارتدائها داخل المسجد فقط ما عـــدا مفتى الديار التركية الذى اذن له بالظهور باللباس .

يقولون : ان علمانية الدول لا تلغى اسلام الشعب فى تركيا فثمانون بالمئة من الاتراك مسلمون . والجمعة تكاد تكون شيئا مقدسا وليس فى مدينة من مدن العالم عدد من المساجد توازى ما فى استانبول وليس هنـــاك محفوظات اسلامية ولا سيما المرسلة من رسول الله الى هرقل مثل المحفوظات المجودة فى متحف (توكابى) .

وكان قصر الخلفاء (ضوله بغجه) قبـل ان ياتى عبد الحميد (بلدز) ١٨٧٧ والاذان ينساب رخيا من كل المساجد .

والمسلمة التركية لا تتزوج من غير مسلم التزاما بما جاء فى صورة المتحنة رغم قانون الزواج المدنى .

ودارت الايام وقد عقد المؤتمر الاسلامى السابع فى استانبول مايو ١٩٧٦ .

افتتح وزير معارف هولندا مؤتمر المشرقين فى لندن ١٩٣١ بخطاب صرح فيه ان هولنده لم تذهب الى الشرق لأجل التجارة وانما لنشر الدين المسيحى .

هزيمـــة ١٩٦٧

يقول ويلفرد كانتول سميث فى كتابه : الاسلام فى التاريخ الحديث : ان اليقظة الدينية فى العـــالم العربى والاسلامى جاءت بعد صدمة هزيمة ١٩٦٧ فقد عادت الجماعات والحركات الاسلامية الى الظهور بقوة منــذ ذلك الوقت كرد فعل طبيعى للهزيمة فالتحصن بالدين واللجوء اليه لمواجهة شرور الهزيمة كان هو الاختيار الواضح عند الشباب ولم تتوقف حركة الشباب عنــد الافكار الدفاعية التى قدمها لها العقاد وطــه حسين واحمد أمين وهيكل وعمر فروخ ، هذه الاعمـــال التى اتخذت من الدفاع عن الاسلام شعارا لها والتى قالت ان الاسلام ليس كما يفهمونه بأنه سبب انحطاط المسلمين بل هو دين عظيم يدعو للحضارة والتقدم الانسانى ، نعم لا تريد الحركات الاسلامية أن تتوقف عند حدود الدفاع بل تحاول ان تقيم مجتمعا حديثا على اساس العــدل والانسانية معتمدا على القيم الاسلامية والدافع الاساسى لها هو النجاح فى التصدى للهجـــوم الاجنبى وتخليص المجتمع من عوامل مبادىء الانحلال والفساد التى ستحط فيها فالمجتمع الحالى فى تصورها يقوم على مبادىء انتهازية ويتحرك باشخاص فاسدين ولا بد لتقويم المجتمع من برنامج للاصلاح يتحول فيه الفكر الاسلامى الى قوة فعالة مثمرة فى مواجهة وعلاج مشاكل العصر الحــديث هـــذا التصور هو الوحيد الذى يقف بجدية فى صراع الاقطار فى مواجهة الاخطار التى تطرحها الشيوعية . هذا ما يراه ولفرد كانتول سميث .

ظاهرة انخفاض درجة الحرارة فى العالم كله حيث يلاحظ أن هناك هبوطا شاملا يبلغ ست درجات ويعتقد أن هذه الظاهرة تنبىء باقتراب عصر جليدى فحتى عام ١٩٤٥ حيث كانت المناخات ثابتة ثم اخذت فى السنين الاخيرة خاصة تتقلب وتتغير بشكل منقطع النظير .

جاء هذا اثر التلوث الصناعى ودخان المصانع والغاز فضلا عن تجارب القنابل الذرية التى توصل الى الجو الاشعاعات المعروفة .

* * *

يشير كتاب عبقرية الحضارة العربية : الى اسهام العرب فى ميادين الثقافة والعلوم من القرن السابع حتى القرن السادس عشر مما استفادت به حضارات اخرى وهى ليست حضارة بين حضارتين رومانية وغربية ولكنها مستقلة .

وان شعر التروبادر انما استمد مباشرة من النماذج العربية فقد اقام العرب فى جنوبى فرنسا وبخاصة فى منطقة بروفانس من منتصف القرن الثامن واستمرت اقامة عدد منهم الى ما بعد ذلك .

قال جب فى كتاب تراث الاسلام : ان أوربا باسرها انما تدين لبلاد العرب بنزعتها المجازية الرومانسية .

* * *

قضـايا الفكر والثقـافة

* ابن تيمية : العروبة والعربية
* العروبة وليست السامية
* الفتنة اليونانية
* لطفى السيد واللغة العربية
* أزمة الجامعة

(٣٨)

ابن تيمية : العروبة والعربية

يجعل الامام ابن تيمية معرفة الاسلام متوقفة على معرفة لسان العرب فلا سبيل الى ضبط الاسلام الا بضبط العربية ، يقول : بل ان اللغة العربية هى من الدين ومعرفتها فرض واجب على كل مسلم فان فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهمان الا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب . ويكره للرجل ان يتعود النطق بغير العربية معللا ذلك بأن اللسان العربى شعار الاسلام وأهله . يقول : واللغات من اعظم شعائر الامم التى يعرفون بها ويحذر من اعتياد الخطاب بغير العربية التى هى لغة القرآن وشعار الاسلام واهله حتى لا يصير ذلك عادة للمصر واهله . ويقول : واعلم ان اعتياد اللغة يؤثر فى العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا ويؤثر أيضا فى مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزين العقل والدين والخلق .

أما القرآن فعند ابن تيمية مما لايجوز ان يقرأه انسان بغير العربية سواء قدر عليها أم لم يقدر . وعنده ان اسم العرب فى الاصل كان اسما لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف (١) من كان لسانهم باللغة العربية (٢) من كانوا من أولاد العرب (٣) من كانت مساكنهم فى أرض العرب . فالعروبة عند ابن تيمية تثبت باللغة وبالنسب وبالوطن فمن تكلم العربية فهو عربى ومن انتسب لأب عربى فهو عربى والولد كما فى الشريعة يتبع اباه فى الدين والنسب ومن سكن أرض العرب فهو عربى واللغة العربية للاسلام ليست لغة فحسب ، ولكنها عقل وخلق ودين . واعتياد لغة ما يؤثر فى عقل المتحدث بها وفى خلقه وفى دينه وكل لغة لا تنقل الى عارفها والمعتاد النطق بها الفاظها وصيغ الكلام بها ، ولكنها تنقل اليه عادات اهلها واخلاقهم وعقليتهم وطرق تفكيرهم ودينهم وكل الشعوب غير العربية قد اخترقت خامات الاسلام فيها سواء فى ذلك الفراعنة وفلسفتهم المؤلهة للبشر أو اليونان وخرافاتها أو فارس وفلسفتها الفاجرة وانحلالها واوربا وفلسفتها الطاغية أو الهند وفلسفتها الوثنية فالحديث النبوى الصحيح الثابت دائما (اخراج مالك فى الموطأ) : انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وصالح عاداتهم لا اخلاق غيرهم من الامم التى استوفت اغراضها أو بطلب ونسخ ما كان منها صالحا يوما ما .

ويوجب ابن تيمية : تعريب الشعوب الاسلامية .

من كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) .

(٣٩)

العروبة وليست السامية

يقول محمد عزة دروزه : تعتمد النظرية السامية فى توحيدها للهجرات المتعاقبة نحو الشرق الاوسط قبل الفتح العربى على أساس :

(١) وحدة المنشأ : هذه الموجات جميعها جاءت من جنوب الجزيرة العربية أى من اليمن وما وراءها فى حين ان موجة الفتح الاسلامى جاءت من شمال الجزيرة .

(٢) وحدة اللغة : اجمع الباحثون على قدم التشابه بين اللغات البابلية والكنعانية والعبرانية والفينيقية والارامية والعربية والنبطية واللهجات العربية الجنوبية اليمنية والسبئية والحضرمية وهناك نظريات عديدة تختلف فى المنشأ الاول للعرب الساميين منها ما يجعله جزيرة العرب ومنها ما يجعله أرمنية أو اثيوبيا وذلك فى مهد الخليقة الاولى غير اننا ما نكاد نقترب من العصور التاريخية وما بعدها حتى تكاد تتوحد الاراء وتتركز حول الحقيقتين المذكورتين .

اما وحدة الامة فيستدل عليها من طريقتهم فى التفكير (النظرة الجزئية فى تأثرهم بالغيبيات) (الايمان بالسحر والخرافة والمعجزة ، مع ميلهم الى البساطة فى التفكير والوجدان فى الدين) مما يؤكد وحدة التفكير والخيال اما وحدة اللغة فهناك خصائص تمر بها اللغات العربية (السامية) أوجزها ولنجستون فيما يلى :

(١) تعتمد اللغات السامية على الحروف الصامتة ولا يلتفت الى الاصوات .

(٢) أغلب الكلمات السامية يرجع استقامته الى ذى حرفين أو ثلاثة .

(٣) ليس فى الكلمات السامية كلمات مركبة او معنى مركب نتيجة ادماج كلمتين فى واحدة .

وما دام الاتفاق قائما على وحدة الارومة ووحدة اللغة فهذا يعنى وحدة الأمة وعلى ذلك وجب أن تسمى الشعوب السامية بالجنس العربى .

— ان النظرية السامية تفرق بين هجرات جنوب الجزيرة العربية وبين شمالها فتسمى الاولى بالسامية والثانية بالعربية وما دام الجميع من موطن واحد فهم من أمة واحدة وأولى أن نطلق تسمية العرب على جميع هذه الهجرات .

— تفرق النظرية السامية بين تاريخ جزيرة العرب وسكانها وبين تاريخ الموجات التى انساقت منها فى القديم وتجعل تاريخ كل موجة بمثابة تاريخ أمة مستقلة قائمة بذاتها فى حين أن هذه الموجات المتتالية انما صدرت عن أمة واحدة هى الأمة العربية وعن موطن واحد هو الجزيرة العربية (من جنوبها أولا ومن شمالها ثانيا) .

— اصطلاح الجنس العربى يشمل مفهوم الشعوب السامية ومصر الفرعونية والعرب الصرحاء ويكون نظرة شاملة لتاريخ المنطقة والحضارات المتعاقبة عليها ويدعو الى اعادة تقييم تلك الحضارات بحسب صلات القربى واعادة النظر فى مكانة الجنس العربى فى تاريخ الانسان على أساس فاعليته ومواهبه .

— وحدة العروبة : الفراعنة والهكسوس والكلدان البابليين والآشوريين ، والفينقيين ، الكنعانيين ، الأموريين ، السبئيين ثم العرب .

يقول أحمد كمال باشا : ان اصل اللغة المصرية القديمة واللغة العربية واحد ، وان الاختلاف الظاهر بينهما ليس الا نتيجة اسقاط بعض الكلمات من القلب والابدال .

—حكم يونان والرومان مصر وبلاد الشام الف سنة (٣٣١ ق ٠ م — ٦٤٠ م) وجاء منهم ومن اليونان الألوف المؤلفة واستقروا فيها ونشروا لغتهم وثقافتهم وقد جمع بينهم وبين سكان البلاد دين واحد هو المسيحية قرابة أربعة قرون وترجمت الى اليونانية الكتب الدينية المقدسة وصارت لغة عبادة وطقوس ، لكثير من النصارى منهم ومع ذلك فانهم لم يستطيعوا أن يفرضوا على مصر وبلاد الشام طابعهم وصبغتهم بل لقد كان جمهرة أهلها يرونهم غرباء عنهم وينفضون عن معاشرتهم ويعدونهم انجاسا .

— كذلك شأن الفرس الذين كانت لهم السيادة على العراق أكثر من ألف عام (٥٣٨ ق٠م — ٦٤٠ م) وكان لدنيتهم وثقافتهم انتشار واسع ولكنهم لم يستطيعوا أن يفرضوا عليهم طابعهم وصنعتهم فى حين ان الموجات العربية الصريحة العروبة التى جاءت الى بلاد الشام والعراق فى حكمهم ورضخ ملوكها لسيادتهم العليا اخذت تفرض طابعها على البلاد وتمتزج باهلها بسهولة ويسر .

ثم جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية الاسلام الى بلاد الشام والعراق ومصر فأخذ التمازج يمتد بينها وبين السكان السابقين ولم يكد تمضى اجيال حتى توطدت السيادة فى هذه البلاد الطابع العربى الصريح وغدا شاملا عاما .

— ليس هناك تعليل لهذا غير ظاهرة وحدة الارومة والدم والروح التى كانت تجمع القادمين من جزيرة العرب فى دور العروبة الصريحة قبل الاسلام وبعده وبين سكان بلاد مصر والشام الذين يمتون بأصولهم الى جزيرة العرب والجنس العربى .

واذا كان بدا شيء من المناوأة ضد موجة الفتح ومن بعض سكان مصر والشام والعراق وتمرد على سلطان الاسلام فى أوائل عهده فمرد ذلك الى الاعتبارات الدينية والتحركات الاجنبية ليس من شأنه اضعاف النظرية ولقد كان من جملة المناوئين المتضامنين مع الفرس والرومان فى بلاد الشام والعراق قبائل عربية صريحة من بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان فى بلاد الشام وبكر بن وائل وبنى عجل وتيم اللاه وضبيعة فى العراق .

هذا سر سرعة تمثل السكان فى الشام والعراق ومصر وشمال افريقيا للفتح العربى وتجاوبها معه .

على ذلك تكون الموجات المتتالية التى صدرت عن جنوب الجزيرة العربية متماثلة فى الجنس واللغة مع الموجات التى صدرت من شمال الجزيرة . فالجزيرة

لا يسكنها الا جنس واحد هو الجنس العربى لا فرق بين الشمال والجنوب وبذلك تكون مناطق العراق والشام ومصر وشمال افريقيا هى الوطن التاريخى للامة العربية لا ينازعها فيه منازع ولا حق لغير ابنائها بأرضها كما ان وحدة الوطن ووحدة الامة منذ عصور ما قبل التاريخ الى الان لا يؤديان الى وحدة اللغة والتفكير والثقافة بل يفرضان السير فى طريق الوحدة الفكرية والسياسية .

وبذلك يسقط كل ادعاء بالتفريق بين العرب فى مختلف أوطانهم .

لقد ظهرت الأمة عبر حضارات الفراعنة والبابليين والفينيقيين والاشوريين والعرب فكان من ثمار ذلك تعلم الانسان مفهوم الدولة والابجدية وهندسة البناء وتحرير الانسان من الخرافات والاوهام ووصله بالروح الكلى الخلاق منبع القيم ومصدر الحياة .

(٤٠)

الفتنــة اليونانية

عاشت مصر — وهى مركز الانبعاث العقلى فى العالم الاسلامى فى اعقاب الحرب العالمية الأولى — ازمة عقلية وروحية خطيرة وكان كرومر مع حلقة معينة يعمل جاهدا على تحطيم باقى المعنويات القديمــة فى نفوس المصريين جميعا فحوربت أشد المحاربة بدهاء وذكاء نادرين وكان رواد البحث فى الحضارة الاسلامية من المستشرقين والمبشرين الأوربيين رواد الزحف الصليبى الثقافى الاكبر يسير جنبا الى جنب مع الزحف الصليبى السياسى بل يسبقه ويمهد له وقد انتهت بحوث هؤلاء الى أن الحضارة الاسلامية حضارة متقبلة لا منتجة ، آخذة لا معطية ، مقلدة لا مجودة ، لم تبدع ولم تخلق وانما نقلت اليهــا الحضارة اليونانية أو التراث اليونانى فأخذت ما اخذت وشوهت ما شوهت : هذه هى الفتنة اليونانية وهذا هو تفسيرها لقد افتتن المسلمون باليونان فى اعين هؤلاء القوم وساروا على هديهم واخذوا جوهر حضارتهم وفكرهم فاذا وصلوا بالفكر الاوربى المعاصر فلا ضرر ولا ضرار واذا نسوا أو تناسوا مبادئهم الفكرية واصولهم العقدية فقد فعل اجدادهم هذا من قبل واذا فرض عليهم الفــكر الاوربى فقد سبق لاسلافهم أن فرضوا على انفسهم هذا الفكر ومن هنا انتشرت تلك الشبكة الهائلة من مدارس تبشيرية ومعاهد أوربية فى العــالم الاسلامى تحطم المعنويات القديمة . وفى خلال ذلك ظهرت مدرسة طــه حسين ومبشريهم على مسرح التفكير المصرى — وطه حسين تلميذ عبقرى لمستشرقى أوربا — غير انه يمتاز عنهم بمعرفته العميقة بالعربية . نادت مدرسة طــه حسين بان العقلية عقلية بحر ابيض وانهـــا يونانية فى حقيقتها وانه اذا كانت الحضارة الاوربية المعاصرة انما هى امتداد للحضارة اليونانية فلا معدى اذن لمصر أن تأخذ بهذه الحضارة الاوربية حلوها ومرها ، خيرها وشرها ، بشر رأس هذه المدرسة بهــذه الرأى وانتشر فى مصر وخارج مصر وحين تكونت الجامعة المصرية الاولى كانت شخصية الاستاذ القوية ونفوذه الواسع الاكبر عامل على فرض آرائه على مناهج الجامعة وبدأت دراسة اليونانية واللاتينية فى صفوف كلية الاداب المختلفة ، وخضعت الاحزاب السياسية جمعاء لسيطرة الاستاذ وآرائه وكانت الوطنية الاقليمية : الوطنية المصرية والوطنية العراقية والوطنية السورية الخ نتاجا لاراء الاستاذ وتفكيره وكانت (طريقة الحياة) فى البيوت وفى المجامع العامة والخاصة أثرا من اثار دعوة مدرسة طه حسين وكان النقد العلمى والادبى ، وطريقة التفكير الحــديثة هما الصدى المحتم لكتاباته القوية وشعر كثير من الناس مخدوعين براحة عقلية ان الدعوة الى الاتجاه الى أوربا انما أتت الان من رجل منهم وقد حجبت شخصية الاستاذ القوية واسلوبه النفاذ شخصيات غيره من كبار المؤلفين والادباء والشعراء الذين تابعوا منهجه وزاملوه فى نضاله العنيف واذا قدر لتاريخ هذه المدرسة أن يكتب جانبه المنهجى فلن يجــد كاتب تاريخها غير رأسها ، أما الاخرون فكانوا هملا — كما انه لم يظهر من تلامذته الان من يستطيع ان يحل مكان استاذه او أن يشغل مكانه الممتاز وظن الناس ان قضى الأمر وان أوربا من مستشرقين وغيرهم قــد نجحت فى تحطيم الحياة الاسلامية ولكن مدرسة طه حسين ما لبثت أن تلاشت شيئا فشيئا . ان السبب فى هذا هو ظهور مدرسة معارضة قضت على هذه المدرسة القضاء المبرم واشاعت تصورا روحيا جديدا سيطرت به نهائيا والى الابد على الروح الفكرية للمصريين وبالتالى على الروح الفكرية للعرب والمسلمين وترنحت المدرسة الاولى تحت تأثير ضرباتها القوية حتى لتكاد ان تلفظ انفاسها الأخيرة بل ويبدو ايضا ان استاذ المدرسة الأولى بدا يتراجـــع شيئا فشيئا ببراعة نادرة عن جوهر فكرته وان يتوافق مع التيار العام أو الأتى الجارف الذى احدثته المدرسة الثانية .

نشأت هذه المدرسة على يد عالم يختلف عن استاذ المدرسة الاولى اختلافا بينا — سواء فى أسلوبه أو فى مادته — هو مصطفى عبد الرزاق أول أستاذ للفلسفة الاسلامية فى الشرق ، عرض هذا الاستاذ منهجه فى دراسة التفكير العقلى وادرك ببصيرة نفاذة انه كان للمسلمين منهج خاص وحضارة خاصة اصيلة بهم ، غير انه اعتبر — وقد كان الى حد ما تحت تأثير شخصية أستاذ المدرسة الاولى — أن المسلمين قبلوا كثيرا من جوانب الفكر أو الحضارة اليونانية فى كثير أو فى بعض من عناصر حضارتهم الاسلامية ، وبالرغم من هذا فقد كان لهذا الاستاذ السبق فى فهم كنه الحضارة الاسلامية الاصيلة والفكر الاسلامى الحقيقى واستطاع أن يضع أصول المدرسة الاسلامية الخالصة : المدرسة التى أرادت أن تكشف كشفا حقيقيا عن عبقرية الحضارة والفكر الاسلامى من مصادره الاصلية قبل وبعد ان يتصل المسلمون وان يعرفوا التراث اليونانى .

(٤١)

لطفى السيد واللغة العربية

يقول محمد فهمى عبد اللطيف : لما انتصرت الارادة الوطنية على الاستعمار فى معركة اللغة العربية ويبدو أن الاستعمار ادرك أن السبب فى هزيمته ترجع الى انه ظهر مكشوفا على حقيقته فى المعركة وعلى ضوء الهزيمة بدأ الاستعمار يدخل المعركة بأسلوب جديد وتحت ستار مصرى يخفى شخصيته فسكت القاضى ولمور وسكت المهندس ويلكوكس ، وراح احمد لطفى السيد يدعو الى تمصير اللغة العربية ولم يكن المعنى فى تمصير اللغة العربية الا كتابة بالعامية وهى دعوة الاستعمار بجسمها وروحها ولكن الرجل كان يجمجم ولا يصرح ويحاول أن يلبس دعوته لبوس التسهيل وتقريب لغة الكتابة الى الفهم ولم يكن الغرض من هذه الدعوة المسمومة تخفى على فطنة الكتاب الوطنيين فتصدوا لدعوته ونقضوها على رأسه وكتب الرافعى فى هذه الدعوة سلسلة من المقالات فى مجلة البيان تحت عنوان (الرأى العامى فى اللغة العربية) ونحن اذا اغتفرنا للمهندس ولكوكس انه كان رجل الاستعمار يدعو بدعوة الاستعمار فبأى شيء تغفر هذه السقطة للطفى السيد الذى خلع عليه اتباعه لقب (أستاذ الجيل) وما كان لطفى السيد فى حقيقته الا شخصية متناقضة لا تنبثق من عقيدة ثابتة ، فقد كان الرجل يبجل الديمقراطية ولكنه رضى أن يكون الصعلوك لسياسة اليد الحديدية التى اعلنت فى يوم من الايام البطش بكل حق ديمقراطى الشعب وكان يبجل الفلسفة وكل جهده فيها انه ترجم كتاب الاخلاق لارسطو وكتاب الكون والفساد عن اللغة الفرنسية (١) وكان يدعو الى تمصير اللغة العربية ورضى أن يكون رئيسا لمجمع اللغة .

* * *

(٤٢)

ازمة الجامعة

ان الجامعة الاهلية التى كانت مقدمة للجامعة المصرية لها تاريخ : هذا التاريخ له طرفان ، طرف فى ايدى الغيورين من المصريين أمثال محمد عبده ومصطفى كامل وكان الهدف هو دفع الثقافة العربية الاسلامية الى الامام ، والطرف الاخر فى يدى النفوذ الاجنبى الذى كان يهدف الى التقاط الخيط من الأزهر الشريف وتجميعه وكانت الخطوة الى ذلك هى وزارة المعارف التى احتضنت مناهج الارساليات فى التعليم العلمانى والقضاء على أصول التربية الاسلامية .

والمعروف ان المبشرين قرروا فى مؤتمرهم الذى عقد فى أول هذا القرن أن الأزهر يعد اهم عائق فى وجه

---

(١) تبين ان هذين الكتابين لم يترجمهما لطفى السيد وانما ترجما له ابان عمله مديرا لدار الكتب المصرية ووضع اسمه عليهما وذلك بشهادة الاستاذ احمد عابدين مدير دار الكتب فيما بعد .

التبشير وبالتالى فى وجه الاستعمار فى مصر والعالم الاسلامى ، ولذلك فلا بد من ايجاد مؤسسة علمية ثانية يبثون منها افكارهم ويصنعون فيها جيلا من المسلمين يؤمن بمطالبهم حتى يقف هذا الجيل امام الثقافة الاسلامية ويشكك فيها وكان ان ولدت الجامعة الامريكية ثم امكن السيطرة على الجامعة المصرية .

تقول الدكتورة بنت الشاطىء : لقد ظهرت الجامعة الاهلية لتحرير العقلية المصرية من اغلال الجمود ففتحت الابواب كل الأبواب للبعثات التبشيرية والارساليات الاجنبية من كل جنس وملة لتتغلغل فى صميم الوجود الفكرى للامة ولسلخ من استطاعت من ابنائها بما توصل فيهم من عقدة الشعور بالنقص وما تلقى فى روعهم من أن الشرقية سمة التخلف والانحطاط وان الاتصال بالقديم ظاهرة جمود وتحجر . وتدفق سيل الغزو الفكرى يجتاح الحمى المستباح دون أن تصده سدود أو حواجز وكانت الجامعة محاولة لتحرير الشباب من سان مارك والفريد (الجزويت) وفكتوريا والأمريكان وما لا يحصى من مدارس الارساليات ثم جرى تحويل الجامعة الاهلية الى جامعة رسمية . وكان لثنائية التعليم التى حددت للموهوبين الطامحين طريقا لايلتقى ابدا مع طريق المدرسة الابتدائية الموصل وحده الى الجامعة والمخصص لابناء الطبقة القادرة ماديا وبهذا حيل بين الفقراء وبين الجامعة وتعلم عدد قليل فى الكتاتيب واجتازوا الطريق بكل عناء وكانت النكسة التى أعقبت ثورة ١٩١٩ قد عزلت قادة الثورة عن الشعب وانحرفت بالسياسة فى حزبية محترفة قد القت ظلالها على الطريق .

وواجهت الجامعة محنة الحزبية ومحنة تغلغل النفوذ الاستعمارى الذى اتخذ من مناطق معينة فيها قاعدة لتدمير معنويات الامة ومجال غزو فكرى يضاهى ما اجتاح وجودنا العام من غزو مثله عن طريق مؤسسات الثقافة الاجنبية واجهزة دعايتها المدربة .

وشغلت الامة بنضالها السياسى عن وجودها الفكرى ، وخلا الجو أو بدا انه خلا لقيادات الغزو الفكرى فازدادت (أزمة فقدان التعاصر) بين ابناء الجيل حدة وتعقيدا . وضج الميدان بدوى الصدام بين قديم وجديد ويمين ويسار وشرق وغرب وفى دوامته العنيفة ضلت المقاييس، واختلطت المفاهيم ، واضطربت القيم فلم يعد على الصعيد الفكرى تميز بين الرجعية والمحافظة أو بين الجمود والأصالة أو بين الاقتباس الواعى والتقليد المردد للاصداء .

ومن عجب أن الأمة لم تفقد رشدها فى دوامة الإعصار .

ولا ريب ان كل اثار الانتاج الفكرى للربع الثانى من هذا القرن تحمل اثرا قويا أو ضعيفا من ذلك الصراع وتعبر عمدا ودون قصد عن مرحلة القلق الفكرى التى مرت بها الامة فى فترة تحملها للانطلاق .

وقد سجل مدى ما تعرض له وجودنا من زيف وضلال ونفاق ودوار ومن ضغط فادح ورصد بكل دقة ذبذبة الخيوط فى الأيدى المحركة للدمى ، وكشف مجال التصدع الثقافى الذى كان سببا مباشرا فى فقدان التعاصر العقلى والانسجام الفكرى بين أبناء جيل واحد » ا . هـ.

ولست ادرى لماذا لم تفصح الدكتورة بنت الشاطىء عن هذه المؤامرة باكثر من ذلك وتكشف دور أمثال طه حسين ولطفى السيد وغيرهم . هل هذا الغموض يرجع مثلا الى الدور الذى شارك فيه الشيخ أمين الخولى مع طه حسين فى هذا العمل أم لأسباب أخرى . لقد كشف ذلك باكثر وضوحا أمثال محمود محمد شاكر ومحمد نجيب البهبيتى وغيرهم .

* * *

يقول جورج طنوس : فى نفس الوقت الذى كانت النخبة العربية المكافحة تعمل للتحرر من نير الغرب السياسى والعسكرى ، كانت تسعى الى ادخال القيم الغربية فى الحياة العربية مكان القيم الاسلامية للأمة .

(يقصد سعد زغلول والمدرسة الفرنسية)

* * *



الغـرب والإســـــلام

* الحملات الصليبية .
* اوسيرس والمسيح .
* أزمة الغرب .
* سقوط الغرب .
* سقوط المدنية الغربية .
* محاكم التفتيش .
* الكنيسة الكاثوليكية .
* بين اليهودية والمسيحية فى الغرب .

الحمــلات الصليبية

توالت الحملات الصليبية على بلاد المسلمين خلال الفترة من ١١٠٩ الى ١٢٧٠ م .

● الحملة الصليبية الاولى وصلت القــدس ١٥ يوليو ١١٠٩ فى ٢٠ الفا فاستولت عليها .

● الحملة الصليبية الثانية وقد فشلت اذ ابيدت جيوشها على بكرة ابيها بقيادة صلاح الدين ١١٨٧ .

● الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩) وكان نصيبها الفشل والخسران (ريكاردوس قلب الاسد) .

● الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٢ وكان نصيبها الاخفاق .

● الحملة الصليبية الخامسة ١٢١٧ وهى مجموعة عصابات هدفها مهاجمة مصر .

● الحمــلة الصليبية السادسة ١٢٢٨ بقيــادة فردريد الثانى وقد رجعوا من حيث اتوا .

● الحملة الصليبية السابعة ١٢٤٨ لويس التاسع وقد هزم ووقع أسيرا فى دار ابن لقمان فى المنصورة .

● الحملة الصليبية الثامنة ١٢٧٠ بقيادة لويس التاسع قصد بها الى تونس وقد انتهت بهلاكه .

وقد كتب صلاح الدين صفحة مجد وفخار للاسلام اعترف بها مؤرخو اوربا حيث بذل الامان للصليبيين بعد ان استرد بيت المقدس ووفى بعهده واطلق الملك العادل شقيق صلاح الدين الف رقيق من الاسر واذنوا للبطريك بحمل الصليب وزينة الكنيسة معهم فضلا عن انه اهدى فيليب وقلب الاسد خصومه المرطبات والادوية .

* * *

الغرب والاسلام

أوسيرس والمسيح

قال الدكتور وليم أولسكى فى كتابه :

يقال ان قدماء المصريين كانوا يعتقدون بأوسيرس كاعتقادنا نحن الان بالمسيح تقريبا وبانه ولد بالروح وكان عى والده ووالدته الها واحدا لثلاثة اقانيم وانه بعــد ما قتل وقطع جسمه عاش ثانية وقد تمادى المؤلف حتى قال ان الديانة المسيحية ما هى الا نوع مما كان يعتقد به القدماء ووضع على نسق احدث واكثر تهذيبا واستشهد اثباتا لاقوال وصور وكتابات قال انها موجودة ليومنا هذا فى (أنس الوجود) باسوان وطبع تلك الكتابات فى كتابه وعلق عليها شروحا (المقتطف) (اكتوبر — ١٩٠٥) .

وقالت المقتطف تعليقا : فى كتابات المصريين القدماء عن (أوسيرس) اشياء كثيرة بعضها يشبه ما جاء فى تاريخ السيد المسيح وبعضها يشبه ما جاء فى تاريخ اى انسان كان ومن المحتمل ان بعض من تنصروا من المصريين الاقدمين ادخلوا بعض معتقداتهم فى الديانة المسيحية او فى تعاليم الديانة المســيحية ولكن ذلك لا يدل على أن الديانة المسيحية مشتقة من الديانة المصرية لان المخالفات والمتناقضات بينهما كبيرة جدا . ولا يرى القس (ساس اللاهورى) فى الاثار المصرية ما ينقص معتقد المسيحيين فى أصل ديانتهم وان صح ما يدعيه هؤلاء بان المسيحية مشتقة من الديانة المصرية أو الديانة البوذية لان فيها ما يشبه هذه فاى النقيضين هو الصحيح ، هل اذا رأينا امورا متماثلة فى حياة يوليوس قيصر ومحمد على نستنتج انهما شخص واحد ونقول : ان هــذا المثل يختلف مع القضية المعروضة ، ولقد اكدت الابحاث ان المسيحية المنزلة حرفت بايدى الرهبان ايضاهىء ديانات بشرية سابقة عليها وصدق الله العظيم (**يضاهئون قول الذين كفروا من قبل**) .

فى القرن الرابع الميلادى بعد تنصيب (قسطنطين) امبراطورا على روما اتخذته امه القديسة هيلانه وسيلة ضغط لتنصير المملكة ، كان اول ما اتخذه أن اصدر منشور ميلان الشهير الذى سوى فيه بين الوثنية والنصرانية ، وطبع النصرانية بالطابع الوثنى دين روما الرسمى ، وانتشرت العادات والعقائد الوثنية تحت اسماء لها وقع نصرانى وقال المؤرخون ان روما لم تتنصر ولكن النصرانية ترومت ، ومن أبرز هذه العادات الوثنية : المهرجان الوثنى (٢٥ ديسمبر) احتفالا بمولد الشمس (الأله) حيث كان يوم الاحد يوم عبادة الشمس عند الوثنيين .

* * *

اكدت كثير من الابحاث عن أن جذور الطقوس فى الكنيسة القبطية ترجع الى الفرعونية والى عادات وتقاليد قديمة مسيحية كدين تنكر المادية الاوربية والشيوعية الا انها لا تملك قوة ايجابية فى مواجهة الافكار المادية فقد انتهت الى تكون ديانة فردية انعزالية لا تملك الحياة ان تنمو فى ظلها بعد أن عجزت عن مسايرة الحياة العملية فى الأجيال وسر ذلك تنازلاتها التى تقوم بها عن طريق مجامعها المقدسة كما ابعدها عن واقعيات الحياة تماما .

* * *

انفصلت الكنيسة الانجيلكانية عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فى روما عام ١٥٣٤ نتيجة لرفض بابا الفاتيكان اعطاء الملك هنرى الثامن تصريحا بالطلاق من زوجته الاولى.

وتضم الطائفة الانجيلية ٦٥ مليونا (منهم ٣ ملايين فى الولايات المتحدة والفاتيكان يرفض فكرة الطلاق ومنع الحمل وتولى المراة وظيفة القس وزواج رجل الدين .

جرت محاولات لرأب الصدع وتوحيد الكنيستين الغربيتين ولكن روما اشترطت أن يعترف الانجيليون بدور روما فى التاريخ المسيحى ويوافقوا على أن يكون بابا روما على رأس الكنيسة الموحدة وان يقبلوا السلطة الروحية للبابا باعتبارها مستمدة من الحق الالهى أو ارادة المسيح فى سبيل أن تستمر التقاليد المميزة للطائفة الانجيلية .

* * *

(٤٤)

ازمة الغرب

تكاد تعليمات اعلام الفكر الغربى تجمع على أن العالم على أبواب عالم جديد .

يقول جوليان هكسلى : أن عصرنا الحالى القلق الذى جاء بعد حربين عالميتين يشهد اليوم انهيارا شاملا للمعتقدات السائدة والمفاهيم الحالية الشائعة كما يشهد قناعة متزايدة بأن النظرة المادية الخالصة لا يمكن أن توفر أسسا صالحة للحياة الانسانية .

ويقول ارنولد توينبى : يبدو أن الخلاص الوحيد للانسان فى عصرنا هو الصفاء الروحى الداخلى : الصفاء الذى لا يمكن تحقيقه بادمان المخدرات أو الاستسلام للتعصب والعنف . ليس الصفاء السلبى الذى يهرب من مشاكل العالم ، بل هو ذلك الصفاء الايجابى المحب الذى يواجه آلام الحياة بقلب مفتوح ليعالجها بالمحبة (من كتابه التجارب) .

ويقول ف هاربولد فى كتاب سماه (الايمان الدينى وانسان القرن العشرين) شىء ما يحدث فى العالم لقد حمل الجنس البشرى عدة ترحاله وعاد الى المسير ، ان جميع المؤسسات من سياسية واجتماعية واقتصادية وجميع انظمة الفكر من دينية وعلمانية قد وصلت الى درجة التمازج والانصهار . لقد اهتزت الاسس القديمة واثبتت الاوضاع القديمة عدم صلاحيتها . ان الخمرة الروحية لا يمكن ان تسعها الدنان العتيقة وان وضعنا الراهن ليومىء ، باننا على وشك المرور بقفزة من تلك القفزات التطورية الهائلة التى تمر بحياة الانسان العقلية والروحية وهناك كتابات كثيرة تتحدث عن كشف زيف بنية الحضارة الاوربية بين اعلان للحرية والاخاء والمساواة فى بلدانها وبين تطبيق للاستعباد والتمييز والكراهية فى المستعمرات وبلدان العالم الثالث الفقير عموما .

وقالوا : ان أمريكا التى زعموها عالما جديدا وهى تحمل بذور اثم العالم القديم من تمييز عنصرى ومطامع مادية وسيطرة للآلة وانحراف وراء العنف والتسلط .

ويقول أحد الباحثين : انه قــد فشلت دعاوى برتراند رسل ، وأرنولد توينبى ، ودى شاردان وجوليان هكسلى فى المناداة بعالم موحد وان هناك تطوراتمختلفة يرافقها احساس قوى فى قلب الحضارة الغربية مؤداه : ان هذه الحضارة تعانى خللا اساسيا فى قيمها وضميرها.

وانه لا بد من التطلع الى عهد جديد قوامه الايمان والتعاون الانسانى الشامل وهناك ظاهرة دخولشعوب العــالم الثالث الى مسرح الفعــل العالمى متطلعــة الى التكنولوجيا الغربية محتفظة فى نفس الوقت بتراثاتها الروحية العريقة من اسلامية ومسيحية .

لقد تركت الحرب العالمية الأولى ذكريات لا تنسى من الخرائب والضحايا وظلت النفوس الكظيمــة تجتر آلامها واحقادها وتستعد اثاراتها حتى اندلعت الحرب الثانية ، واعادت الى الاذهان فظائع الاولى ولكنبشكل أشنع وأبشع واشد مساسا بحياة الجنس البشرى كله وخرجت المجتمعات الكبرى الى اوربا مجهدة مضعضعة منهوكة القوى وقد فقدت نفوذها الخارجى واضاعت أمنها وسلامها .

وسرت الحمى الى الاعماق واصبحت مرضا نفسيا وروحيا وازمة وجود وحياة بعد أن كانت اعراض احتلال سياسى واجتماعى واية ذلك ما نراه من غليان وتشاؤم ورفض فى بريطانيا وفرنسا والمانيا وهى الأمم الثلاثالتى قامت على اكتافها الحضارة الاوربية الحديثة .

وبريطانيا ضعفت امبراطوريتها بسرعة طوعا او كرها . وما نراه اليوم من قوافل شباب الهيبيين تسعىفى رحلات الضياع واللامبالاة والبحث عن الجديد بينقارات العالم . القوافل التى تنتظر من جديد وجه يسوع وبوذا ونبى جيران احترقت فى المأساة .

ويقول بول تيليك فى كتابه (هز الاسس والدعائم) فى بداية حضارتنا الغربية اخترنا العقل بديلا وحيدا عن التقاليد العنيفة والاعتقادات الموروثة . وباتخاذ هــذا القرار استنفدت الروح ، مصدر طاقة الحياة وحيويتها . كبتنا قوة الروح الحبيسة . لقد مر اسار العقل وتعقدنا الاتزان . لقد قررت حضارتنا ان تبنى لذاتها مجتمعا علمانيا ، ازال سلطان الكهانة المتحكمة باسم الدين .

هذا القرار حرمنا من أعمق ما يمنحــه الدين ، الشــعور اللامتناهى للحيـــاة ، وامتلاك سر الوجود وجوهره ، الاحساس بالقوة الهائلة المواقف النابعة من اليقين المطلق : الآن فى نهاية العصر العلمانى نشــعر بالاقتراب من الهاوية للافتقار الى ذلك الايمــان المنقذ المخلص .

* * *

(٤٥)

سقوط الغرب

ان الحضارة الغربية فى كلا معسكريها الراسمالى والشيوعى تهوى الى القاع وتنكشف كل يوم عنــاصر الفساد والانهيار والهزيمة .

كتاب روح الحضارات بقلم اوسيان دوبليس يقول أن المجتمع السوفياتى ليس بداية وانما هو نهاية اما الولايات المتحدة فانها ذات مجتمع جد مائع ، لا ينبثق فيه تصنيف الناس الا على أساس الدخل المادى وليس لهم فيه محرك سوى الرغبة فى الربح ولا يشـــتمل على ارستقراطية صحيحة ولا على اسرة متينة متماسكة ، والطلاق فيها مجرى الالعاب الرياضية تمازجه على نحو ما صوره من البغاء اذ تبحث المراة عن اقتناص اكبر كمية من كل زوج قبل ان تتركه . كذلك الشــان فى بريطانيا التى اصبحت خارج الحلبة ، وهو هو شان فرنسا ولا امل بكذا فهى ترجو الخير على يد الصــين والهند ، الأولى افضت نهائيا الى الفساد نتيجة احتكاكها بالعالم الغربى لن تفيق من نومها الا بعد ان تصاب بما أصيب به الغربمن ضربات ونتساءل : هل لنا ان نترقب انبعاث الاسلام . ويبدو على كل حال ان انبعاث الاسلام عاجز عن تجاوز المستوى السياسى ففى مستطاع الملة الاسلامية أن تستعيد استقلالها ومن ثمة وحدتها بيد انها لن توفق ابدا الى فتح الغرب لا فى الواقع ولا فى الروح على الأخص .

ومن ناحية اخرى يدفع الغرب رجلا مثل « محمد صديق » المسلم الالمانى لأن يقول :

ان الحضارة الغربية لا تضع حلا لغير مشكلات الحياة المادية ونحن نشاهد أثرها على الحياة الانسانية فقد تحطمت الاسرة كما جمدت صلات المودة بين الافراد، ولذا فان شئنا أن نكون بشرا بحق نتصرف تصرفات انسانية أن نعرض اعراضا كاملا عن التقليد الاعمى للحضارة الغربية .

ان هناك مسلمين فى الغرب والشرق على السواء يعربون عن اعجابهم بالحضارة الغربية بل ويحاكونها محاكاة عمياء فعلى هؤلاء أن يتذكروا ما قاله (برتراند راسل) الفيلسوف الانجليزى بأن الناس فى الغرب غير قادرين على تطوير الجانب الانسانى من الحياة بالكمية نفسها التى تتقدم بها الناحية المادية وان كل خطوة الى الأمام فى المخترعات المادية هى خطوة نحو بناء الانسان فعلينا ان نكون دائما على يقظة فلا نلقى بأنفسنا تحت رحمة هذه الحضارة . ان علينا ان نأخذ منها ما ينسجم واسلامنا ونلقى عن كواهلنا عفنها وفسادها .

وهذا امر ممكن وميسور حتى نؤمن بالاسلام عن بينة وهدى والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

ويقول : لقد كان الاسلام بالنسبة لى كعملية استكشاف لفطرتى ، لقد اكتشفت أن الاسلام كمنهج حياة كان ينسجم من كافة الوجوه مع فطرتى البشرية (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

* * *

قضى على حركة محمد على وتحطيم الاسطول المصرى فى نفارين ونجح التدخل الذى انتهى بمعاهدة لندن ١٨٤٠ م .

وفى (معاهدة لندن ١٨٤٠) تتعهد الدول الكبرى الى جانب ذلك بالدفاع عن وحدة أراضى الدولة العثمانية . وذلك حتى حين تقسيمها .

* * *

(٤٦)

سقوط المدنية الغربية

تكاد آراء المنصفين من الباحثين الغربيين ان تجمع على أن المدنية الغربية قصرت فى المهمة التى تزعم انها القيت على عاتقها فى الاجيال الاخيرة ، اعنى المهمة التى ترمى الى نشر تعاليم الانسانية وتعميمها على وجه الارض وتؤدى بها الى الاتحاد ويمكن ان يعبر الانسان عن هذه المهمة العظيمة عن وسيلتين لا غير ، وهى وسيلة حب الذات ووسيلة حب الغير وقد وقع اختيار الغرب على الوسيلة الأولى : وسيلة الانانية وحب الذات وكان اختياره لها جريمة ، وكان ذلك سبب ضياعه واضمحلال نفوذه لأن الوسيلة التى لجأ اليها سيئة . ان الانانية تقضى على الخير وتأتيهم كل بر ، لقد اراد الغرب ان يوحد العالم تحت سلطانه ومصلحته والعالم لا يساس الا بالعدل والحب والاخاء ورد الحقوق الى اهلها ولكن الغرب لجأ الى القوة الغاشمة ولم يرع عن مصلحته وحدها ، لقد اعتمد الغرب على القوة وحدها وعبث بالشرائع » .

وتشير الابحاث فى هذا المجال الى ان عقلية الرجل الأبيض مسممة تماما بالتعصب العنصرى ، وانه لا يزال يشعر فى قرارة نفسه بالتفوق العنصرى ، وأن أعمال التفرقة العنصرية هى جزء من برنامج الاستعمار الذى يأبى حتى الآن ان يتنازل عن مراكزه الا مقهورا أمام كفاح الشعوب وقد ظل نداء المساواة والاخاء قرونا طويلة يقرع أسماع أوربا والرجل المسيحى الأبيض يعيش بنفس عقليته الوثنية وتفكيره العنصرى وكانت الكنيسة فى أوربا هى التى تحمى الحق المقدس للملوك والاشراف فتقر بذلك التفرقة العنصرية وتعترف بشرعية السبى والاستعمار واغلاق السجون والمطبق على العبيد والمستضعفين (سامى داود) .

والواقع ان الغرب يغالى فى نظرية الرجل الابيض تاج الخليقة ، وهم عندما يكتبون تاريخهم يبدأونه بشعب ابيض هو شعب اليونان ثم ينقلون زعامة البشر الى اجناس بيضاء من روما وطليان وجرمان ، فاذا ظهر شعب ملون وارتفع الى مستواهم نظروا اليه على انه سينهار يوما لان أصحابه ليسوا من الجنس الأبيض ، ولكن اليابان كذبت نظريتهم .

(٤٧)

محـــاكم التفتيش

أنشئت بطلب الراهب تورا كماندا وقامت باعمالها ١٨ سنة (١٨٤١ — ١٤٩٩) .

وحكمت محاكم التفتيش فى ثمانية عشر عاما على عشرة آلاف ومائتين شخصا وهم أحياء ، كما حكم على ستة آلاف وثمانمائة وســتين بالشنق بعــد التشهير فشهروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين الفــا وثلاثة وعشرين شخصا بعقوبات مختلفة فنفذت ثم أحرقت كل توراة بالعبرية .

أهلك تورا كماندا الدومنيكى الاسبانى ستة آلاف بالنار وأهلكت الامبراطورة ثيودورا وحــدها نحو مائة ألف من المانويين وأهلك الكاثوليك من البروتستانت فى مذبحة سانت بارتلمى مائة الف يوميا أيضا ، أما ديوان التحقيق فى اسبانيا فقتل وحده نحو مائة الف كما يقول رنباخ فى كتابه تاريخ الأديان فى حرب الكاثوليك على البروتستانت المعرضــين عن طلب الاصلاح منهم مــن أحرقوا أحياء ومن أعدموا شنقا .

* * *

دور بريطانيـــا

فى اسقاط الخلافة الاسلاميــة

اعترف دوجلاس هيوم وزير خارجية انجلترا فى حديث اجراه الدكتور نجم عبد الكريم ونشرته جريدة القبس الكويتية سنة ١٩٨١ أن بريطانيا كان لها الدور الفعــال فى اسقاط دولة الخلافة الاسلامية العثمانية بمساعدة الشريف حسين ولولا مساعــدة بريطانيا لمــا سقطت الخلافة .

* * *

كما اعترف هيوم بأن تأييد الانجليز والغربيين من النصارى عموما لدولة اليهود ينبع من عقيدتهم حيث ذكر ان فى الانجيل اشارة صريحة بوجوب عودة اليهود الى وطنهم اسرائيل .

(٤٨)

الكنيسة الكاثوليكية

بدأت ثورة التغيير تجتاح الكنيسة الكاثوليكية فى مشارق الأرض حتى مغربها وراحت دفوفها تقرع ، وبيارقها تنشر : متى يحق للرهبان ان يتزوجوا . حتى أن البابا لويس السادس أجاز للكردينال سليمان ان يناقش موضوع زواج الرهبان للمرة الأولى وان يدعو الكنيسة الكاثوليكية الى مجاراة البروتستانت فى طقوسها وان ينادى بزواج الرهبان بعد سيامتهم .

وقد طرح الموضوع البطريرك مار بولس المعوشى على صفحات كتابه (الكهنوت فى الشرق) دعا الى الأخذ بفكرة الشمامسة المتزوجين ثم الكهنة المتزوجين فان ذلك يحل جزءا كبيرا من المعضلة الرسولية التى تشكو من حدتها فى المناطق النائية فى العالم الكاثوليكى ولم يتقرر شىء الا أن البابا ارتأى فى ظروف مختلفة اباحة الزواج لرهبان وراهبات ممن يصادفون مشاكل معينة ، وهناك صيحات تطالب بتحــديث الكنيسة واعتمادها المنهــج البروتستانتى وعلت أصوات كثيرة بزواج الراهب وبدأت هجمة الراهبات الأمريكيات على خلع ردائهن الدينى وترك الدير وبلغ عدد الراهبات الأمريكيات اللائى هجرن الدير وقالت الصحف أن الرقم يمثل كارثة . فمن أصل ١٨٠ الف راهبة هناك ..٢٦٠٠ تخلين عن ردائهن لا من أجــل نزوة أو حيــاة نزقة وانما مدفوعات خلف حياة مسيحية أكثر تطورا وحركة . وكانت البــواعث التى حملت بعض الفتيات على اعتناق الرهبانية كثيرة ومنوعة فمن اصل سبعين راهبة تم استجوابهن عن اسباب تركهن الدير كانت الاجــوبة واحــدة ومتشابهة وكلها تقول ان خدمة الله لا تفرض العزوبية فرضا وان الراهبة الحرة ستبدو بفضل الطبيعة أكثر ملائمة لرئاسة جماعية . أن هجرة الدين ليست نزوة وانما هى رغبة صادقة فى لقاء الرب خارج الدير » كذا .

هذا ما نشرته الصحف بمفهوم أهل الدين ولكنه يستطيع أن يعطى مؤشرات على مدى الايمـان بالدين نفسه بين أهل العصر .

وقد أشارت مجلة شيترن : الى كتاب اصدره ثمانية من علمـاء اللاهوت من بينهم امـرأة (جامعة اكسفورد) انكروا فيه العقيدة السائدة بربوبية المسيح عليه السلام واكدوا انه لا يعدو أن يكون عبدا بشرا أوحى اليه من الله وقد قوبل كتابهم بتلهف بالغ حتى احدث هزة كبيرة . ويعد من أهم محاولات التقـويم فى تاريخ النصرانية الحديثة متابعة للرهبان الذين آمنوا بانجيل برنابا الذى نطق صراحة بعبودية المسيح عليه السلام وبشر برسول من بعده اسمه أحمد .

وهناك علامات أخرى خطيرة على طريق المسيحية تلك هى الاغراءات التى تقوم بها بعض رهبان الكنائس لاستقدام الشـباب باقامة حفـلات راقصـة لهم فى الكنيسة .

* * *

نشرت مجـلة المقتطف اكتوبر ١٩٠٥ هـذه العجالة : (٢)

« بماذا يجيب علمـاء الديانة المسيحية على أقوال وليم اوكسلى فى كتابه

EGYPT AND THE VORDERS OF THE LAND OF THE PHORES

وهو أن قدماء المصريين يعتقدون باوسيرس كاعتقادنا نحن الان بالمسيح تقريبا وبأنه ولد بالروح وكان مع والده ووالدته الها وأخيرا بثلاثة أقانيم وأنه بعد ما قتل وقطع جسمه عاش وقد تمادى المـؤلف حتى قال ان الديانة المسيحية ما هى الا نوع مما كان يعتقد به القدماء ووضع على نسق أحدث وأكبر تهذيبا واستشهد اثباتا لاقواله بصور وكتابات قال انها موجودة ليومنا هذا فى أقصى الوجود بأسوان وطبع تلك الكتابات فى كتابه وعلق عليها بشروحها .

وأجاب المقتطف (دكتور صروف) فقال : فى كتابات المصريين القدماء عن (أوسيرس) أشياء كثيرة بعضها يشبه ما جاء فى تاريخ السيد المسيح وبعضها يشبه ماجاء فى تاريخ أى انسان كان ومن المحتمـل أن بعض من تنصروا من المصريين الأقدمين ادخلوا بعض معتقداتهم فى الديانة المسيحية أو فى تعاليم الديانة المسيحيةولكن ذلك لا يدل على أن الديانة المسيحية مشتقة من الديانة المصرية لأن المخالفات والمناقضات بينهما كثيرة جدا .

* * *

(٤٩)

بين اليهودية والمسيحية فى الغرب

أثار الدكتور حلمى مرزوق قضـية ذلك الصراع الخفى بين اليهودية والمسيحية فى الغرب اليوم والتقط الخيط من بروتوكولات بال ١٩٠٥ حيث يشير البروتوكول ٢٤ الى التآمر على شعوب العالم كله والسيطرة على الجوييم باسم ملك داود المزعـوم الذى استمر الى يوم القيامة . وأشار الى ان هذه النهضة المناقضة للسامية فى أوربا حيث ما زال الرجل الاوربى يحتقر الصهيونية ويعاديها وكانت ابشع صورها القريبة على يد هتلر ، والهتلريون محمولون على الوجـدان الاوربى وثقلهم محمول على هذه الحضارة ولا شك كمـا يقول أرنولد توينبى ، والمسيحيون داخلون فى زمرة الجوييم الذين تستهدفهم الصهيونية .

ويقول جون سكوت : فى كتابه الحكومة السرية فى بريطانيا : وليس هناك الا مخرج مظلم من هذا التناحر الحار أو البـارد الظاهر أو الخفى بين الصـهيونية والمسيحية ، هذا المخرج سوف يتقرر فى ليل طويل مظلم ملىء باليأس والقنوط .

وتقول انه بالرغم من كل المحاولات التى يقوم بها اليهود العالميون لاحتواء المسيحية وبالرغم من انها حققت نتائج خطيرة فيها تبرئة اليهود من محاولة قتل المسيح وربط العهد القديمبالعهد الجديد على الرغم من التناقض الشديد والواضح بينهما والاعتراف بالمحافل الماسونية وبالرغم من كل المذاهب والايديولوجيات المادية الحديثة كالفرودية والماركسية وغيرها انما تستهدف مفهـوم المسيحية نفسه فان الفكر المسيحى ما زال قادرا على المواجهة .

يقول نميرلى : ان فكر هذا العصر كان ينظر بعين النقد والعداء لدعاوى الكنائس والديانات القديمة .

ويشير الدكتور حلمى مرزوق الى أن أزمة المسيحية قد استحكمت على أيدى الغلاة من أصحاب المذاهب والنظريات :

(أولا) : الداروينيون القائلون بالتطور .

(ثانيا) : الفريديون ودعواهم بتعطيل الدوافع النفسية والسلوك الانسانى .

(ثالثا) العقائديون بأيدلوجيتهم فى تفسير التطور أو السلوك الاجتماعى يقول ناثان ميكلم : ان المسيحيين قد يكونون افلاطونيين أو توميسين أو كانتيين ولكنهم لن يكونوا أبدا ماديين أو أتباع أوجست كونت . وهناك ذلك العداء المستحكم فى علاقاته قول شعارات الثورة الفرنسية ـ اليهودية المصدر ـ لشنقوا آخر ملك بامعاء آخر قسيس .

ويقول : ان أخوف ما يخافه الفلاسفة ومؤرخو الحضارة فى أوربا اليوم هو ذلك القصاص القومى والحضارى وقد بدأت تدور فيه الدائرة على الحضارة البرجوازية طبقا لقانون التحدى الحضارى ، وادل وقائع هذا الصراع ما هو دائر بين هذه الحضارة وبين الحركات القومية ثم ما بينهما وبين الحضارة الاشتراكية الطاغية فى هذا العصر . يقول أرنولد توينبى : لقد ظل الغرب اجمالا منذ فشل الهجوم العثمانى على فيينا ١٦٨٣ حتى هزيمة المانيا فى الحرب العالمية بين ٣٩ ـ ١٩٤٥ يحظى بالتفوق والقوة على تقسيم انحاء العالم الى درجة جعلت الدول الأوربية الكبرى لا تحسب أساسا حسابا لاى دولة خارج دائرتها . الا أن احتكار الغرب لمظاهر التفوق انقضى اجله عام ١٩٤٥ اذ ظهر الى الوجود منذ ذلك التاريخ وللمرة الأولى منذ ١٦٨٣ تصادم فى السياسات الدولية كان أحد الطرفين فيه دولة عظمى ذات ملامح غريبة عن مجتمع الغرب القديم وكان قيام هذه الدولة ويعنى بها الاتحاد السوفيتى كاحدى الدولتين العالميتين المتنافستين الباقيتين مؤديا مرة أخرى الى قيام صراع ثقافى انضم الى حلبة السياسة ويلاحظ كذلك ان الروس يقودهم الى ميدان الصراع ضد التأثير الغربى قد قدموا نموذجا احتذاه الصينيون بالفعل بعد واحد وثلاثين عاما ويحتمل كثيرا أن يحتذيه اليابانيون والهنود وغيرهم .

ونقول ان الفكرة الماركسية هى لا شك ثمرة الصهيونية وأن اليهودية العالمية كانت وراء النفوذ الأجنبى غربى وماركسى على السواء . هذا الذى بدأ بتقرير رفعه ساسة العصر الى السير كامبل بنرمان رئيس وزراء بريطانيا فى مطلع هذا القرن يفضى بمكمون الخطر المرتقب على عامة الاستعمار الأوربى فى مواطن التقاء الشرق بالغرب حيث الجبهة العربية التى يلتقى شعوبها عندجامعة اللغة والتاريخ والوجدان . ولاسبيل الى الابقاء على الامبراطوريات الاستعمارية التى تمتد عبر هذه المناطق الا بتمزيق هذا المارد الجبار .

هذا الخطر الاسلامى حاولوا القضاء عليه بايجاد مجموعة عازلة فى هذه المنطقة بين الشرق والغرب : هذه هى الصهيونية التى حاولت السيطرة على فلسطين والتى تدعى لنفسها حقا من النيل الى الفرات وما تزال فلسطين فى نظر الصهيونية هى الركيزة فى عملهم فى الوثوب الى العالم كله وامتلاك ناصية الجوييم ، ليكون العالم كله فى خدمة شعب الله المختار .

* * *

المؤامرة على الإســـلام

* مؤامرة على اقتصاد المسلمين .
* محاولة توثيق مفهوم الاسلام .
* مؤامرة التمزيق القومى .
* الحرب ضـــد الاســـلام .
* لا يسقط الاسلام أمام الغرب .
* مراصـــــد الاستعمار .
* فهم مضـــلل .

(٥٠)

مؤامرة على اقتصاد المسلمين

كشف ولتر رانتو فيما أسماه (العامل الخفى فى سياسة الدول الغربية) .

فقال ان العالم المتمدن بأسره يخضع فى حياته الاقتصادية لطائفة من المولين كادت فى بعض الدول أن تستولى على السلطة بأكملها ، فهى فى الواقع تسن القوانين وهى تقرر الحرب والسلام . ان سيطرة كهذه لهى أسوأ انواع السيطرة فانها خالية من كل فكرة عالية او نزعة سامية ولا دافع لها الا المصلحة المادية ولاغرض الا احتياز الثروة والسلطة .

والذى يعجز ولتر رانتو عن الكشف عنه هو تلك الامبراطورية الربوية التى صنعها اليهود فى العالم الغربى والتى امتدت فى نفوذها الى مختلف أنحاء العالم والتى تؤثر بقوتها الاقتصادية والمالية فى كل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية وهى التى توقد الحروب العالمية والحروب الصغيرة والثورات والانقلابات بهدف المحافظة على نفوذها وقوتها ، وهى أيضا التى تتحرك من وراء تلك الصيحات العالية عن الانفجار السكانى وارتفاع أسعار البترول وتحاول اليوم أن تصد بكل قوتها ذلك التيار الجديد الذى يشكل قوة عربية اسلامية عن طريق امتلاك الطاقة والثروة والتفوق البشرى بهدف استمرار اخضاع المسلمين والعرب عن أهل (القارة الوسطى) للنفوذ الربوى العالمى الذى يسيطر عليه . والواقع أن كلا النظامين الرأسمالى والماركسى الاشتراكى الان قد أصبح على حافة الهاوية من ناحية الافلاس والعجز عن تحقيق هدف الحياة الاجتماعية الكريمة للمجتمعات وقد أصبح العالم الغربى الان يتطلع الى نظام اقتصادى جديد جرت عدة اجتماعات لدراسته فى الأمم المتحدة وتقدم بعض المخلصين الى هؤلاء الباحثين بالنظر فى المنهج الاسلامى .

وفى اطار هذه الظاهرة شبه كاراو الوزير الفرنسى بلاد العرب ببلاد خربة مدمرة اقيمت بين انقاضها ابنية فخمة عظيمة تناطح السحاب فان المتأمل فى حالة الدول الأوربية يجد أن الفقر والضيق قد عم سواء الناس وجمهورهم فى حين أن المولين وارباب المصانع والمتاجر قد زادوا ثروة وقوة فوسعوا شركاتهم وسيطروا على جميع المرافق الحيوية وبسطوا سعادتهم على الشعوب هؤلاء الرجال هم سادة أوربا .

(٥١)

محاولة توقيف نهضة الاســلام

كشفت الدراسات المحايدة عن فساد الخطط التى حاول النفوذ الأجنبى غرسها فى البلاد الاسلامية ومنها :

١ ـ اتخاذ النظام الغربى نموذجا المبادرات الاصلاحية فى تركيا وايران ومصر وأن هذه التجربة كانت فاشلة وان الذين اتخذوا النظام الغربى نموذجا لها نسوا ان الأسس التى تقوم عليها ركائز هذا التقدم ليست موجودة وان الظواهر لظهور تغيير اجتماعى لم تتوفر فى مجتمعاتهم .

٢ ـ خطأ مبادرة السلطان محمود الثانى ١٨٣٩ التى كانت تستهدف ان تقاوم اوربا بسلاح أوربى (من غير تربية اسلامية صحيحة) .

٣ ـ خطأ خطة التسامح التى اخطتها الدولة العثمانية مع العناصر المسيحية فى التوسع فى المدارس والامتيازات فانه عن طريق هذه الخطة أمكن تجميع القوى التى ضربت تركيا .

اشار الى هذا باول شمت فى كتابه (الاسلام قوة الغد العالمية) وهو الباحث الذى اشار منذ خمسين سنة الى أن أسس القوة النامية فى العالم الاسلامى هى :

١ — الوضع الاستراتيجى للعالم الاسلامى .

٢ — الزيادة المضطردة فى عدد السكان .

٣ — ما توصل اليه المسلمون من ثروة فى المواد الخارجة من باطن الأرض مما يكفى لقيام حضارة تضارع حضارة أوربا .

ويدلل المؤلف على الاهتمام بالنمو السكانى فى العالم الاسلامى وهذه القوة النامية التى ستحدث هزة فى ميزان القوى من الشرق والغرب .

وهو يشير الى الدور المرتقب الذى سيلعبه العالم الاسلامى ازاء هذه القوة المادية والعددية ، بالاضافة الى التفكك الذى تعانيه أوربا فقد قضت الحرب العالمية على الأفكار الانسانية ودفنتها فى ساحة القتال ويقول :

سيعيد التاريخ نفسه مبتدأ من الشرق ، عودا على بدء من المنطقة التى قامت فيها القوة العالمية الاسلامية فى الصدر الأول للاسلام ، وستظهر هذه القوة التى

تتمثل فى تماسك الاسلام ووحدته العسكرية وستثبت هذه القوة وجودها اذا ما ادرك المسلمون كيفية استخدامها والاستفادة منها . ان انتفاضة العالم الاسلامى صوت نذير لأوربا وهتاف يجوب آفاقها يدعو الى التجمع والتساند الأوربى لمواجهة هذا العملاق الذى بدأ يصحو وينفض النوم عن جفنيه وقد أشار باول شمتيز الى الدعوة القومية الاسلامية النامية ووحدة المصير الاسلامى وبروز الاسلام كعامل رئيسى فى تجمع المسلمين لمواجهة الغرب المستعمر ، والعودة الى القرآن كمصدر أساسى لتنظيم حياة الفرد والامة واتخاذ الاجراءات اللازمة ضد المبشرين لانهم طلائع الاستعمار الغربى .

* * *

اشار ولفرد كانتول سميث الى أن احقاد الصهيونية والصليبية كانت من وراء (اتاتورك) أكثر من خمسمائة سنة بعد أن رفض السلطان عبد الحميد اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ثم راحت القوى الصليبية واليهودية تشنع بمبادىء الخلافة العثمانية وفظائعها لتعمل لهدمها من قواعدها .

فقد كتبت أقلام صهيونية وصليبية مئات الكتب تشيد ببطولته الخارقة ليكون قدوة للعالم الاسلامى تحتذى فى كل مكان .

(جبرتى العصر)

* * *

(٥٢)

مؤامرة التمزيق القومى

بدأت حركة التمزق الاقليمى والقومى فى تركيا العثمانية عن طريق الدعاة أمثال جاك الب واغاييف الذين دعوا الى احياء القومية الطورانية وقد تحركت فى داخل العالم الاسلامى نوازع وافدة فى البلاد الاسلامية غير العربية وذلك بهدف تمزيق الوحدة الاسلامية الفكرية الأساسية التى قامت عليها الوحدة الاسلامية والجامعة الاسلامية والخلافة الاسلامية .

وبدأ أهل الحكم والسلطان فى كل من البلاد الشرقية يعملون على احياء روح جديدة فى الأمة بانتزاع نفسيتها الاسلامية وروحها التى شكلها القرآن خلال أربعة عشر قرنا .

وحققها كمال فى تركيا ، أمان الله فى افغانستان ، رضا خان فى ايران وترددت عبارات جديدة : الفرس منحدرون من الأصل الآرى ، والترك منحدرون من الأصل المغولى ، وذلك بهدف المباعدة عن أصول الثقافة الاسلامية ، واعلاء شأن القوميات القديمة السابقة للاسلام ونشأت فى هذا الخضم دعوات متعددة متقاربة ، الرابطة الشرقية ، الوحدة العربية ، الفرعونية ، الفينيقية ، البابلية ، الآشورية .. الخ .

وفى ايران احيا محمد رضا خان تراث كورش وربط ايران بامبراطورية الطاووس قبل ٢٥٠٠ سنة واحيا الاتراك تراث جنكيزخان وطوران والذئب الاغبر ، وفى مصر جرت الدعوة الى الفرعونية وتراث اخناتون ونسوا أن الفرعونية ليست جنسا من أجناس البشر ولكنها عصر من عصور الحكم .

وقد استغل النفوذ الأجنبى التناقض بين العناصر فى الوطن الواحد وحاول أن يتخذ منه اداة للوقيعة وتمزيق وحدة الجماعة الاسلامية .

واقد حاولت الأوطان الاسلامية مواجهة الاستعمار بأسلوب الوطنيات ثم القوميات لتأكيد وجودها كأمة لها كيان ولكن الاستعمار استطاع أن يعمق هذه العملية المرحلية ليجعلها قضية أساسية ويقضي على آثار الوحدة القائمة على الفكر والعقيدة والثقافة بايجاد مفاهيم مستمدة من تاريخ قديم تحاول ان تصور نفسها وكأنها عوامل مستقلة أو مغايرة كاحياء الفرعونية والفينيقية والبابلية والآشورية مع انها جميعا خيوط من نسيج واحد ، ولقد استغل المارشال ليوتى فى المغرب التناقض القديم بين العنصرين العربى والبربرى ، واستغل اللورد كرومر فى مصر التناقض القديم بين الفرعونية والاسلام ، كذلك استغل النفوذ الأجنبى الالتباس الذى تركته مفاهيم التغريب والغزو الثقافى بين فكرة العروبة والاسلام وبين الدين والعلم .

ولقد كانت ظاهرة (اللائكية) مصدر الزوابع السياسية التى اجتاحت القارة الوسطى (بلاد الاسلام) وتمثلت فى الحركة التى قام بها مصطفى كمال فى تركيا ، والشاه فى ايران ، وتمثلت فى تعطيل الشريعة الاسلامية وتطبيق القانون الوضعى ، وقال مالك بن بنى انها لازالت تحمل فى طياتها مجهولا خطرا وسوف يجليه التاريخ .

وقد اتخذ النفوذ الغربى من دعاة الاقليمية . الضيقة والوطنيات المنفصلة من الاسلام وسيلة الى توجيه القانون والتعليم واللغة وجهة تفصل بين الاسلام وبين المجتمع وقد فرض قانونا مشتقا من القانون الفرنسى ونظاما فى التعليم مشتقا من التعليم العلمانى الغربى واستغلت العامية .

ولقد كانت العلمانية (فصل السياسة عن الدين) بدعة متعارضة مع مفهوم الاسلام الجامع ، بدأها اتاتورك وكان وراء ذلك جهد من الاستعمار الذى غزى هذه الاكذوبة وعمل على اشاعتها وكانت الخلافة فى نظره حجر عثرة يجب التخلص منها ولا يمكن التخلص منها الا بالتخلص من العقيدة الاسلامية نفسها باقتلاعها من نفوس أصحابها ومع ذلك فان هذه المحاولة لم تستطع أن تحقق نتائج بعيدة المدى فقد عاد الشعب التركى المسلم سريعا الى التماس طريق الاسلام بينما أخذت البلاد العربية تعيد الاسلام مصدر التشريع .

***

قال المؤرخ الأمريكى فيكتور روبنصون :

كانت أوربا فى ظلام حالك بعد غروب الشمس بينما كانت قرطبة تضيئها المصابيح الهامة ، وكانت أوربا قذرة بينما كانت قرطبة مرصوفة الشوارع وكانت سقوف القصور فى أوربا مملوءة بثقوب المداخن بينما كانت قصور قرطبة تزينها الزخرفة العربية العجيبة .

وكان رهبان أوربا يلحون فى تلاوة سفر الكنيسة بينما كان معلمو قرطبة قد اسسوا مكتبة تضارع فى ضخامتها مكتبة الاسكندرية العظيمة .

***

(٥٣)

الحرب ضـــد الاســـلام

تحدث أحـــد المؤرخين عن الطرق التى سلكتها الحرب ضد الاسلام وهى ثلاث طرق :

الطريق الأول : محاولة اخراج القرآن عن حقيقته كرسالة الهية وقانون ربانى ، والقول بأنه عمل أدبى من ابداع البشر حتى يكتب جولدزيهر المستشرق عن القرآن فيقول : ان اهم ما يشمله الكتاب المعروف باسم القرآن والذى هو أيضا أثر من اثار الأدب العالمى ويقول عن الاسلام : اذا اعتبرنا الدين الاسلامى مسئولاعن العيوب الاخلاقية ومسئولا عن الركود العقلى الا انه منتشر بين شعوب واجناس مختلفة وقد خفف وطأة همجيتها بدل أن يقويها . ويقول عن الرسول أن الرسول نفسه قـــد اضطر بسبب تطوره الداخلى الخاص وبحكم الظروف التى احاطت به الى تجاوز بعض الوحى القرآنى الى وحى جديد فى الحقيقة والى أن يعترف بأنه ينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه له الله .

وكل هذا زيف باطل لم يقنع احدا وقد فشل هذا الأسلوب وتبين لهم ذلك وغلب على هذا يقين هو أن الكتاب الكريم منزل من عند الله تبارك وتعالى .

وهنا بدأت التجربة الثانية :

على قلب أمى لا يكتب ولا يقرأ ؟ !

قالوا : ما دمنا نستطيع ان ننتقص من الاسلام باعتباره ادبا عظيمـــا فماذا لو اضفنا الادب الى الدين واعتبرناه دينا وهكذا أضيفت خلافات الصوفية وآدابهم وأشعارهم الى الاسلام واعتبرت جزءا منه رغبـــة فى زيادة تناقض المسلمين بدلا من اتحادهم وتوسيع خلافهم بدلا من تماسكهم وشجعوا كل الفرق الغالية وكل القبائل والنحل التى تؤدى الى انفجار فى داخل جسم الاسلام المترامى الديار والاقطار ولم تنجح هذه المحاولة .

وطرح الطريق الثالث : وهو طريق لا مانع لديه من وجود الاسلام ولكن كخلفية بعيدة أو كدور جميل أو نقش أثرى على حائط الذكريات المهم أن لا يعود الاسلام الى حكم الدول وتوجيه مصائرها ، والمهم الا يعود الى حياته الأولى حين كان يواجه الحياة اليومية فى عهـــد الرسول والخلفاء الراشدين .

(٥٤)

لا يسقط الإسلام امام الغرب

علامات كثيرة تكشف عن دور عالم الاسلام فى المستقبل القريب والبعيـــد تتجلى واضحة من وراء عبـارات المستشرقين وكتاب الغرب فيقول « سنوك هروجنه » لا أعتقد أن الاسلام يسقط أمام الغرب لأن المسلم محتاط أشد الاحتياط لمقاومة النفــوذ الأجنبى . وما من دين استطاع أن يوحى الى المتدين حق الفهم الا اذا ادرك انه أسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهرا وباطنا به شعورا بالعزة كالشعور الذى يخامر المسلم ، ان العربى لا يفهم الاسلام وليس مجرد افكار وعقائد يناقشها ويفكر ه وسيبقى الاسلام قابلا التطور حتى فى ظل الدولة الحديثة فقد عرفت قدرة المسلمين على التوفيق بين العلم الحديث واستمساكهم بالقواعد التى رسمها الاسلام وقد ثبت ان كل اصلاح يفرض على المسلمين فرضا لابد له من ان ينهار عاجلا او آجلا ، وان الاسلام قد احدث رقيا عظيما جدا فقد أطلق العقل من قيوده التى كانت تأسره حول المعابد وبين أيدى الكهنة فارتفع الى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة وان تحريمه الصور فى المساجد قـــد خلص الفكر الاسلامى من وثنية القرون الأولى واضطر العالم الى أن يرجع الى نفسه وأن يبحث عن خالقه فى صميمه .

ويتساءل أوجين يونج فى كتابه (يقظة الاســـلام والغرب) :

هل القوة الاجتماعية فى الاسلام هى التى تكون اوربا أو دولها العظمى ؟ ربما كان ذلك لأن تعاليم الاسلام حرة فهو لا يقول بالطبقات ولا بالامتيازات ولا يدعـــو الى التسلط على نحو ما تدعو الكنائس النصرانية وليس فى مطاويه شىء من الرياء السياسى الذى تنتقد له بعض حكومات أن شعار المسلمين الجميل هو تقريب القلوب والأرواح وهذه خطوة انتقال الى الاسلام العام وهذا ما يراد ولا شك القضاء عليه .

(٥٥)

مراصد الاستعمار

يقول (مالك بن نبي) فى كشف مخططات النفوذ الأجنبى فى مواجهة حركة اليقظة الاسلامية انه عندما تظهر فكرة مجردة فان مراصد الاستعمار ترصدها قبل أن يدركها الشعب الذى يريد صاحبها أن ينشرها فيه ، فيبدأ الاستعمار بتوجيه مدفعيته اليها وبما انه لا قدرة له لمجابهة الفكرة المجردة صراحة والقضاء عليها فانه يوجه قذائفه نحو الكاتب ليصيب فكرته . ثم يحاول الاستعمار تجزئة الفكرة ، أحيانا يجرى عليهـا نوعا من الضرب باقحام عدد من الافكار الثانوية اليها لاضعاف الفكرة الاصيلة على العقول .

ويحاول الاستعمار تجسيد الافكار المجردة حتى ينصب نقده على الشخص وحتى تصبح العلاقة عاطفية لا عقلية ، أو ايجاد بديل سريع لكل فكرة شريفة وتحويل الرأى عن الاولى بالثانية ، أو شن غارة على الفكرة وصاحبها واتهام صاحبها من جهات ذات نفوذ أو تحويل الفكرة الرئيسية المجردة الى فكرة سياسية ، أو الاسراع فى طبخ الدعوات بسرعة لاخراج مولود ضعيف ليسهل قتله وهناك طريقة الأبعاد بالقتل اذا لم يكن بالاغراء أو التهديد .

ويقول : ان الذين قادوا الشعوب الى الثورات الكبرى فى بلادنا لم يكونوا من السياسيين المحترفين الذين يسيرون فى ركب الاستعمار علنا بل رجال محترمون مدفوعون على منابر الزعامة وكراسى الحكم وضعوا فى أوطانهم موضع الابطال وبنيت لهم الأضرحة الفخمة .

وفشلت هذه المحاولة ايضا ولا بد ان مصانع الاستشراق والتغريب والتبشير والغزو الثقافى منهمكة فى اعداد خطط جديدة .

ولكن الظاهرة الحقيقية التى لم تعد تخفى على كل ذى لب ، أن الجماهير المسلمة أصبحت قادرة على كشف زيف الاطروحات الجديدة العلمانية والقومية والديمقراطية والاشتراكية ومواجهة التحديات التى تطرح عليها ولم تعد تفاجىء أحدا فقد تشكلت لها خلفية واعية وفهم عميق لابعاد المخططات والمؤامرات . ان تمجيد الماضى الذى تقوم به قوى التعريب قد فهم على انه وسيلة لصرف العالم الاسلامى عن واقعه وقضاياه وعن مواجهة التحديات .

* * *

قال أحمد شفيق باشا (مذكراتى جـ ١) :

طلب جمال الدين الى (الخديو توفيق) تغيير حاشيته من رجال السراى وكانوا جميعا غير مصريين . احست هذه الحاشية الخطر على نفسها وعلى الخديوى خاف فتنصلا انجلترا وفرنسا أن يمس نفوذهما فأوغرا صدره على صديقه خصيصا وانه يظن أنه صاحب الفضل فى توليه بذهابه الى ممثلى الدول طالبا خلع والده (اسماعيل) .

* * *

(٥٦)

فهم مضلل

خرج مسئول فرنسى فى وزارة الخارجية سنة ١٩٥٢ قال :

ليست الشيوعية خطرا على أوربا فيما يبدو لى فهى حلقة لاحقة لحلقات سابقة واذا كان هناك خطر فهو خطر سياسى عسكرى فقط ، ولكنه ليس خطرا حضاريا تتعرض معه مقومات وجودنا الفكرى والانسانى للزوال والفناء . ان الخطر الحقيقى الذى يهددنا تهديدا مباشرا عنيفا هو الخطر الاسلامى ، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربى فهم يملكون تراثهم الروحى الخاص ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات اصالة فهم جديرون ان يقيموا بها قواعد عالم جديد دون حاجة الى (الاستغراب) أى دون حاجة الى اذابة شخصيتهم

الحضارية والروحية بصورة خاصة فى الشـــخصية الحضارية الغربية .

هذا الفهم الغربى للاسلام فهم مضلل ، وهـــو مايوحيه خصوم الاسلام لتأليب قوى الغرب على المسلمين فما كان الاسلام وحضارته الا مثلا عاليا للاخاء البشرى والرحمـــة والتسامح والخلق الرفيع ، وتدل على ذلك معاملاتهم للغرب وللعالم كله خلال ثلاثة عشر قرنا ، وهم حين يعملون الان للحفاظ على ذاتيتهم ولامتلاك ارادتهم لا يريدون شرا بأحد ، ولا يطمعون فى حصول على ما فى أيدى الغيروسيظلون مثلا عاليا للعطاءللبشرية وللحضارة كما كانوا من قبل .

ولكن هكذا تؤلب على المسلمين بعض القوى الغربية كالصهيونيةوالشيوعية ومن هذا الفهم الخاطىء ، يحاول الغرب عن طريق التغريب والغزو الفكرى العمل على التشكيكفى مفاهيم الاسلام وخلقجو من الاحتواء والاذابة والصـــهر الفكر الاســـلامى فى بوتقة الاممية العالمية ، وما اغناهم عن هذا كله لو انهم فهموا الاسلام فهمـــا صحيحا .

* * *

المؤامرة الصهيـونيـــة

* ارض الخزر .
* مؤامرة الصهيونية .
* مؤامرة الدونمـــة .
* الأيدلوجية التلمودية .
* وثيقـــة تبرئة اليهــود .
* عناق الصهيونية والماركسية .
* تاريخ الماســـونية .
* لورنس والثورة العربية .
* السيطرة على العالم الاسلامى .
* الماســـونية والروتارى .
* بنـــاء هيكل ســـليمان .
* التوراة مصـــدر الاستراتيجية .
* ملاحظات على العهد القـــديم .
* مملكة الخـــــزر .
* هل هو عصر المحاق الأندلسى الجديد .

ثامنا : المؤامـرة الصـهيونية

ارض الخــزر

هى المنطقة الصغيرة المحيطة بمدينة قازان حيث كان يقوم ملك التتر القديم ، نشأت دولة خزريا ودامت من القرن السابع الميلادى الى القرن العاشر ، وظل هذا الاسم علما على ما يسمى مملكة الخزر فى شـبه جزيرة القرم الىالقرن الثالث عشر وكان لها ملك يسمى الخاقان بولان ، الذى اعتنق اليهودية ٦٢٠ او ٧٤٠ م بعد أن كان قومه من الوثنيين الذين يعبدون ينو التذكير باعتباره رمز الاله الخصيب وازدهرت مملكة خزريا فى ظـل الديانة اليهودية بفضل تجارتها الواسعةعلى ضفاف بحر قزوين ودخلت فى معارك حربية مع الدول العربية الاسـلامية الناشئة فى عهد يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم حول منطقة القوقاز التى تشمل جرجان (جورجيا حاليـــا وارمينيا) وردهم مروان عنها الى ضفاف الفولجا .

خزريا اجتمع فيهايهود روسيا وبولندا وشرق اوربا عامة وهى أول دولة تقوم على أسس واحدة من العقائد السماوية ، اما الدولة الثانية فكانت دولة التتر فى قازان وقد اعتنق ملوكها الاسلام وامتد ملكها فى أواسط أوربا قبل أن يقضى عليها أمير موسكو (ايفانالرهيب) فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر لينشىء امبراطورية روسـيا المقدسة التى تسـودها العقيدة المسيحية والتى أصبحت تعرف بعـد الثورة البلشفية ١٩١٧ باسم الاتحاد السوفيتى . والذى قضى على دولة خزريا هم أمراء كييف الفرغانيون (فرغانة) وكان ذلك بداية مولد الدولة الروسية ٨٥٥ م حيث استولى أحـد الأمراء على قلعة ساراكلالخزرية وعاصمة الخزر ١٩٦٩ بعد ذلك انسحبت دولة الخزر الى شبه جزيرة القـرم ودامت فيها خمسين عاما وليس هناك اى صلة عرقية بين خزريا اليهودية وبين العبرانيين فى فلسطين ، ومن دولة خزريا انحدر ٩٢ فى المائة من يهود العالم وكانت امريكا المهجر الاكبر للخزر بعد أن شرع قياصرة الروس فى اضطهادهم واجبارهم على اعتناق المسيحية .

* * *

ان يهود الدونمة (انور ــ طلعت ــ عصمت ــ جاويد ــ جمال) هم الذين مهدوا للقضـاء على دولة الخلافة لمصلحة يهود بالدرجة الأولى كما هو معلوم وصنعوا من كمال اتاتورك أسطورة كاذبة كانت جسرهم لدخول فلسطين وليس من قبيل المصادفة ابدا ان يمتد ذراع يهود الدونمة مرة أخرى ليتابع الامر .

* * *

قررت اللجنـة الملكية البريطانية ١٩٣٠ برياسة القس لوف جرين ،) أسود (وعضـوية تشارلس بار (جنيف) وجيمسى كيمى ، ومثل مصر أحمد زكى باشا محمد على علوبة : ما يلى :

ان المسلمين وحدهم هم الذين يملكون حائط المبكى لأنه يكون جزءا لا ينفصل من الحـــرم الشريف ويملك المسلمون (وحدهم) الطريق الى حائط المبكى والى حى المغاربة .

* * *

كشفت ابحاث عن ان (لوثر) داعية البروتستانتية كان من الماسون وانه هو الذى حطم وحـدة المسيحية ووقف فى وجه الكاثوليكية واحتضنه اليهـود وحموه ، وهو الذى ركز على اعادة عرش سليمان واعلن موافقته على ما يسمى باطـــلا : الحق التاريخى لليهـــود ولا يزال أتبـــاع البروتســـتانية هم حلفـاء اسرائيل فى كل بلاد العـــالم ، واذا كان اليهـــود قد انشأوا (الماسونية) للقضاء على ظلم الكاثوليك فان اعظم ثمارها هى (البروتستانتية) التى جاءت مقدمــة لتمزيق أوربا الى فرقتين وممهدة للثورة الفرنسية

(عبد الصبور مرزوق)

* * *

أولا : لا يورد العهد القديم ذكرا لانبياء الله : هود وصالح عليهما السلام وهما نبيان يسبقان ابراهيم عليه السلام تاريخيا وهما التاليان لنوح عليه السلام مباشرة ولا يوجد في العهد القديم ما يشير الى وجودهما أو نسبهما .

ثانيا : نص العهد القديم على ان ابراهيم عليه السلام عبراني (سفر التكوين) وقد اشار القرآن الى كذب هذه المقولة في قوله تعالى **(ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) .**

ثالثا : هناك دعاوى (فرويد وغيره) بأن موسى لم يكن يهوديا والحقيقة ان ابناء يعقوب اثنى عشر منهم يوسف ولاوى (وموسى بن عمران من سبط لاوى) ومريم من سبط لاوى وزكريا من سبط لاوى .

رابعا : استجاب للمسيح أغلب بنى اسرائيل الاسبط يهوذا . قال المسيح يا أورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين هو ذا بيتكم يترك خرابا .

وقد تحققت نبوءة عيسى عليه السلام وجاء بختنصر وخرب هيكل سليمان .

خامسا : تعرض بنو اسرائيل للشتات مرتين ، احداهما قبل رسالة المسيح والأخرى بعدها على أرجح الأقوال .

* * *

بدأ اليهود في القرن العشرين يشيعون انهم هم وحدهم بنو اسرائيل وشايعهم في ذلك النصارى الاميون ، يذكرون لهم من جمل العهد القديم ما يشير الى اختيارهم ويذكرونهم بما أسموه ارض الميعاد فاعانوهم حتى استوطنوا في فلسطين ثم في ١٩٤٩ نشأت الجنسية الاسرائيلية ونشأت تسمية الاسرائيليين لتعبر عن مواطنى هذا البلد اما بنى اسرائيل فالمقصود بهم نسل يعقوب عليه السلام فهل الاسرائيليون هم بنى اسرائيل ؟ .

وتؤكد الدراسات ان يهود اسرائيل من الخزر وليسوا من نسل يعقوب .

في مؤتمر يالطا الذى عقد قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة المانيا وتقرر فيه محو النازية من المانيا جرت محادثات (روزفلت — تشرشل — ستالين) لبحث موضوع اليهود كما عرضته اللجنة الصهيونية في مذكرتها:

● فرض خمسة مليارات دولار على المانيا تعويضات لليهود الذين شردوا .

● رفع جميع القيود على الهجرة اليهودية الى فلسطين .

● منح اليهود المساعدات لانشاء الكيان السياسى

ويقول جـون سوريل في كتابه (من يالطا الى بوتسدام) الصادر ١٩٤٧ أن ستالين في مؤتمر يالطا كان اشد تحمسا لموضوع اليهود من تشرشل وروزفلت وطالب مضاعفة التعويضات لانفاقها في توطين ثلاثة ملايين يهودى اوربى في فلسطين وتبين ان هناك خطة صهيونية لتمويل الاتحاد السوفيتى من ضريبة الحكومة الامريكية وقد حصلت روسيا على معونات ضخمة من امريكا مجموعها مليار دولار نقدا وثلاثة مليارات مواد زراعية وصناعية .

وقد أحدث نقل أسرار صنع القنبلة الذرية الى الاتحاد السوفيتى بواسطة جواسيس من اليهود ويعملون في أمريكا حيث تمكن اليهودى روزنبرج وخليته من سرقة الوثائق السرية الخاصة بصناعة القنبلة الذرية وتسليمها الى السوفيت .

كانت روسيا وامريكا متفقتين على تحقيق الدولة الصهيونية ونفذا ذلك وقد رفض الملك عبد العزيز آل سعود محاولات روزفلت في ارسال مبعوث خاص لاقناعه كما اظهر ذلك في لقائه مع روزفلت ١٩٤٥ وفي لقائه مع تشرشل ايضا .

* * *

اعتبرت الولايات المتحدة انها عوضت اليهود عن اضطهاد النازية لهم باقامة دولة ديمقراطية ذات وجه غربى فاذا بها تفاجىء بانها خلقت نازية عنصرية من نوع

جديد : شعب بلا ارض وارض بلا شعب واعطى من لا يملك لمن لا يستحق ، لمن ليس له الحق .

* * *

اشار القاضي ارمسترونج فى كتابه (الخونة) (الصادر ١٩٤٧) الى ان فكرة قيام عصبة الامم والامم المتحدة وتتبعها امبراطورية صهيونية عالمية قد طرحت بهذا الترتيب الزمنى على بســـاط البحث فى المؤتمر الصهيونى فى بازل ١٨٩٨ ، لقـــد اعلن الصهيونيون المجتمعون فى هذا المؤتمر ان تحقيق هدفهم يرمى الى اخضاع الشعوب المسيحية فى العالم وتأسيس امبراطورية صهيونية يرأسها ملك يكون امبراطورا على العالم كله .

* * *

اشار ولفرد كاثيول سميث الى أن احتاد الصهيونية والصليبيين كانت وراء (اتاتورك) اكثر من خمسمائة سنة بعد أن رفض السلطان عبد الحميد اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، ثم راحت القوى الصليبية واليهودية تشنع بمبادىء الخلافة العثمانية ومطالبها لتنتهى بهدمها من قواعدها ، وقد كتبت عن (اتاتورك) اقلام صليبية وصهيونية حافلة بالكيد تشيد بتفوقه الخارق ليكون قدوة للعالم الاسلامى تحتذى فى كل مكان .

* * *

يرد الباحثون علامات الجزر الحضارى فى الغرب الى الدور الذى قامت به الصهيونية فى تحطيم المسيحية وحضارة الغرب بعد ان حولتها عن طريقها الصحيح ، واذا تعقبنا الأفكار اليهودية المسماة بعصر التنـــوير والموزعة فى ميادين الاقتصاد والاجتماع والفلسفة نرى انها هى التى عملت على احلال الفكر المادى مكان الفكر المسيحى وانكار الروحية والدين والاخـــلاق والمثاليات والمعنويات .

* * *

جرت محاولات الصهيونية فى احتـــــواء التبشير المسيحى والدعوة الى توحيد الاديان وهى دعوة الى اليهودية واحتواء البهائية ثم احتواء القاديانية وقـــد استطاع اليهود ربط المسيحية بالعهد القـــديم كخدمة لهدفهم .

* * *

سيطر اليهود على برامج الدراسات فى الجامعات الغربية وخاصة الدراسات العربية الاسلامية منها كما ادخلت خلال الاعوام العشرين الماضية ٧٥ — ١٠٠ كلية اختصاصا رئيسيا عن الدراسات اليهودية .

وابرز اعمالهم (الفهرس اليهودى) وهو كتاب يدمج الحضارة المضادة لليهودية باليهودية المحافظـــة التقليدية وكذلك التعليم اليهودى وقـــد طبع منـــه مائة وثمانون الف نسخة من طبعته الاولى و ٦٠ الفا من طبعته الثانية .

* * *

احتفـــل اليهود ١٩٧٩ بمرور مائة عام على بعث لغتهم العبرية من موتها على يد ابن يهوذا وقد نادى ابن يهوذا بتعلم اللغة العبرية واحيائها والتكلم بها وتطهيرها من الكلمات الاجنبية .

* * *

نشرت احدى المجلات المتخصصة بحثـــا يتساءل كاتبه :

هل الغرب يستغل اسرائيل لخدمه اهدافه

أم أن اسرائيل والصهيونية العالمية تستغل الغرب والشيوعية لتحقيق اهدفها ؟

قال : لقد فكر (بالمرستون) وزير خارجية بريطانيا ثم رئيس وزرائها فى أن يقيم حاجزا يعزل مصر عن بقية البلاد العربية شرقى سيناء وكان ذلك فى ايام محمد على وحربه مع الدولة العثمانية التى فتح بها الحجاز ونجدا وفلسطين وسورية وتقدم شمالا فى الاناضول فلقد اقلقه ما رأى فى ذلك من قيام دولة عربية واحدة ممتدة من مصر الى المشرق تهدد خطوط المواصلات الامبراطورية والطريق الى الهند ولا سيما كان يرى النفوذ الفرنسى وراء محمد على .

اما الحاجز الذى فكر فيه فهو تجميع اليهود فى فلسطين واقامة وطن قومى لهم فيها بحماية بريطانيا ورعايتها وقد عمل (بالمرستون) على اجبار محمد على على الانسحاب من البلاد التى فتحها والعودة الى مصر ورفض كل تسوية فى أن يحتفظ محمد على بسوريا أو

حتى سوريا الجنوبية الى عكا مقابل انسحابه من الاناضول حيث كان يهدد الدولة العثمانية .

فى تلك الايام انشأت بريطانيا قنصلية لها فى القدس ١٨٣٨ ومن غايتها كما يقول (رنباب) الحلف بين الاستعمار والصهيونية وحماية اليهود بصفة عامة ، وفى عام ١٨٤٢ قدم ابراهام نبتبش اليهودى النمساوى مذكرة الى كانبك وزير خارجية بريطانيا يقول له فيها : بوجوب مضاعفة النفوذ البريطانى فى الشرق الادنى بالاستناد الى المساعدة الهيودية وان ذلك يتحقق بتكوين مستعمرة يهودية فى احد اقسام فلسطين مؤقتا وبضمانة الانجليز (الحلف بين الاستعمار والصهيونية) .

وفى أواخر القرن التاسع عشر رسم اللورد كتشنر والسير ريجنالد وينجيت عندما كان حاكما للسودان خطة ترمى الى اقتطاع فلسطين من الدولة العثمانية باعتبارها الحصن الشرقى لقناة السويس والحلقة التى ترتبط بالهند ، ويؤكد هذا تقرير اللجنة التى الفها كامبل بنرمان رئيس الوزارة البريطانية ١٩٠٧ وكان هذا قد فكر باتخاذ وسائل وتدابير تحافظ على المصالح البريطانية وتحول دون انتهاء الأمبراطورية البريطانية فى آسيا وأفريقيا فى يوم من الايام .

* * *

الفريد لينتال الكاتب اليهودى : دعوته لاسرائيل ان تتخلى عن طابعها الصهيونى (٧٥/٦/١٤ الاهرام) يقول : نحن نتحرك من خلال تنظيم جديد يجمع المنظمات اليهودية المناهضة للصهيونية فى أمريكا والتجمع الجديد هو تجمع يهود العالم ضد الصهيونية ويشمل عددا من المفكرين امثال : المير برجر وموشى قينوهم .

ويهدف التجمع الجديد التاثير على الكونجرس الامريكى واقناعه بانه ليس كل اليهود صهاينة ، وانه من مصلحة الشعب الاسرائيلى أن يقف ضد المؤسسة الاسرائيلية بأن يعيد أراضى التى احتلت ١٩٦٧ وان يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية .

* * *

بعد سقوطفلسطين بكاملها فىأيدى اليهود بعداحتلالهم للقسم العربى سنة ١٩٦٧ بداو يبسطون فى اعمال الحفر والتنقيب بأمل الحصول على دليل اثرى واحد يثبت سبق تواجد حضارة عبرية فى المدينة ولكنهم لم يعثروا على شىء ما ومن عاش فى فلسطين انما عاش فى احضان حضارة كنعانية وليس فى ظل حضارة عبرية كما يقال .

وهم يستمرون فى الحفريات وهم يعلمون انها لن تؤدى الى ابراز شىء ولكنهم يستمرون بهدف تخريب كل المقدسات الاسلامية والاثار العربية وازالتها من المدينة تفريقا لما فيها من تواجد حضارى ثابت .

* * *

كتب بن جوريون الى موسى شاريت رئيس وزراء اسرائيل يقول :

ان العمل على انشاء دولة مسيحية فى لبنانيستحق ان نوليهاهتماما خاصا لا سيما وان هناك جذورا تاريخية تشكل أساسا صالحا لمثل هذه الدولة .

ومن المحتمل أن تكون هذه الساعة هى الساعة المواتية العمل على اقامة دولة مسيحية بجوارنا فبدون مبادرتنا ومساعدتنا الفعالة لن يتم الأمر ، انها احدى المهام الرئيسية لسياستنا الخارجية ويجب بذل الامكانات والوقت والجهد والعمل بمختلف السبل التى من شأنها أن تؤدى الى تغيير جذرى فى لبنان .

وقال كميل شمعون ان تعاوننا مع اسرائيل هو تعاون بين اقليتين محاصرتين فى الاقيانوس الاسلامى العربى .

وقال بن جوريون فى مذكراته التى نشرت فى لندن ١٩٦٦ : أن نقطة الضعف فى التحالف العربى هى لبنان فان سيطرة المسلمين فى هذا البلد هى سيطرة اصطناعية ويمكن القضاء عليها بسهولة واقامة دولة مسيحية تمتد حدودها الجنوبية حتى نهر الليطانى وحين قيام هذه الدولة فسوف نقيم معها معاهدة تحالف ، وعندما نقهر التحالف العربى ونقصف عمان فسوف نستطيع احتلال الأردن ومن بعده ستسقط سوريا واذا كان ما زال لدى مصر الجراة على شن الحرب علينا فسوف نقصف بور سعيد والاسكندرية والقاهرة .

* * *

يوضح تقرير المخابرات الامريكية أن عدد الرءوس النووية التى تملكها اسرائيل تصل الى مائتين ، معظمها

تستخدمها فى الاغراض التكتيكية وان بعضها تساوى قوته قوة قنبلة هورشيما .

ومنذ بداية السبعينات تطور النشاط النووى الاسرائيلى بالتعاون مع جنوب افريقيا واجريت تجارب مشتركة جديدة (الصحف ١٩٨٢/٦/٢١) .

وقد أشير الى انه تم تحريك مائتى طن من اليورانيوم الى اسرائيل قبل ثمانية اعوام ، وان هذه الكمية اختفت مع الباخرة الالمانية الغربية التى كانت تنقلها الى جنوى وقد ظهرت هذه الباخرة بعد سنة بتسجيل واسم جديدين بدون اليورانيوم .

* * *

قال دافيد بن جوريون : نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا الثوريات ولا الديمقراطيات فى المنطقة ، نحن فقط نخشى الاسلام : هذا المارد الذى نام طويلا وبدا يتململ من جديد .

ويقول شمعون بيريز : انه لا يمكن تحقيق السلام فى المنطقة ما دام الاسلام شاهرا سيفه ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الاسلام سيفه الى الابد .

ونحن نقول لهما : الاسلام لن يموت وهو ليس حربا على أحد .

* * *

الاسلام وهل يظل بعيدا عن المعركة ؟

تقول جريدة (ايديعوت احرنوت) :

يجب العمل على كل ما من شأنه أن يحول دون تحرك الروح الإسلامية وهو امر ظلت اسرائيل واصدقائها يحاولون كبته والقضاء عليه طوال الثلاثين عاما الماضية .

ان ظاهرة انتشار الشعارات الاسلامية بكثرة على الجدران ووسائل النقل التى يستفيد منها الفلسطينيون وانتشار الصلاة بين عدد كبير من المناضلين حتى بين أولئك الذين يحسبون على اليسار .

ان هناك حقيقة هامة هى جزء من استراتيجية اسرائيل فى حربها مع العرب : هذه الحقيقة هى اننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا فى ابعاد الاسلام عن معركتنا مع العرب ويجب أن يبقى الأسلام بعيدا عن هذه المعركة ، ولذلك فيجب علينا أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا فى منع يقظة الروح الاسلامية بأى شكل وبأى اسلوب ولو اقتضى ذلك الاستعانة باصدقائنا لاستعمال العنف فى اخماد اى بادرة ليقظة الروح الاسلامية .

ان خطا التليفزيون الاسرائيلى (لابراز التحالف اليهودى المارونى بصورة مثيرة) كاد ينسف خطتنا فقد تسبب هذا التصرف فى ايقاظ الروح الاسلامية ولو على نطاق ضيق الان ولكن يخشى أن تستغل الجماعات الاسلامية المعروفة بعدائها لاسرائيل هذه الفرصة لتحريك المشاعر الاسلامية ضدنا واذا نجحت فى ذلك واذا فشلنا فى اقناع اصدقائنا بتوجيه ضربة قاضية فى الوقت المناسب فان على اسرائيل أن تواجه حينذاك عدوا حقيقيا لا وهميا وهو عدو حرصنا ان يبقى بعيدا عن المعركة وستجد اسرائيل نفسها فى موضع حرج اذا نجح المتعصبون المسلمون فى تحويل معركتنا ضد البلدان العربية الى معركة ضد المجاهدين المتعصبين أولئك الذين يعتقدون ان احدهم يدخل الجنة اذا قتل يهوديا أو قتله يهودى .

* * *

التبشير باليهودية : دعوة خطيرة

تبرز على السطح اليوم ظاهرة التبشير باليهودية بعد عقد مؤتمر التبشير باليهودية ١٩٨١ بين غير اليهود خلال السنوات الخمسة القادمة مع رصد خمسة ملايين دولار لانفاقها فى مشروع التبشير باليهودية .

جاء ذلك نتيجة ارتفاع نسبة الزواج المختلط بين اليهود وغيرهم (هذا القناع) عنوان جاء فى مواجهة انتشار الاسلام فى أمريكا والحاجة الى القوى التبشيرية المقابلة فى معركة اسرائيل مع العرب وقلق اليهود من توسع انتشار الاسلام فى أمريكا .

قالت لويس جونزمان الباحثة اليهودية : ان مايجرى لايقتصر على مجرد نشاط بين مجموعة عرقية من الاعراق المتعددة فى المجتمع الامريكى وانما هو جزء من حركة ضخمة يموج بها العالم الاسلامى وهدفها بعث المثل الاسلامية فى العالم .

وفى السنوات المقبلة سيؤدى المسلمون دورا فعالا فى السياسة والاجتماع وتجرى اللجنة الامريكية اليهودية فى نيويورك بحثا لاحصاء المسلمين ولا ريب ان ادخال عناصر جديدة فى الدين اليهودى بقصد تجنيدها فى تنفيذ أهداف اسرائيل التوسعية فى الوقت الذى يتم فيه توفير العنصر اليهودى النقى للاستمرار النهائى فى البلاد ودعوة ابناء المجتمع الامريكى الذى فقد ثقته بالمجتمع والنصرانية وتقاليدها أو الذى نما فى مستشفيات اللقطاء حيث لا اسرة ولا اجتماع وهناك منظمة (اذاعة الصوت اليهودى) تدعو الى تكاتف اليهودية والنصرانية للتصـــدى المسلح للمنطقة الاسلامية فى العالم الاسلامى بدعوى ان الصراع الدائر بين العرب واليهود هو صراع دينى ويجب ان يتضافر النصارى واليهود للمعركة الفاصلة القادمة مع الاسلام ، لأن هزيمة الاسلام فى هـــذه المعركة ستفتح الباب أمام تنصير جماهير المسلمين بعد أن تهتز فى نفوسهم الثقة بالاسلام .

ويقوم المفكرون اليهود المنتشرون فى الجامعـــات بنشر أبحاث تصف اليقظـــة الاســـلامية بانها (نازية الاسلام) التى تهدد العالم وخاصة الغرب بشر لا نظير له ومن ذلك ما كتبه برنارد لويس (فى جامعة بريستون) قال : الاسلام قوة جبارة جدا ولكن ما تزال بحاجـــــة للتوجيه السياسى واذا كان الاسلام لم يلعب دوره فى المجال الدولى فما ذلك الا لفقدان القيادة التى تستطيع القيام بذلك ، ولكن ظهور هذه القيادة محتمل جدا ، ان وصول الاسلام الى مركز القوة امر له خطورته هـــل يتسامح الاسلام مع غير المسلمين ، هـــل يتسامح مع اليهودية فى اسرائيل أو النصارى فى لبنان أو مع أوربا ذات الخلفية الصليبية ، ان الاسلام دين قـــوة والمسلمون يحتكرون تفسير الصواب والخطأ ولا يسمعون من غيرهم فاذا لم نتنبه الى خطر الاسلام فلن أمتى السبت والاحد سيعانون نتائج وخيمة .

* * *

وتقوم الهيئات اليهودية فى أمريكا ومن يناصرها من الجماعات النصرانية يبث الذعر عما يسمى القنبلة الذرية الاسلامية وانه حين يمتلكها سوف تدمر اسرائيل وتجلب الدمار للعالم كله .

قال ريجان بعد انتخابه مباشرة : ان المسلمين فى الشرق يعودون الى فكرتهم القديمة التى تقول ان الطريق الى الجنة هو ان يضحى المسلم بحياته فى قتال النصارى أو اليهود .

وهناك خطة يهودية لتفريغ المناطق المواجهـــــة لاسرائيل وذلك بافقارها وبعث الاضطراب السياسى فيها ثم حصر مناطق الثروة والعمل والقيم فى اقطار الجزيرة حتى ينسحب العرب اليها تدريجيا من مناطق المواجهة .

* * *

(٥٧)

مؤامرة الصهيونية

ان تصريحات زعماء الصهيونية واسرائيل تكشف عن خطة بعيدة المدى يحاولون رسمها ، لا تقف عند حد الانتشار من النيل الى الفرات ، وانما هى ترمى الى طعن الحضارة الاسلامية والوجود الاسلامى كله .

يقول بن جوريون ، ان كبت المسلمين وتصفيتهم شرط ضرورى للتفاهم والتعامل مع العرب لأن عقلياتهم المتعصبة (أى تمسكهم بالحق ومقارعتهم لاباطل بمـــا يفرضه الاسلام) تشكل اكبر عقبة فى طريق السلام .

ويقول رابين : ان مشكلة الشعب اليهودى هى ان الدين الاسلامى ما زال فى دور العدوان والتوسع (أى الحيوية والانتشار والكفاح والفاعلية) وليس مستعدا لمواجهة الحلول (أى انه عقبة فى طريق الذل والخضوع والاستسلام لليهود) وان وقتا طويلا سيمضى قبل أن يترك الاسلام سيفه أى قبل أن نطبق عليه وعلى اعناق دعاته . هــذا خطر مؤامرات الكيد الدولى الصهيونى الصليبى الشـــيوعى حيث يقوم الاعـــلام اليهودى والمسئولون اليهود وعلى رأسهم مناحم بيجين ســفاح ديرياسين بحملة صراخ على الاسلام زاعمين انها امبرايالية عربية جديدة وخطر على العالم .

* * *

خطأ التفسير الدينى للتاريخ الذى قدمـــه أرنولد توينبى لانه يقـــوم على استعلاء الحضــــارة الغربية بالمسيحية ويفسر الاحداث وسير الاجيال فى ضوء هذه التبعة فتقف من الاسلام موقفا ظالما حين يرى ان المجتمع الاسلامى هو حصيلة اندماج مجتمعين متمايزين فى الاصل هو الايرانى والعربى ولو انه قال لصدق : أن الاسلام صهر كل من آمن به فى مجتمع جديد قام على أســـاس الاسلام . هذا المفهوم الذى انكر العنـــــاصر والدماء والتفاخر بها .

وان النظرة الجديدة الى الدين والعنصر انما هى نظرة جديدة لم يعرفها المسلمون والعرب فى حضارتهم ومنطلقهم التاريخى ، وانما هى من نتاج الصراع الغربى الحديث فى التفرقة بين الأديان والأجناس .

* * *

(٥٨)

مؤامرة الدونمة

تكشفت مؤامرة الدونمة منذ وقت بعيد . والدونمة هم ستمائة عائلة يهودية هاجرت من اسبانيا الى تركيا وأدعت دخولها الاسلام منذ عام ١٦٨٣ خفية مع بقائها على اليهودية فى السر ، وما تزال تلقن هذا السر زراريها وتطبعهم بهذا الطابع وتحجب هذا السر ، هؤلاء الدونمة دعاهم (بن زفى) : طائفة مسلمة — يهودية ، لا تزال منذ زعمت الاسلام تعيش فى تركيا بوجه مسلم وهـــذا ما مكنها من التدخل فىشئون تركيا الاقتصدية والسياسية والتربوية والتوجيهية الكبرى ، منها الوزراء والصـــدور العظام والنواب والمدرسين بالجامعات ومنها الشيوخ الذين يصعدون المنابر ويعقدون حلقات دراسة الفقـــه والحديث والتفسير والنصوص وهم لا يتزوجون الا فيما بينهمولا يأخذون من عادات الاخرين الا ظاهر تحتشعار : ينبغى أن نعمى عيونهم ونحافظ على الاسم المزدوج) وقد هاجرعدد منهم الى فلسطين ولا يزال بها وقد ظهر هؤلاء بعـــد عام ١٩١٨ اذ احتـــل الحلفاء عاصـــمة الخلافة (اسلامبول) وعندئذ أخذ الدونمة يتقدمون لقادة الحلفاء معلنين أنهم أيسوا اتراكا ولا مسلمين ، واسسوا حزب تركيا الفتاة ليدفعوا الحزب لتأسيس العربية الفتاة تنفيذا للمخطط اليهودى الذى يرى شطر السلطة التركية الى قومية عربية وقومية تركية كمدخل لابد من تعبيده لتسلكه اسرائيل تحقيقا لمخططاتها المعلومة ولتنتطح القوميتـــان وتهدمان برجا يعجزان عن اعادة بنائه .

يقول اسحق بن زفى (رئيس اسرائيل السابق) فى كتابه الدونمة (الصادر ١٩٥٧) عن أتاتورك انه قائد الثورة الثقافية التى اجتاحت تركيـــا واثمرت استبدال الحروف اللاتينية بالعربية .

ويعدد الباحثون اقطاب الدونمة من أمثال : جمال السفاح ، وجاويد ، وقراصـــو ، وخالدة أديب وكان صاحب المنار يعلم أن الثورة على السلطان عبد الحميد لاتعنى الا تنفيذ خططالدونمة ولذا أخذ يكتشف ماتنطوى عليهم نفسياتهم ويحذر من تنفيذ مؤامراتهم (المنار ٢٩ آب — ١٩١٦) »

* * *

(٥٩)

الأيدلوجيـــة التلمودية

الأيدلوجية التلمودية : هى فكرة وفلسفة ومنهج حياة معارض تمام المعارضة للاسلام والفكر الربانى . أبرز وجوه المعارضة قيامه على الربا والاباحية وانكار البعث وهو ما يضاد مفهوم الاسلام فى الانفاق والايمان بالبعث واخلاقية الحياة والمسئولية الفردية . لقد صنع اليهود نهجا خاصا هم سادته وعملوا عن طريق الفلسفات والايدلوجيات على أن يجعلوه منهجا عالميا وحاولوا أن يدخلوا فيه الغرب كله ثم البشرية بعد ذلك جميعا .

وقد جمعت هذه الأيدلوجية كل ماحمله الفكر البشرى القديم من وثنية والحاد وتعدد واحتقار للاخلاق وانكار للجزاء والحساب فى سبيل اشادة امبراطـورية الربا وعبادة الذهب والتكالب على الحياة . وبذلك سـيطر اليهود على الفكر البشرى وعمدوا الى احتواء الفـكر الغربى كله داخله ، ولم يعد الان فى العالم من مواجهة لنهجهم الباطل غير منهج القرآن الذى تبناه الاسـلام والذى هو منهج التوحيد الخالص والايمـــان بالبعث والمسئولية الاخلاقية والالتزام الفردى .

وطابع التلمودية واضح فى مفاهيم عـلوم النفس والاجتماع والأخلاق والأنثروبولوجيا وعلم مقارنات الاديان ولقد خرج الغرب من مفهوم اليهودية حيث سيطرت العلوم الاجتماعية التى هى ثمرة الفكر التلمودى .

* * *

(٦٠)

وثيقــة تبرئة اليهــود

ان مخطط تبرئة اليهود من محاولة قتل الســيد المسيح لها جذور قديمة ممتدة . .

وما من حدث من الأحداث العالمية الكبرى فى العصر الحديث الا ومن ورائه اليهودية العالمية فالدول الأربع الكبرى فى مؤتمر الصلح بعد الحرب العالمية الأولى كانت اليهودية العالمية هى التى تكتب لها نصوص الاتفاقيات وتدبج صكوك الانتداب وترسم خريطة العالم الجديد وسيطرعلى رؤساء الدول وكان معظم القائمين على مؤتمر الصلح من خبراء واساتذة قانون وتراجمة وأمناء يهود من اقرام اليهودية العالمية والهدف هــو تصفية العالم الاسلامى وافريقيا .

الأربعة الكبار : نيلسون أمريكا ، لويد جــورج بريطانيا ، كلمنصو فرنسا ، أورلندو ايطاليا .

لويد جورج صهيونى أكبر من الصهيونيين وكان وزير خارجية بلفور صاحب الوعد المشئوم وسكرتيره اليهودى ساسون . أما كلمنصو فهو عمل بين روتشلد وسكرتيره مندل روتشلد .

أما الدكتور نيلسون فكان يحيط به ثلاثة من دهاقنة اليهود على رأسهم القاضى الأمريكى اليهودى ترنديرى وكان الابرة المغناطيسية فى دماغ الدكتور يليســـون واسلوبه يختلف عن أساوب وايزمان اليهودى الروسى المرافق الآخر : مترجم يهودى : منتو وكيش (يهودى) .

وفى أواخر اكتوبر ١٩١٩ عين الفيلد مارشال اللنبى مندوبا ساميا على مصر مع بقائه على القيادة العسكرية فى فلسطين وسوريا ولبنان . وبدأت انذارات غورو (فرنسا) تتدفق على الملك فيصل فى سوريا وزحفت فرنسا بجيوشها لاحتلال سوريا تنفيذا لمعاهدة سيكس بيكو ، وفى معركة ميسلون تحطم الجيش العربى . أما الشريف حسين فقد خدعه البريطانيون وأعلنوا ان مامعه

من وثائق مكتوبة معهم هى هباء . وبدات اللعبـــة فى العراق فراح عملاء الانجليز يعملون على تعيين برسى كوك معتمد بريطانيا فى الخليج رئيسا للدولة العراقية المرتقبة . غير أن العلامة محمد تقى الدين الشيرازىقال كلمته المدوية : ليس لاحد من المسلمين ان ينتخب او يختار للامارة على السلطة على المسلم غير المسلم . وفصلت فلسطين والاردن عن امها ســـوريا وقطعت سوريا الى حكومات : حلب . جبل الدروز . دمشق . العلويين . لبنان .

وبدأت الأنشطة التى اعـدتها الفاتيكان ومختلف الكنائس الاوربية والافريقية بالتعاون والترابط الوثيق مع الاستعمار الغربى فى دعم ومساندة اليهودية العالمية لانتزاع فلسطين من العرب والاسلام وزحفت طـلائع الارساليات والمبشرين الذين يتمسحون فى ثياب الكهنوت وعلى هيئة اطباء ومدرسين وعلماء ومواطن .

هذه المؤامرة الماكرة على البلاد العربية وخاصة فلسطين استمرت بعد اندسار الحروب الصليبية قبل نحو الف عام وهى تسير فى شتى الصور المموهة التى تأخذ اشكالا متعـددة حتى لا تثير الشبهات ثم جاءت خطـوة الدعوة الى حل اليهود من ذنب التدبير لصلب المسيح وهذه بدأت ١٨١٩ حتى عام ١٩٦٥ حين نفذتها البابوية فقد كان النصارى يحماون عداء شديدا لليهود لاعتقادهم بأن اليهود هم الذين طلبوا من الحاكم الرومانى التخلص من السيد المسيح وكانوا يعتبرون جميع اليهود فى جميع العصور شركاء فى الجرم .

قال ليفى بارسونير : اننا اذا استطعنا ان نحمل البروتسيات على ان يجعلوا فى القدس نواة من اليهود تتقبل المسيح فان جميع يهود العالم سيتبعون خطاها حالا .

ولقـــد كان المفسرون المسيحيون الاول متاثرين باليهودية وفى مقدمتهم (زويمر) صاحب فكرة المنشور (لماذا لا تعود الى القبلة القديمة) .

يقول ستيفن نايل : ولد يسوع يهوديا لم يخط وراء حدود فلسطين لغته الأرامية ، كان يستطيع ان يقرأ التوراه باللغة العبرية وتدرجت الخطوات فكانت حماية روسيا للارثوذكس ، وفرنسا الكاثوليك والمـانيا للبروتستانت .

وفى اثناء الاعداد للمجمع المسكونى الثانى فوض البابايوحنا الثالث والعشرون الردينال بيا فى وضعمرسوم يتعلق باليهود وكان الكردنيال بيا يهوديا متنصرا ، ولما كان البابا يوحنا (٢٣) قاصدا رسوليا فى تركيا ١٩٣٥ اطلع على حال اليهود الذين هربوا من المانيا هتلر ، وفى اكتوبر ١٩٦١ جاء وفد من يهود أمريكا . قال يوحنـا لليهود : انا يوسفاخوكم ، ان ثم فرقا بين الذى لا يؤمن بالعهد القديم وبين الذى يؤمن بالعهـــد الجديد انه الشريعة الهادية العليا ولكن هذا الفرق لا ينقص من الاخوة القائمة على اصلنا الواحد .

ومن ثم بدا حذف العبارات الجارحة لليهـود من العظاتالمسيحية عام ١٩٦٢ ووضعبيان المرسومالخاص بتبرئة اليهود من دم المسيح ثم صرف النظـر عنه الى ١٩٦٥ .

ومن نصوص الوثيقة : تقر الكنيسة ان جذورها تذهب بعيدا فى أرض اسرائيل القديمة وتقر كذلك بسرور أن جذورها ترقى فى الاسباط والأنبياء وخصوصا الى ذلك اليوم الذى دعى فيه ابراهيم ليخرج من بيت ابيه الوثنى وليسير فى طريق الايمان والى الساعة التى اختار الله فيها موسى ليخرج بنى اسرائيل من أرض العبودية ويصل بهم الى أرض الميعاد .

(وثيقة تبرئة اليهود لها بقايا)

* * *

ان اى التماس مفهوم للاسلام فى الثقافة والفكر يغير النظرة المطروحة الان فىالمجتمع الاسلامى والمستمدة من المفاهيم الغربية وخاصة فى مجال الاقتصاد والادب والسياسة وفى العبارات المستعملة والاساليب وطريقة الحوار نفسه وبالنسبة ايضا للاعلام الذين يعطى لهم التبرير بينما هم فى حكم الاسلام منحرفون او خونة .

ولقد اشار رشيد رضا الى مؤامرات الدونمة التى تجسدت فى (الاتحاد والترقى) وحزب الشعب الذى استغله أتاتورك وحـذر من أبواقهم الذين خلعوا على اتاتورك رحلة البطولة متجاهلين ما انطوت عليه العصبة الاتحادية التى زجت بتركيا فى حرب لا ناقة لهم وقتها ولا جمل والذين فتحوا للدونمة طريق الوصـول الى فلسطين تحقيقا للوعود التى اعطتها انجلترا لدرزائيلى رئيس وزرائها اليهودى منذ عام ١٨٩٨ . وقد افتتح اتاتورك حفيد مزراحى البرلمـــان التركى عام ١٩٢٣ بقوله :

نحن الان فى القرن العشرين ولا نستطيع ان نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون . وصفق الدونمة ورددوا مع شاعرهم (فاروق ناقة) سلمنا البلاد لأيدى أتاتورك الأمينة وتركنا الكعبة للعر ب .

* * *

كانت جائحة التتار مصدر التحدى فى العمل على تخليص التراث خوفا عليه من الضياع بعـد أن تعددت محاولات اتلافه وامحائه ، حين عمل المغول على اغراق الكتب فى نهر دجلة وانما الف السيوطى ما الف ليحافظ على التراث من الضياع حيث عمد الى نسخ كتبه المؤلفة من المراجع المطولة وقدمها بنفسها أو فى شكل ملخصات متفرقة الاهداف والمواضيع ، ويقول المؤرخون انه نسخ ما رواه ولم يعط جديدا من الجانب النظرى كمنظر أو مفكر أو مبدع وانه ترك خلفية تاريخية مفرغة حينما اكتفى باعادة ما كان قد اطال منه غـيره النظر وبسطوا له قبل ولادة السيوطى بنحو قرنين ولد ٨٤٩ (١٢٤٩) الأمهات والمطولات وكان المغول قد دخلوا بغداد ١٢٥٨ وانهزموا على يد مماليك مصر ١٢٦٠ .

* * *

(٦١)

عنـــاق الصهيونية والماركسية

كشف الدكتور ابراهيم الشريقى عن العلاقات بين الحركة الصهيونية والحركة الاشتراكية الماركسية خلال الحربين العالميتين فأشار الى أن ضحايا الحرب العالمية الاولى فى الغرب بلغت سبعة ملايين بينما بلغ ضحايا الحرب العالمية الثانية خمسة وعشرون مليونا وقـــد أشارت الوثائق الدولية الى العلاقة بين الحركة الصهيونية وثورة روســيا البلشفية الحمراء فى روســيا ودور الصهيونية فى جر أمريكا الى جانب الحلفاء فى الحــرب العالمية الاولى ليحصلوا من الحلفاء على وعد بانشاء وطن قومى فى فلسطين وكانت حصيلة ذلك وعد بلفور عام ١٩١٧ وكان لوجود ستة ملايين ونصف مليــون يهودى فى أمريكا أثرهم فى ترجيح كفة الانتخابات لرئاسة الجمهورية الامريكية .

وكذلك دور الاتحاد السوفيتى فى تكوين اسرائيل وقيامها على انقاض شعب شرد من دياره ، فقد كان زعماء الثورة الشيوعية فى روسيا من اليهود الاشتراكيين بالاضافة الى الاتفاق السرى بين لينين زعيم الحــركة الشــيوعية فى روســيا وحاييم وايزمن زعيم الحركة الصهيونية الذى ينص على قيام دولة يهودية اشتراكية فى الشرق تكون قاعــدة لنشر الفلسفة الماركسية فى اقطاره .

وأشير الى انه عقد فى مدينة زيورخ اجتماع حضره لينين ووايزمن عام ١٩١٩ فى منزل الصناعى اليهودى شوين حيث اتفقا على تنفيذ مخطط لتقويض العنصرية فى روسيا وقيام دولة اشتراكية ماركسية على انقاضها كما اتفقا على مخطط آخر يرتبط بالمخطط الذى وضعه زعماء الصهيونية فى فيينا عاصمة النمسا عام ١٩٠٨ بهدف فتح أبواب الشرق لليهود ليستقروا فى فلسطين وينشئوا دولة لهم .

ولقد تكشف ايضا من الوثائق ما يدل على أن الشيوعية هاجمت الأديان وخاصــة الدين الاســلامى وغضت الطرف عمـــا اطلقت عليه اسم : الخرافات اليهودية وقد برر (لينين) ذلك بقوله : ان حجر الزاوية فى راى كارل ماركس وانجلز فى الدين هو قولهما المأثور: ان الدين أفيون الشعوب ولقد كان راى الماركسيين على الدوام فى انواع المؤسسات الدينية انه صدى للرجعية والبرجوازية، وانه لا هدف للاديان الا الدفاع عن سياسة الاستغلال والتحذير وتبرير تصرفات الملوك التى يتخذها الراسماليون نحــو الطبقات الكادحــة . أما الخرافات اليهــودية وأن كانت لا تختلف عن باقى الأديان ولكن بقاءها لليهود البؤساء أمر ضرورى للمحافظــة على حيويتهم حتى ينالوا حقهم واليهود اذا نبذوا دينهم حينئذ يتيهون فى الاقــوام المجاورة لهم وبمرور الزمن يفقدون اسرائيليتهم ، ولمحافظة اسرائيل كمجموعة كاملة ومتحدة فالدين أمر ضرورى فلم يجمع بنى اسرائيل غــير الدين ومحافظة الدين اليهودى أمر ضرورى لحيــاة الشعب اليهودى المختار ريثما ينالوا حقهم .

وقد نشر ستالين فى جريدة كوم مولسكايا برافدا فى ١٦ ابريل عام ١٩٤٤ مقالا قال فيه : ان دولة السوفييت الشيوعية لايمكنها ان تقف موقفا محايدا تجاه الدين فالحزب الشيوعى يقف بجانب المادة فى حين أن الدين يناهض المادة . الدين والشيوعية مثلهما مثل الماء والنار فكما ان هاتين المـــادتين لا يتحدان تقضى على الأخــرى فلا مكان للدين فى الديار الشــيوعية أبدا فكل دين من الأديان هو والمادة على طرفى نقيض » .

ولقد كان لينين أعرف الناس باليهود كشعب مختار لأنه منهم ولذلك فقد أصدر عدة قرارات كان أهمها التأييد الكامل لحق اليهود فى وطن قومى لهم فى فلسطين .

ولقد كانت ايدلوجية اليهودية الصهيونية الشيوعية ترسم الحل الامثل لمشكلة اليهود وهو يستلزم أن يسيطر اليهود على جميع الناس .

ويرى كاى مردخاى (كارل ماركس) كما يجب أن يسمى نفسه : ان المشكلة اليهودية لا تحــل نهائيا الا بالتحول الاشتراكى للعـــالم بأسره واذابة الاديان والقوميات فى بوتقة الماركسية أو الاشتراكية العلمية ، ذلك أن المشكلة اليهودية قائمة تحت ضغط الاعتقـــاد

القائل بأن اليهود هم شعب الله المختار وبما أن التقدمية الثوريةفكرا وحرية وهدفا تعمل لاخضاع المجتمعالبشرى كله الى قيادة طليعة اشتراكية ماركسية واحـدة ترتبط بها كل الحركات الماركسية فى العالم فهو يرى ان اليهود هم أصلحالبشر لاحتلال القيادة الطليعية . ولقد استطاع المكر اليهودى أن يؤسس الحركةالماركسية لتتم السيطرة اليهودية على العالم بالتحويل الاشتراكى وان مؤسس الحركة الصهيونية ليولى عمله مخادعة العالم خاصـة الولايات المتحدة بأن هذه الحركة لا صلة لها بالشيوعية العالمية وبالتالى تمكن من افراز عطفه على اقامة الوطن القومى اليهودى ، ثم الالتفات للانقضاض على الغرب وتحقيق السيادة اليهودية العالمية بالسيطرة ماركسية وصهيونية على العالم كله وبذلك تحقق التصور اليهودى للعقيدة اليهودية وما هذا الخلاف بين الاتحاد السوفيتى قاعدة العمل الماركسى والصهيونية سوى التكتيكالمرحلى الذى تتطلبه هذه السيطرة اليهودية فى الوقت الراهن .

* * *

الدعوة الى العالمية أو الانسانية : تحاول الدول الاستعمارية أن تجعلها اتجاها مضادا للوطنية والقومية، ويتخذ من العالمية وسيلة للدعوى بوجوب تنازل الامم عن قومياتها أو عدم التمسك بها أو عـدم التعصب لها ويتذرعون لذلك بأن الاحساس بالقوميـــة يؤدى الى التعصب والتعصب من شأن ضعاف العقول ونكسر به حدة المقاومة بين الشعوب .

* * *

(٦٢)

تاريخ الماسونية

سئل اليهودى : راكتشف : ما هى الماسونية ؟

فأجاب : الماسونيون الاحرار هم أولئك الذين يبنون المملكةاليهودية وفى نشرة يهوديةصدرت ١٨٦١ : ان روح الماسونية الاوربية هى روح اليهــــودية فى معتقداتها الاساسية لها نفس المثل واللغــــة وفى الأغلب نفس التنظيم والامال التى تنير طريق اسرائيل وتدعمه ، ومكان تتويجها هو سبب العبادة البديعة حيث تكون القدس رمزا وقلبا منتصرا .

وفى ٢٥ ديسمبر ١٩٠٩ نشرت جريدة المانيا بقلم المليونير اليهودى : والتراثو قال : هناك ٣٠٠ رجل كل منهم يعرف جميع زملائه الاخرين يتحكمون فى مصــــير أوربا . انهم ينتخبون خلفاءهم من الاشخاص المحيطين بهم وهؤلاء اليهــــود يملكون الوسائل التى تمكنهم من القضاء على اية حكومة لا يرضون عنها .

ويقول جورجى زيدان فى كتابه (تاريخ الماسونية العام ـــ ص ١٩٥) كانت الماسونية مصدرا لكثير من التعاليم التى أصبحت من أقوى دعائم التمـــدن الغربى والحديث ويشير جــــورجى زيدان الى التحاق فولتير بالماسونية (ص ١٤٩) فيقول :

فى عام ١٧٧٨ انضم الفيلسوف الاشهر فولتير الى الماسونية وكانت امتحاناته مقصورة على بعض مسائل ادبية مع اغفال الامتحانات الاخرى ثم نقل الى الشرق الأعظم وكان من اهم اعضائه .

ويقول أحد المؤرخين ان جماعة الاتحاد والترقى التى انشأها عام ١٨٩١ فى باريس أحمد رضا تلميــــذ الفيلسوف (أوجست كونت) ثم نقلها بعد خمسة عشر عاما الىداخل الامبراطورية العثمانية عام ١٩٠٦ فىمدينة سالونيك حيث يوجد (٥٠ الف يهودى) كانوا جميعا اعضاء فى المحافل الماسونية .

* * *

(٦٣)

لورنس والثورة العربية على الترك

يخطىء من يظن أن لورنس كان مخلصا للعرب فقد كان يرمى فى كل عمل من الأعمال الخطيرة ضد الاتراك الى خدمة بريطانيا وخدمة حلفائها وكانت الوعود التى منى بها العرب شباكا ينصبها للوصول الى غرضه فى القضاء على الدولة العثمانية الاسلامية وتمزيق شملها وقد فضحت اغراضه بعد أن قبل أن يكون مستشارا لتشرشل وزير المستعمرات ١٩٢١ على أن رفضه للاوسمة انما كان تظاهرا سياسيا .

ويقول لورنس فى كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) :

انني اكثر ما اكون فخرا أن الدم الانجليزى لم يسفك فى المعارك الثلاثة التى خضتها لان جميع الاقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوى فى نظرى موت انجليزى واحد، لقد جازفت بخديعة العرب لاعتقادى ان مساعدتهم كانت ضرورية لانتصارنا القليل الثمن فى الشرق ، ولاعتقادى اننا كسبنا الحرب مع الحنث بوعودنا افضل من عدم الانتصار .

ويقول : ليست الجيوش البريطانية الزاحفة على فلسطين وسوريا والعراق الا طليعة الغزو الأوربى لطريق البترول .

ووصفه ويدل فى كتابه المطبوع ١٩٣٧ بأنه محارب صليبى .

ووصف لويد جورج فتوح فلسطين بأنها الحرب الصليبية الاخيرة وقال اللورد اللنبى فى خطبة سياسية فى لونابارك بمصر الجديدة : ان فتوح بيت المقدس تعد حربا صليبية أخرى .

وفى مذكرة لوزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ أول سبتمبر ١٩١٦ .

ان اعلان الثورة العربية فى الحجاز هو فى مصلحة الحلفاء من عدة وجوه فاما من الوجهة السياسية فان اتساع نطاقها حتى تشمل شعوب فلسطين وسوريا وارمينية الصغرى وتحرير هذه الشعوب من النير التركى يهيىء لفرنسا أسباب التدخل فى شؤون هذه المقاطعات كما يشغل من الوجهة العسكرية الجيش التركى . أمامن الوجهة الادبية فانها تعود الجانب الاكبر من رعاياها المسلمين الى اعتبار الترك كمعتدين على الاماكن المقدسة فيزداد تعلقهم بفرنسا لانها تكافح الترك وحلفاءهم وتزيدهم اخلاصا لها . بناء على هذه الاعتبارات قد يكون من المفيد العمل على تنمية الثورة وصبغها بصبغة اسلامية .

* * *

(٦٤)

السيطرة على العالم الاسلامى

فى خطاب الكاتب الالمانى ليبنتز الى لويس الرابع ملك فرنسا (١٥ مارس ١٦٧٢) أريد أن أتحدث اليكم يا مولاى فى مشروع غزو مصر ولا يوجد بين أجزاء الأرض بلد غير مصر يمكن السيطرة منه على العالم كله وعلى تجارة الدنيا بأسرها وهى تستطيع أن تلعب هذا الدور بسهولة استيعابها لعدد كبير من السكان وبسبب خضرة أرضها المنعدم المثال ، ولقد كانت فى ماضى الأيام مهدا للعلوم ومحرابا لنعمة الله ، ولكنها اليوم معقل للديانة المحمدية التى تغدر بنا ولأى داع تخسر المسيحية تلك الارض المقدسة التى تصل آسيا بافريقيا والتى جعلت منها الطبيعة حاجزا بين البحر الابيض والبحر الاحمر ومدخلا لبلاد الشرق بأجمعها ومستودعا لكنوز أوربا والهند واذا كانت القسطنطينية قلعة لجيوش الامبراطورية العثمانية الا ان الهجوم المباغت لن يترك لها فرصة النجدة لبعد الشقة بينها وبين أوربا ، ومصر تكتنفها صحراوات فسيحة فلا يمكن اغاثتها بالجيوش ، ولذلك فانكم حينما تغزون مصر ستقضون على الامبراطورية التركية القضاء المبرم وطالب ليبنتز بحفر قناة توصل ما بين الابيض والاحمر لفتح طريق التوسع الأوربى فى أفريقيا وآسيا .

(٤)

قرر المؤتمر الاستعماري في برلين ١٩١٠ :

ان ارتقاء الاسلام يهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم ، لذلك فان المؤتمر الاستعماري ينصح للحكومة بزيادة الاشراف والمراقبة على ادوار هذه الحركة ، والمؤتمر الاستعماري يشير على الذين في ايديهم زمام المستعمرات ان يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الاسلام وأن يزيلوا العراقيل عن طريق انتشار التبشير .

* * *

(٦٥)

الماسونية والروتاري

في تقرير بريطاني ان الذى انشأ الماسونية في مصر هو البرنس حليم ومن الثابت ان حليم باشا ضم الى الماسونية بجهده تلاميذ صنوع والمويلحى وسعد زغلول واديب اسحق وسليم النقاش وكان في جمعية الماسونية شديد التقارب مع الطليان دون الانجليز .

وتقول بعض الوثائق انه هو الذى كون الحزب الوطنى الاول من اسماعيل باشا راغب رئيس النواب ومن سلطان باشا وضم اليهما اسماعيل باشا وحسن باشا الشريعى وشريف باشا وعمر لطفى .

وكان هدف الحزب انقاذ مصر من الافلاس .
وقد ربط الامر التنظيمين اللذين كان يراسهما بتنظيم الضباط السرى والحزب الوطنى العلنى (الدكتور الشناوى — الهلال سنة ١٩٨١) .

٢ — وتجمع كثير من الابحاث على ان الماسونية خطة لتمكين الصهيونية من السيطرة على العالم ، والماركسية وليدة الماسونية لان مؤسسيها: كارل ماركس وانجلز كانا ماسونيين في الدرجة الحادية والثلاثين من منشئى المحفل الانجليزى وبفضلهما صدر البيان الشيوعى المشهور .

وقد وجدت الماسونية في المبادىء الاشتراكية خير معوان لها وان اكبر عادات الماسونية مقتبسة من معبد سليمان وان اغلب الاشارات والرموز عبرانية، وتستهدف الماسونية ان تحل محل الاديان وان السيطرة على الشباب هى أهم غايات الماسونية وهى تدعو الى تربية الاطفال بعيدا عن الدين وهى تستعين بالفرق والاندية والرياضيات والجمعيات الموسيقية لادامة نفوذها في اوساط الشباب ، وهى خطة لتمكين اليهود من الاستيلاء على العالم ، وقال درزائيلى ان الذين يديرون دفة السياسة في العالم ليسوا هم الذين في دست الحكم ظاهريا وانما هم أولئك الذين يكمنون وراء الكواليس .

ويختلف تنظيم الروتارى عن الماسونية في ان قيادة الحركة الماسونية وراسها مجهولان ، على عكس نادى الروتارى الذى هو بمثابة مصيدة لضم اعضاء مختارين مهنيين من خلالها تتحرك الماسونية .

والصلة مع الصهيونية واضحة فقد اجتمعت اندية الروتارى (مايو ١٩٦٤) في بلدة (رامات غان) في فلسطين المحتلة في مظاهرة كبرى لتأييد اسرائيل .

وهى تعمل في نطاق المخططات اليهودية وسيطرة الماسون لها ظاهرة اتفاقها في روحها مع الماسونية وتستهدف نشر عادات معينة تعين على التفسخ الخلقى والاجتماعى وتقديم تقاليد جديدة باسم الموضة مرة وباسم الثورة على التقاليد بهدف اذابة المسلمين في الاممية فيتصهرون في اسلوب العيش الغربى وبذلك تضيع طوابعهم الذاتية وروحهم الخاصة وينفصلون عن موروثهم الاسلامى وقد اعلنت ١٥٠ منظمة اسلامية في مكة المكرمة حظر النشاط الماسونى في العالم .

كذلك فقد انشئت نوادى الليونز عام ١٩١٧ في امريكا اثناء الحرب العالمية انشأها الامريكى ميلفين جونز وقد انتشرت فكرة الليونز في العالم حيث بلغت عدد النوادى (٢٩ الفا في مائة وخمسين دولة في القارات الست ودخلت فكرة نادى الليونز القاهرة ١٩٥٤)

(محمد زكى عبد القادر وفؤاد بطرس)

بناء هيكل سليمان

بدأ الاسرائيليون بعد هزيمة ١٩٦٧ الحفر خلف الحائط من جهة الحـــرم الشريف وفتحوا انفاقا تحت المسجد الاقصى ومسجد الصخرة .

واعلن الإسرائيليون عن عثــورهم على نقـــود معدنية .

اشترك في اعمال الحفر ١٢٠ عاملا وجهاز من الفنين أرسل اثنائها من جوف الأرض عشرة آلاف متر مكعب من التراب .

ورد في بيـــان ١٩٦٨/٦/٧ في صحيفة جيروااليزن بوست :

بدأ اليهود في الاعتداء على حائط المبكى نفسه بل تجاوزوه الى داخـــل الحرم الشريف بزعم انهم سيقومون بحفريات اثرية لاكتشاف أســـاس هيكلهم الذى دمره الامبراطور الروماني تيتس عام ٧٠ قبل الميلاد .

ويردد زعماء اليهود ان هيكل سليمان سيعاد بناؤه على نفس موقع الصخرة المشرفة في المسجد الاقصى .

ونشرت مجلة تايم الأمريكية رسما لمشروعهم .

وقد وقع احراق المسجد الاقصى في ٢١ اغسطس عام ١٩٦٩ .

كان توقيتا يعرفه كل يهودى وهو يوم احتفالهم بتدمير هيكل سليمان الذى جرى عام ٧٠ من الميلاد .

وهناك اجماع من المؤرخين على ان بنى اسرائيل لم يتركوا في تاريخهم القديم تراثا حضـــاريا ولا مدينة زاهرة وانما كان مجتمعهم مجتمعا قبليا او مشـــيخة دينية .

وان النبى سليمان بنى الهيكل على جبل مورنا من جبال أورشليم .

وقدر ما استعمل في بنائه من الذهب والفضة بالف مليون جنيه حسب النقد الحالى . جاء سليمان بالخشب من أرز لبنان الذى رفع عنه كرها واستخدم ١٤٥ الف عامل وتم بناؤه في سبع سنين .

وقد تهدم تماما عندما استولى بختنصر ملك الكلدان على أورشليم عام ٥٨٦ قبل الميلاد واحرقت التوراة ولم يبق لها اثر ونفى بنو اسرائيل الى بابل حيث عاشوا في الاسر خمسين عاما فلما عادوا بعد استيلاء الفرس عليها قال عزرا انه عثر على نسخة التوراة المفقودة وقيل انها توراة جديدة .

ثم شرعوا في بناء هيكل جـــديد في أورشليم عام ٤٤٤ ق.م هدمه بدوره الامبراطور الرومانى تيتوس عام ٧٠ من الميلاد عندما احرقت أورشليم بسبب ثورة اليهود على حكم الرومان فلما ثاروا مرة اخرى في عهد الامبراطور أوريانوس عام ١٣٥ م دمرت أورشليم تماما وازيل الهيكل من اساسه وحرثت أرض المدينة حرثا واقيم مكان هيكل سليمان معبد وثنى باسم جوبيتر رب الارباب عنـــد الرومان .

* * *

ولما اعتنق الرومان المسيحية في عهد قسطنطين في القرن الرابع لم يكن لهيكل سليمان اى اثر وفى سنة ٦٣٦م فتح المسلمون فلسطين فأصبحت عربية لحما ودما أى عادت اليها عروبتها فقد كانت عربية منذ فجر التاريخ .

الاسرائيليون يقيمون الان في القدس الجـــديدة نموذجا لهيكل سليمان طوله ٣٦ مترا وعرضه ١٢ مترا وارتفاعه ١٨ . ولكنهم مع ذلك يزعمون أن الجـــدار الغربى للمسجد هو آخر ما بقى من هيكل سليمان القديم ويسمونه حائط المبكى وهى تسمية سياســـية لم تكن معروفة من قبل وعد بلفور ودخول الانجليز القدس عام ١٩١٧ وانما يسميه المسلمون حائط البراق نسبة الى البراق الشريف .

* * *

التوراة مصدر الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية:

قال المقاتل الاسلامى غازى الربايعة :

بذل العسكريون الاسرائيليون غاية جهدهم لاخراج ما أسموه بالتاريخ العسكرى اليهودى ، وراحوا بين معارك العبرانيين فى الماضى السحيق وبين الحروب الاسرائيلية العدوانية فى الزمن الحديث ليقنعوا انفسهم قبل غيرهم بأنهم أصحاب مهمة الهية وان ما يقومون به فى هذا العصر ان هو الا امتداد للماضى بكل آلامه وآماله وان الحرب حتمية تاريخية لا محيد عنها لانجاز الرسالة اليهودية .

١ — عقد المقارنات بين فرسان داود وسليمان .

تقوم على ان الحق اليهودى هو فى الاستيلاء على ارض الميعاد حتى تؤمن الجنود بشرعية خوض الحرب العدوانية عن قناعة ورضى نفس ويتوفر لهم حوافز ممارسة القتال الضارى العنيف اطاعة لوصايا رب الجنود وتنفيذا للوعد الالهى .

٢ — ترسيخ تعاليم الديانة اليهودية التى تحض على القتال وتحث على تعدد الموارد والاعداد للحرب وذلك لاعداد الشخصية العسكرية المقاتلة المتمتعة بصفات المبادأة والتعرض والمشحونة بالهجوم والرغبة فى القتال .

٣ — تنظر اسرائيل على تاريخها فى القرن العشرين على أنه امتداد لتاريخ داود وموسى وشاؤول وأن استراتيجية المقاومات والغزوات التى جرت على أرض فلسطين قبل مئات السنين لا تقل أهمية وقيمة عن وقائع التاريخ العسكرى الحديث .

٤ — ان الديانة اليهودية تمثل اطارا عاما للنظرية الصهيونية فالتوراة مصدر العقيدة اليهودية منها تنبعث فكرة الخلاص والعودة .

٥ — عملت الحركة الصهيونية على تحويل العقيدة الدينية اليهودية الى نظرية سياسية تطالب بحق تاريخى مزعوم مستندة الى وعد الهى .

٦ — وتزعم الصهيونية انه مثلما حفظ الدين اليهودى الشعب من الاندثار والضياع عبر قرون طويلة فان باستطاعته ليس جمع شمل هذا الشعب من جديد فوق أرض الميعاد بل وباستطاعة الدين اليهودى أن يشكل العروة الوثقى التى تربط بين تراث الماضى السحيق وتطلعات الحاضر وامنيات المستقبل .

٧ — يستمد الفكر العسكرى الاسرائيلى جذوره من الصهيونية فاستخدام القتل والقوة والارهاب والعنف هو اساس هذه العقيدة فقد جاء فى التوراة :

* اذا لم تطردوا سكان الارض من أماكنهم يكون الذين يستبقون منهم اشواكا فى اعينكم ومناخس فى جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التى انتم ساكنون فيها .

* حين تقترب من مدينة لكى تحاربها فاعرض عليها الصلح فان اجابتك وفتحت لك فكل الشعوب تكون لك للتسخير وتستعبن بك واذا لم تساعدك وعملت معك حربا فلتحاصرها واذا دفعها الرب الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف اما النساء والاطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمها لنفسك .

٨ — وهكذا يرسم اليهود سياستهم فى البطش والعنف من التوراة وليس تدميرهم لاريحا فى قديم الزمان وقضائهم على جميع سكانها وحتى البهائم — ودير ياسين فى الحديث الا شواهد على البربرية التى يستمدونها من التوراة .

٩ — وتذخر التوراة بالايات التى تمضى على هذا السلوك فهى تأمر باستعمال اقصى درجات العنف مع العدو ، وتسوق الكثير من الاساليب الوحشية التى انبعثت فى الماضى كامثلة تحتذى .

معارك جدعون ضد المديناتيين فى التوراة يدرسها التاريخ العسكرى الاسرئيلى الحديث .

١٠ ــ كتب ديان عام ١٩٦٧ مقالا عن روح المحارب ساق فيه قصة المبارزة الشهيرة التى وقعت بين داود وجالوت ليظهر بعض أوجه الشبه الذى كان سائدا بين العرب واسرائيل صيف ١٩٦٧ .

أشارت صحيفة التايمز اللندنية الى ان مجموعة من المخطوطات العربية القيمة يعود تاريخها الى ما قبل ١٢٠٠ سنة موجودة حاليا فى سرداب أحد البنوك بمقاطعة ليكنشتاين الواقعة بين النمسا وسويسرا . وهى اكبر مجموعة مخطوطات كتبت على ورق البردى وانها سوف تزود التاريخ الاسلامى بتفاصيل تتعلق بالفترة التى تلت الرسول صلى الله عليه وسلم .

وتضم المجموعة الفى مخطوطة ، منها ٤٠٠ باللغة العربية والباقى باليونانية والفينيقية وغيرها، منها واحدة تحمل قرار احد الخلفاء بتنصيب عامل على احدى الولايات فى القرن الثامن الميلادى .

***

(٦٨)

ملاحظات على العهد القديم

أورد احد الباحثين هذه الملاحظات :

أولا : لا يورد العهد القديم ذكر لهود وصالح عليهما السلام وهما نبيان يسبقان ابراهيم عليه السلام تاريخيا وهما التاليان لنوح عليه السلام مباشرة ، لايوجد فى العهد القديم ما يشير الى وجودهما او نسبهما .

ثانيا : نص العهد القديم على ان ابراهيم عليه السلام عبرانى (سفر التكوين) وقد أشار القرآن الى ان ابراهيم ليس يهوديا ولا نصرانيا ومن المؤكد أن ابراهيم ولوطا عليهما السلام عربيان .

ثالثا : ابناء يعقوب اثنى عشر منهم يوسف ولاوى ــ وموسى بن عمران من سبط لاوى ومريم من سبط لاوى وزكريا من سبط لاوى .

وقد استجاب للسيد المسيح اغلب بنى اسرائيل الا بسط يهوذا .. قال المسيح : يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة الرسل هوذا بيتكم يترك لكم خرابا .

وقد تعرض بنو اسرائيل للشتات مرتين احدهما قبل رسالة المسيح والاخرى بعده على أرجح الاقوال .

رابعا : بدأ اليهود فى القرن العشرين يشيعون انهم هم وحدهم بنو اسرائيل وشايعهم فى ذلك النصارى الذين يذكرون لهم من جهل العهد القديم ما يشير الى اختيارهم ويذكرونهم بما اسموه أرض الميعاد فناعانوهم حتى استوطنوا فى فلسطين ثم فى ١٩٤٩ نشأت الجنسية الاسرائيلية ونشأت تسمية (الاسرائيليين) لتعبر عن مواطنى هذا البلد .

أما بنى اسرائيل فالمقصود بهم نسل يعقوب عليهم السلام .

والسؤال هو : هل الاسرائيليون هم بنو اسرائيل؟:

الاسرائيليون يهود فيهم من هم من بنى اسرائيل ومنهم اجناس أخرى .

مملكة الخــزر

فى المنطقة الصغيرة المحيطة بمدينة (قازان) حيث كان يقوم ملك التتر القديم ، نشــأت حوله (خزريا) ودامت من القرن السابع الميلادى الى القرن العاشروظل هذا الاسم علما على بقايا مملكة الخزر فى شبه جزيرة القرم الى القرن الثالث عشر وكان ملكها يسمى الخاقان وأحــدهما بولاق الــذى اعتنق اليهــودية عــام ٦٢٠ م أو ٧٤٠ م بعد أن كان قومه من الوثنيين الذين يعبدون عضو التذكير باعتباره رمز الاله الخصيب . ازدهرت مملكة خزريا فى ظل الديانة اليهودية بفضــل تجارتها الواسعة على ضفاف بحر قزوين (بحر الخزر) ودخلت فى معارك حربية مع الدولة العربية الاسلامية الناشئة فى عهد يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم حول منطقة القوقاز التى تشمل جرجان (جورجيا حاليــا وارمينيا)وقد ردهم مروان عنها الى ضفاف الفولجا .

ومن خزريا انحدر يهود روسيا وبولندا وشرق اوربا عامة وهى أول دولة تقوم على أساس واحدة من العقائد الســماوية ، أما الدولة الثانية فكانت دولة التتار فى قازان وقد اعتنق ملوكها الاسلام وامتد ملكها الى اواسط أوربا قبل أن يقضى عليهم أمير موسكو (ايفان الرهيب)

فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر ، لينشىء امبراطوريةروسيا المقدسة التىتسودها العقيدة المسيحية والتى أصبحت تعرف بعــد الثورة البلشفية ١٩١٧ باسم الأتحاد السوفيتى . اراد خاقانات الخزر تجنب الدولة العباسية فى بغداد والدولة المسيحية فى بيزنطة باختيارهم اليهودية ولو اختاروا الاســلام أو المسيحية لكان عليهم الخضوع لواحــدة من هاتين . والذى قضى على دولة خزريا هم أمراء كييف الفرغانيون (فرغانة) .

يبدأ مولد الدولة الروسية الســلافية ٨٥٥ م استولى احد الامراء على قلعة سارا كل الخزرية عامل الخزر بعد ذلك انسحبت دولة الخزر الى شبه جزيرة القرم ودامت فيها ٥٠ عاما .

وليس هناك أى صلة عرقية بين خزريا اليهودية وبين العبرانيين فى فلسطين من دولة خزريا انحدر ٩٢٪ من يهود العالم وكانت امريكا المهجر الاكبر للخزر بعد ان شرع قياصرة روسيا فى اضطهادهم واجبارهم على اعتناق المسيحية .

* * *

(٢)

(علاقة البابوية بالصهيونية)

قال القاصد الرسولى (الأب مركولى) من قبل البابا (بيوس التاسع) قال : لقد حدثت تغيرات شتى فى الوقت الحاضر بين اليهود والحكومة الانجليزية وكان من شأن هذه التغيراتأن لعبت السياسة الدولية بمسألة الشعب اليهودى من جديد وبالتالى بدأ الفاتيكان يهتم بالمسألة والبابا ينظر بعينالرضا والأرتياح الىمشروعات الصهيونية فى فلسطين وهو يراها مصدر بركات للسلام العالمى .

ويعتقد البابا بيوس التاسع انه يحق للصهيونيين ان يحملوا كافة الكنائس الدينية على الاهتمام بأمانيهم على انى أؤكد أن الكنيسة الكاثوليكية وهى اكبر كنيسة فى العالم تؤيد الصهيونية وامانيها ولم تحسن الصهيونية الاختيار بارتباطها مع بريطانيا وكان الأفضل ان تبحث عن دولة اكثر تدينا .

من كتاب اليهودى العالمى (هنرى فورد) لخصه الدكتور على مظهر (الفتح ٣١٣ عام ١٩٢٩) .

من وراء اتاتورك اكثر من خمسمائة سنة بعد أن رفض السلطان عبد الحميد التامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ثم راحت القوى الصهيونية واليهودية تشنع بمبادىء الخلافة العثمانية ومطالبها اعدادا لهدمها من قواعدها .

وقد كتبت عن اتاتورك اقلام صهيونية واشادتبقوته

الخارقة ليكون قدوة لزعماء العالم الاسلامى ولقد كان المثل الأعلى لعبد الناصر .

وقال القاضى ارمسترونج فى كتابه (الخـونة) ١٩٤٧ :

ان فكرة قيام عصبة الأمم والأمم المتحدة ويتبعها امبراطورية صهيونية عالمية قد طرحت بهذا الترتيب الزمنى على بساط البحث فى المؤتمر الصهيونى فى بازل عام ١٨٩٧ . ولقد اعلن الصهيونيون المجتمعون فى هذا المؤتمر هدفهم الذى يرمى الى اخضاع شعوب المسيحية فى العالم وتأسيس امبراطورية صهيونية يرأسها ملك ، يكون امبراطورا على العالم كله .

***

(٦٩)

هل هو عصر المحاق الأندلسى الجـديد

الحكومة العالمية السرية لليهود فى بروكسل والتى يرأسها ناحوم جولدمان تحرك دول العـالم على رقعة الشطرنج الكبرى ، دون أن تدرى الشعوب ، فرؤساء الحكـومات فى عالمنا المعاصر الذى تحكمـه اجهزة الاستخبارات العالمية ، ليسوا سوى دمى الشـطرنج فوق الرقعة يحركها ناحوم جولدمان وزبانية من وراء الستار فى قلب مدينـة بروكسل عاصـمة بلجيكا حيث المقر الاوربى للحكومة الخفية .

وقسمت الحكومة الخفية العالم الى شـطرين شيوعى وغير شيوعى وتملك بيدها مفتاح التصـادم اذا لزم الأمر ، ومفتاح التحالف والود عند اللزوم وقد مزقت العالم غير الشيوعى الى تكتلات أوربية وكيانات اسلامية وشطرت العالم الشيوعى الى صين وروسيا حيث حارب نصارى أوربا كل منهما الاخر وحيث حارب مسلمو الشرق كل منهما الاخر وقاتل الأميون بعضهم بعضا حيث طوقت الأفعى اليهودية ، العـالم والقت برأسها فى القدس ١٩٦٧ محققة السيادة لهدفها التاريخى للدولة اليهودية فى فلسطين .

ويعد كسنجر محقق معجزات توحيـد العـالم الماسونى وتفتيت بقايا العالم الاسلامى الذى مارس دورا كبيرا فى تعيينه المستشار اليهـودى للرئيس الامريكى السابق (روستو) وهو يهـودى كذلك من اليهود الذين حرصت الحكـومة السرية العالمية على وضعهم فى مـكان الاشراف على المخابرات المركزية والمباحث الفيدرالية الامريكية وهما جهازان لهما دور خطير فى تشكيل المناخ السياسى للعالم .

كان العالم أمة واحدة منذ قريب ، وفى مسـتهل القرن الحالى تحت راية خليفة المسلمين العثمانى الذى حرك اليهود أوربا النصرانية لمواصلة حرب دار الاسلام منذ اقتلاع شجرة الاسلام من الأندلس فحاربت بريطانيا وفرنسا روسيا هذه الدار وفشلوا فى حربها فتحركت الحكومة الخفية لتصنع من قبيلة الدونمة اليهودية أسرة مسلمةتهيئها بالمال والنساء لامتلاك الأمرفى القسطنطينية وحركت العرب لطعن خليفة المسلمين وحربه وحركت نصارى شرق أوربا للتمرد على سلطان دولة الخلافة وقاد التمرد زعماء .

اسفرت الحركة على خليفة المسلمين عن وقوع العرب والعجم فى قبضة الاستعمار الانجليزى والفرنسى والايطالى والاسبانى الذى تحرك ليلقى بثقله فى نطاق الهجمة الغربية اليهودية النصرانية الاوربية على خلافة المسلمين فسقطت الخلافة وتمزق الجناح الفارسى الى افغانستان وايران والعراق وبخارى وطشقند وما فوق البحر الأسود وحول بحر قزوين وقبرص .

وقام تكتل أوربى فى مواجهة الفسيفساء المزقة .

اليونسكو ، حلف وارسـو ، حلف الاطلنطى ، السوق الاوربية المشتركة ، وحـدة عقائدية ، اتحاد مجلس الكنائس العالمى (ويضم كل أوربا) جهـاز التبشير . انها أوربا الماسونية صـنيعة اليهود وقد وجهها اليهود فى هذه الايام كى تنطلق فى اتجاه ماتحاصره الافعى اليهودية اليوم وتنفث فيه سمومها : العـالم الاسلامى ، وقد مارس كيسنجر لعبته فى احداث التقارب الصينى الامريكى المعـاصر وقبول الصـين فى الامم المتحدة .

أما روسيا فيحكمها اليهود حكما مباشرا (سوسلوف، كوسجين ، زاجونسكى) ، وامريكا التى يحكم مخابراتها اليهودى كيسنجر حكما مباشرا ، فالروس الذراع الايمن لليهود وما يتدرج تحتهم من الدول الشيوعية والامريكان وما يتدرج تحتهم الذراع اليسرى للحكومة السرية العالمية لليهود .

قال العتيقى وزير المالية والنفط الكويتى : لقدعدت من أوربا وأمريكا وانا اكثر ايمانا بأن أوضاع العالم العربى سوف تتغير الى ما لا نتمناه ، ما لم تسع القيادات العربية الى اعادة النظر فى أوضاعها بجدية وتجرد ، على ان يكون هناك تعاون عربى اسلامى بالمعنى الحقيقى .

فهل نعمل على اقامة الحركة الاسلامية العالمية فى مواجهة الحركة الصهيونية العالمية .

ان صحفنا هي التى تشيد بالالحاد والفسق فينا واذاعتنا كل تحويل تحول عنصرنا البشرى الى عنصر ماسونى .

عبد الرحمن أبو الخير

* * *

المسلمون والاستعمار الغربى

* الاسلام أشد خطراً .
* الارساليات التبشيرية .
* احتلال موانىء الاســلام .
* افريقيا والعــالم الاسلامى .
* روح التعصب الغربى ضد الاسلام .
* الحرب الصليبية السادسة .
* اخطاء الاستشراق .
* المحافظة على ذاتية الفكر الاسلامى .
* المسلمون والاستعمار الغربى .

الاسلام اشــد خطرا

صرح مسئول فرنسى فى وزارة الخارجية عام ١٩٥٢ قال :

ليست الشيوعية خطرا على أوربا فيما يبــدو لى فهى حلقة لاحقة لحلقات سابقة واذا كان هناك خطر فهو خطر سياسى عســكرى فقط ، ولكنه ليس خطرا حضاريا تتعرض له مقومات وجودنا الفــكرى والانسانى للزوال والفناء . ان الخطر الحقيقى الذى يهددنا تهديدا مباشرا عنيفا هو الخطر الاسلامى ، فالمســلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربى ، فهم يملكون تراثهم الروحى الخاص ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات اصالة فهم جديرون بان يقيموا بها قواعد عالم جديد دون حاجــة الى الاستغراب اى دون حاجــة الى اذابة شخصيتهم الحضارية والروحية بصورة خاصـــة فى الشخصية الحضارية الغربية .

* * *

انجلترا لأنها كانت تعادى الاتراك بحثت عنخصوم شرقيين لهم فلم تجد الا الدولة الصفوية التى كان بينها وبين العثمانيين حـــروب اكتست بلبــاس الدين لان الصفويين شيعة امامية والعثمانيون ســنة لذلك تردد السفراء بين الانجليز والصفويين واستعان بهمالصفويون فى تنظيم جيوشهم .

ان رواسب الحروب الصليبية لا تزال حية فى اذهان الدول الغربية المعاصرة بالرغم من مرور زهاء ثمان قرون على هزيمة الصليبيين .

وان أسلحة حلف الاطلنطى كانت تتدفق على فرنسا فىحربها مع الجزائر وعلى هولندا فى حربها مع اندونيسيا وقبل حلف الأطلنطى كانت الأسلحة الصليبية تتدفق على ايطاليا فى حربها مع ليبيا وعلى اسبانيا فى حربها مــع الريف المغربى ثم على اسرائيل ولا تزال فى حربها مــع العرب .

وهكذا تجند الصليبية الدولية المختفية وراء كلمات براقة اليوم كل القوى ضد الأسلام ولا سيما الشيوعية ما دام الهدف هو توجيه اى ضربة ضد الأسلام .

ولقد اصدر البابا المسيحى توجيهاته الى الطلاب المسيحيين بالانضمام الى التكتلات الشيوعية داخــل الجامعات .

والفاتيكان ممثل المسيحية وقف خلال حرب ١٩٤٨ بين اليهود والعرب مؤيدا لاسرائيل ومتهما العــرب بالبربرية وتجاهل ما فعله اليهــود بالعرب فى اللد والرملة ودير ياسين .

ولقــد كانت الشيوعية والصليبية متآزرتان وراء قيام اسرائيل .

* * *

ان الغرب المسيحى قد زرع كيانا صهيونيا يهوديا فى ارضالاسلام بهدف التخلص من شروره وبهدف وضعه ككلب حراسة فى هذه المنطقة لحراسة مصالحه .

قال محمد اقبال فى المؤتمر الاسلامى فى القــدس (١٩٣١) .

اعتقد ان مستقبل الاسلام متوقف على الشعوب العربية وان مستقبل هذه الشعوب متعلق بوحدتهــا والمقدر لهذه الشعوب هو ان تعظم وتقوى وانه لا قوة غيرالاسلام يستطيع الوقوف وقفة صادقة فى وجه الالحاد والمادية الصادرين من أوربا ولا أخشى من أعداء الاسلام الخارجين عليه بل أخشى من عداء الاسلام الداخليين

* * *

دخلت اسبانيا عام ١٩١٢ الى المغرب العربى ومبرر وجودها مساعدة السلطان وادخال الاصــلاحات على الدولة المغربية وباسم السلطان فتحت جيوشها أراضى الشمال وفتحت ايفنى قاعدة الصحراء ، وتطور نظام الحماية مع الأيام الى نظام حكم مباشر وفرض نفسه كسيطرة عسكرية وسياسية مطلقة .

وقد كان وجود اسبانيا فى حرب الريف الاولى ١٩٠٧ ــ ١٩٢٥ بقيادة البطــل عبد الكريم مصحوبا

بسلسلة من المعارك العسكرية فى الغرب والشرق ادت بالاسبان انفسهم ان يطرحوا شعار ايقاء نهــر الدماء والذهب فى افريقيا .

* * *

نشأت حركة ايام الحملة الفرنسية فى مصر تنادى باستقلال مصر بقيادة المعلم يعقوب وبعض زعمـــاء الاقباط الذين خرجوا من مصر متجهين الى فرنسا وقت جلاء الحملة وانهم الفوا ما اسموه الوفد المصرى وانضم اليهم مغامر اسمه لاسكاريس (ويقال انه هو المعلم نفسه) واخذوا يكتبون المذكرات دفاعا عن فــكرة استقلال مصر حتى لاتعود الى الدولة العثمانية ، ومات يعقوب فى عرض البحر ووضعت جثته فى برميل من الكروم (الخمر) حتى لا يتعفن الى ان وصلوا الى مارسيليا ودفنوه .

ونزل اعضاء الوفد الى فرنسا واخذوا يطرقون ابواب بونابرت القنصل الاول وارسلوا بعض الوثائق الى الحكومــة الانجليزية ولم يكن لحركتهم اى تأثير وتشبثوا فى فرنسا والمعتقد انهم خافوا على حياتهم بعد خروج الفرنسيين حيث لا مستقبل لهم بعد عودة مصر الى العثمانيين .

هؤلاء هم الذين كتب عنهم لويس عوض ووصفهم بالابطال ورفعهم فوق المجاهدين الذين ارتوا عيــون الفرنسيين ثلاث سنوات كامــلة حتى اجبروهم على الجــلاء .

* * *

جاء فى كتاب المسألة الشرقية (ادوارد دريو) فى نهاية فصل تحت عنوان (موت تركيا) :

عندما دخل محمد الفاتح مدينة القسطنطينية وجعل كنيسة ابا صوفيا جامعا أمر بان تغطى الصــور التى كانت تزين حوائطها بطبقة من الجير لتخفيها واقام على جانبى قبتها العظيمة مأذنتين ، اما المأذنتان فمن الميسور جدا الان هدمهما وان ترجع الكنيسة الى شكلها الاول .

* * *

(٧١)

الارساليات التبشيرية

من كتاب للمستر ماكاب أصدرته شركة هالدمان وبوليوس للنشر فى ولاية تكساس الامريكية عام ١٩٣٢

ان جمعيــات التبشير البروتستانتية فى الولايات المتحدة وبريطانيا تجمع من التبرعات خمسين مليــون ريال فى العام للدعوة المباشرة أو غــير المباشرة الى التبشير ، فاذا اضيف الى ذلك ما يجمع من المانيــا وهولندا وغيرها ، فان البعثات السنوية تبلغ مائة مليون ريال تقول : ان هذا ما ينفق سنويا منذ عشرين سنة على التبشير ، فكأن هذا العمل قد كلف الدول الغربية فى هذه الفترة الاخيرة الفى مليون ريال أو اربعمائة مليون جنيه هذا فى عشرين سنة وبغير نظر الى ما انفق منذ القرن السابع عشر .

واذا كانت الهيئات الدينية المنظمة قد كسبت نحو ستة ملايين الوثنيين فى القرن الماضى ، فان الانتشــار العظيم الذى فاز به الاسلام لم يكن الا بالاقتنــاع لا بالهدايا والمنح والمال فالاســـلام يعيش فى افريقيا ويغلب كل مبشر .

وقال ان مما ساعد المبشرين فى الهند هو ادماجها فى الامبراطورية البريطانية و فى وسع المبشرين انيعملوا ما يشاءون يساعدهم على ذلك أن الحكام الوطنيين لم يفكروا قط فى تعليم الجماهير فأنشأ الانجليز الى ســنة ١٨٧١ من المدارس والكليات ٢٥١٤٧ منها ٧٢ فى المائة للمبشرين . وبلغت تكاليف التعليم فى ذلك العام ١٥ مليون ريال دفعت الحكومة الثلث وجمعيات التبشــير الثلثين ، ومن قامت حركة التبشــير بتحويله لم يتحول الا اسما فقط لان كثيرين منهم يعـــودون الى أديانهم الأولى .

وفى الصين كان التبشير مباحا ما دام المبشرون لا يتدخلون فى السياسة ولكنهم اساءوا إستعمال هــذه

الحرية وكثر الفساد بسبب امتيازات الأجانب وقد استيقظ الصين الآن ولم يعد فى وسع بعثات التبشير ان تعمل فى وسط يكره الأجانب والمبشرين .

ثم يقول : ان الحماسة فى سبيل التبشير ليس لها سند من المنطق لأنها صناعية متكلفة ، وقد قال السير لوجارد فى كتابه (افريقيا الاستوائية الانجليزية) ان الافريقى الذى يعلمه المبشرون لا يعول عليه .

وقال مستر مالكاب ان التبشير كان فى كل حال بريد الاستعمار ودعودته ورسوله وان المبشرين بذروا التباغض بين الشعوب .

* * *

(٢)

كان ابراهيم باشا (ابن محمد على) أول من سمح للارساليات والبعثات الاجنبية بالعمل فى الشام وسمح لطائفة الجزويت الفرنسية بالعودة الى البلاد ١٨٣١ فبادرت الى انشاء المدارس وظلت تواصل جهودها حتى تم لها انشاء جامعة سنت جوزيف فى بيروت عام ١٨٧٥ وانشأت المطبعة عام ١٨٣٤ وبحلول عام ١٨٦٠ بلغ عددمدارسها ثلاثة وثلاثين مدرسة يؤمها الف تلميذ وفى ١٨٦٦ انشأت الكلية السورية البروتستانية التى تسمت فيما بعد باسم الجامعة الأمريكية ببيروت .

وقد اهتم الامريكان باحياء اللغة العربية فى وجه اللغة التركية فلما سقطت الدولة العثمانية تحولت برامج الدراسة الى الانجليزية ، عملت الارساليات على ما أسمته التحرر من الظلم العثمانى فأنشئت عام ١٨٨٠ جمعية سرية تضم ٢٢ اسسها شاب مسيحى دعى فيها الى القومية العربية وكانت التربية الاوربية التى يلقنونها الطلاب بمدارس البعثات الفرنسية قد اجتذبت عددا من العرب المسيحيين وقلة من المسلمين المتفرنجين المتحررين من تقاليدهم الثقافية .

(٣)

من الشروط التى اشترطت على العراق لكى يلتحق بعصبة الامم عام ١٩٣٠ أن يتكفل بحماية البعثات التبشيرية فى الشرق .

* * *

(٤)

معاهدة لتران

عقدت معاهدة لتران بين الفاتيكان والدولة الايطالية فى ١٠ فبراير عام ١٩٢٩ وتقرر بمقتضاها أن تدفع الحكومة الأيطالية ٧٥٠ مليون ليرة ايطالية كتعويض عن حقوقها المالية التى توقفت منذ ١٨٧١ عندما وقع الخلاف بينهما وكذلك على ربح قدره ٥ فى المائة لقرض اسمى قدره ثلاثة مليارات ليرة تصدره الحكومة الايطالية .

وصرح الكردينال جسبارى كبير البطارقة أن الفاتيكان تعتزم أن تستخدم القسم الأكبر من هذا المال فى تقوية نفوذ الكنيسة المعنوى وبث الدعوة الكاثوليكية وتقوية البعثات التبشيرية فى المشرق وافريقيا .

* * *

(٥)

تقرير القس زويمر عام ١٩٢٧

* ان هدم الاسلام فى نفوس المسلمين له أهمية كبرى فى شىء واحد هو مثول الفكر الغربى كصديق دولى وان اول ما يجب عمله للقضاء على الاسلام هو ايجاد القوميات .

* ان الغرض من التبشير قتل الاسلام لاستبعاد المسلمين .

* ان الغاية التى نرمى اليها هى اخراج المسلم من الاسلام فقط ليكون أما ملحدا او مضطربا فى دينه وعندها لا يكون مسلما اى لا يكون له عقيدة بدين .

* يجب أن يكون تبشير المسلمين بواسطة رسول من بين صفوفهم لان الشجرة يجب أن يقطعها احد اعضائها .

* * *

(٦)

من تقرير اللجنة الثالثة لمؤتمر التبشير فى ادنبرج عام ١٩١٠

اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى فى عاصمة السلطان العثمانية على أن معاهدة التعليم الثانوية التى أسسها الأوربيون كان لها تأثير على المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول أوربا كلها .

وقال كلمناصو (الزعيم الفرنسى) : ان راية الثورة الفرنسية تحقق الآن لمساعدة المبشرين الذين اشتهروا بالقتل والنهب .

* * *

(٧)

كانت الارساليات التبشيرية ومعاهدها التى اقامتها فى (مصر — استانبول — بيروت) عاملا من العوامل الهامة فى تركيز نفوذ الاستعمار وقد ظهرت وثائق كثيرة تكشف عن الدور الذى لعبته الجامعة الامريكية فى بيروت فى خدمة الاستعمار الثقافى والمصالح الامريكية فى المنطقة . ومنها كتاب السيناتور هربرت همفرى تحت عنوان « الشرق الاوسط وأوربا الجنوبية » يقول فيه : أن أحد الاسباب الرئيسية للتخفيف من متاعبنا فى الشرق الأوسط انه منذ نحو مائة عام وخريجو هذه الجامعة منتشرون فى العالم العربى وكثيرون منهم فى مراكز هامة .

وتقول مجلة وول ستريت (١٩٧٣) ان المساعدات الحكومية الى الجامعة الامريكية فى بيروت بلغت ١٠٧ مليون دولار خلال العشرين سنة الاخيرة وان اهمية هذه الجامعة تقاس بحجم خدماتها الى صناعة النفط فى هذه المنطقة .

وقال ينحمين فيلبى : فى محاضرة له بالجامعة الامريكية فى بيروت (١٩٥٧/١٠/٢٠) المحقق ان هذه المؤسسات (الجامعة الامريكية فى بيروت والقاهرة واستانبول) قد لعبت الدور الرئيسى فى تنمية الفكر الشخصى لدى طلابها الذين تمكنوا من قيادة الحركة القومية ومن المهم أيضا أن نعرف أن النفوذ التربوى الوحيد الذى تعرض له الطلاب العرب فى القرن الماضى كان النفوذ الغربى وتوجد سبع جامعات أمريكية فى الشرق (بخلاف المدارس والبعثات الدينية) اعتمادها ١٥ مليونا من الدولارات .

وأشارت وثيقة هامة الى ان اكثر من ٦٠٠ زعيم سياسى فى العالم اختارهم البروفسور هنرى كيسنجر لزيارة جامعة هارفارد حين كانوا شبانا بالتعاون مع المخابرات الامريكية من أجل تسليط الضوء يمكنهم ويهيئهم للمشاركة فى حكم بلادهم منهم جيسكار ديستان الرئيس الفرنسى الحالى وايجال الون وبعض العرب ممن تولوا مسئوليات رسمية ضخمة أو مسئوليات اعلامية .

ويقول نبيه أمين فارس : لقد حاولت أوربا عن طريق الكلمة ما عجز اجدادها الصليبيون عن طريق السيف . تنشد اخضاع العالم كله للمسيح ، الوصية التى سجلها أول المبشرين : اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس علموهم ان يحفظوا ما أوصيتكم به — متى ٢٨ — هذا من كلام بولس وليس من كلام السيد المسيح الذى قال انه انما جاء لخراف بنى اسرائيل الضالة وحدهم .

وتقول جريدة التايمز ١٩٧٩/١/٢٢ ما يلى :

ان الجهود التبشيرية المسيحية لم تحقق فشــلا ذريعا فى أى مكان كما حققت فى مواجهة الاسلام . أما فى الصعيد السياسى فغالبا ما اتخذ الامريكان الايدلوجية القومية العلمانية وكانت القومية من هذا الطراز خلفا للاستعمار فى اكثر الاقطار الاسلامة ولكنها تبدو الآن فى انهيار لقد خفت ومضتها نتيجة توليها السلطة وبعجزها عن تحقيق الفوائد المادية التى بدا أن الاستقلال يعد بها وفشلت لأنها ضحية تناقض داخلى فهى تدعى بمحاربة النفوذ الغربى الذى جاءت هى نفسها ناتجا له ، واذا كان لهوية الامة الاسلامية أن تتأكد فمن المؤكد انها لن تقتنع بدولة قومية علمانية اذ يجب اعادة النظـــام الاسلامى الذى يحكم بالقانون الالهى .

* * *

(٨)

لماذا اختار زعماء التبشير مدينة البحرين عام ١٨٩٣ مركزا لدعوتهم فى الخليج والبلاد العربية كلها فاوفدت اليها القس زويمر فاقام بها بضعة وعشرين عاما تنقل خلالها فى مختلف العواصم الاسلامية — ان الاستاذ مبارك الخاطر يجيب عن ذلك بان هذه المنطقة كانت متقدمة فكريا تقدما واضحا وكانت ذات صلة بالنهضة الاسلامية التى ابتعثها جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا وكان لها مشاركة فى مجلة المنار والصحافة الاسلامية منذ ذلك الوقت البعيد ، وقد واجه القاضى المجاهد الشيخ قاسم بن مهزع هذه الحملة التبشيرية وقاومها مقاومة واضـحة وكشف مخططها ، فقد كانت البحرين بين بلاد الخليج العربية المشمولة بالحماية البريطانية منذ ١٨٢٠ وقـد كانت عبر تاريخها فى تجارة اللؤلؤ مهبط الاغراب من الجنســيات المختلفــة ووصلتها طــلائع التبشير البروتستانتى وبها الايرانى والهندى والافريقى والاوربى ومن ثم اصبحت مكانا مناسبا لاتخاذها قاعدة للتبشير البروتستانتى فى الخليج وعمان وقد كانت مدينة (المنامة) هى مركز الارسالية فى البحرين وكان العمل التبشيرى فى جزر البحرين وسواحل الاحساء وعمان يدار من مركز المنامة ولقد وصل القس صمويل زويمر الى المنامة ١٣١٠ هـ — ١٨٩٤ م وبعض رفاقه واستأجروا بيتا ثم بدأ زويمر يتصل بالناس فى الاسواق ويناقش الشباب منهم فى أمور الدين باللغة العربية فقد كان يجيدها . ومنذ عرف القاضى قاسم بن مهزع بأمر وصوله وجماعته فقد قام ولم يقعد ، فقد حاول أول الأمر أن يخرجه من البلاد لولا تدخل المندوب البريطانى فى الخليج وهنا عمد ابن مهزع الى محاصرته وكشف زيفه والتضييق على جماعته وبث العيون لرصد حركاتهم وتوعية العامة عن طريق العلماء والتجار باغراض المبشرين مما اغلق الطريق أمامهم ولذلك فان زويمر وجد نفورا شديدا من كل من لقيه وحاول التحدث اليه وكان زويمر يقول الشباب : انه جاء اليهم فى بلادهم ضيفا عليهم اذا لم يقبلوه فهو ضيف الله وكانوا يقولون له : لست بضيفنا ولا ضيف الله : انت ضيف الشيطان وظل هؤلاء الفئة يذكرونه حتى زارهم بعد فى جامعــة عليكرة ١٩١١ فلما دخل عليهم قالوا له اهلا بضيف ابليس فقال لهم : الى الآن لم تنسوها ؟

وضاقت أول الامر أرض البحرين على القس زويمر ورفاقه فغادرها ١٨٩٣ الى الاحساء وهنـــاك طرده الوالى التركى ثم عاد الى البحرين ثانية واستأجر فى المنامة بيتا وجعله مدرسة لتعلم اللغة الانجليزية وجعل فيها قسما لبيع كتب التوراة والانجيل ، وبدا زويمر عمله ١٨٩٤ فى التبشير بين طلاب المدرسة ورواد المكتبة ، وعدته فى ذلك ادواته من خرائط وكرة أرضية وفانوس سحرى ، والقى محاضرات على المسلمين تمثل حوادث التوراة بالفانوس السحرى . الخرائط الاحصائية عن ارتقاء ممالك النصرانية وانحطاط ممالك الاسلام واشترى قطعة أرض بنى عليها مستشفى ماسون الامريكى ولكن القس زويمر لم يحقق نجاحا يذكر فقــد قال فى مؤتمر القدس ١٩٣٢ انه خاب أمله فى تنصير العالم الاسلامى قاطبة فى مدى ٢٥ عاما ، وقال أننا قد لا نستطيع ادخال المسلمين فى حظيرة المسيحية فهم لا يفضلون ترك الاسلام الى غيره ولكننا قد نستطيع اخراجهم من الاسلام فقط بتشكيكهم فيه كنظام .

وصمد أهل البحرين أمام صمويل زويمر .

وقاوم هذا الاتجاه احمد بن مهزع وابراهيم محمد الخليفة وفضل الذكر وقاسم بن مهزع وكانوا تلاميـــذ مدرسة المنار والمؤيد ورشيد رضا ومحمد عبده وجمال الدين الافغانى .

ويقول الاستاذ مبارك الخاطر فى كتابه عن الشيخ قاسم بن مهزع (١٨٤٧ — ١٩٤١) ان اهل البلاد واجهوا التيار مع قلة عددهم وصغر مساحة بلادهم وامتـــد

الصراع ثلث قرن كامل وكان الشيخ ابن مهزع يقرأ على الشباب العروة الوثقى ويكشف لهم اغراض المبشرين البعيدة ، وقال نتعلم منهم الانجليزية ونرفض اللاهوت، وكان يوجههم فى طريقة الجدل، ولم تخدع الشباب كلماتهم عن الحضارة الجديدة التى قالوا انها من صنع المسيحيين!

* * *

(٧٢)

احتلال موانى الاسلام

ما أن تحررت البرتغال من الحكم بالاندلس وكونت مملكتها الصغيرة على شاطىء الاطلنطى وبايحـاء من هنرى الملاح (١٣٩٤ ــ ١٤٦٠) حتى أخـذ ملاحوها يستكشـفون الشاطىء الأفريقى من المحيط الاطلنطى موابين وجوههم نحو الجنوب .

ــ لا شك أن جل مآرب هنرى كانت متواصلة عمل الصليبيين بمحاولة الالتفاف حول ديار الاسلام وحصرها من الوجهتين الحربية والتجارية مع انتزاع تجارة الذهب وغيره من حاصلات افريقيا الغربية من يد المسلمين . ثم الاتصال مما وراء الصحراء الكبرى جنـوبا بنجاشى اثيوبيا (دير سترجون) والاشتراك معه فى مهاجمـة المسلمين من الجنوب ، وقد يكون قد قصد ايضا فى اواخر عهده الى استيلاء البرتغال على تجارة الهند التى كانت اكبر مورد لثراء العالم الاسلامى .

واصل التقدم خلفاء هنرى حتى رأس الرجاء الصالح ١٤٨٨ بعد عشر سنين من ذلك سار فاسكودى جاما ازاء شاطىء افريقيا الشرقى حتى بلغ مدنه الاسلامية ، هناك استصحب مع احد الهنود المسلمين العالمين بسـلوك البحر فوصل به الى جنوبى الهند (احمد بن ماجد) ثم تتالت بعد ذلك الحملات التجارية البرتغالية على مراكز المسلمين بمدينة (قاليقوط) .

* * *

وكانت السفن البرتغالية المعدة لسلوك المحيطات والمزودة بمهـارة الملاحين كانت فوق طاقـة السفن الاسلامية وملاحيها .

وتحول تمعظم الجارة الى رأس الرجاء بعد أن كانت الى البحر المتوسط .

أما القائد البحرى البوكبرك فقد بلغ به الامر أن فكر فى تحويل مجرى اعالى النيل الى البحر الاحمـر ، وقد استولى البرتغال قبل ١٥١٥ م على مسقط وهرمز والبحرين .

وورث الانجليز والفرنسيون البرتغال مع اعتناق نفس المفاهيم الاستعمارية وتوسيعها . وفى ١٥٩١ قامت ثلاث سفن انجليزية فى رحلة الى الشرق الأقصى عن طريق الراس وقت أن كانت قوة البرتغال آخذة فى الهبوط فى خلال ذلك كان الهولنديون قد انتزعوا استقلالهم من اسبانيا ١٥٨١ واخذوا يعدون العدة لخوض غمـار المشروعات التجارية وعام ١٥٩١ قاموا ببعض حملات تجارية ناجحة الى جزر الهند الشرقية .

وعمد الاستعمار الى استغلال الخلاف بين فارس وتركيا ووقفت انجلترا مع فارس واوفد الشاه عباس الاكبر (١٥٨٧ ــ ١٦٢٩) الى العواصم الأوربية سفراءه للبحث عن حليف لفارس ضد العثمانيين ولايجاد علائق تجارية معها .

* * *

يقول محمد كرد على : ان مصر ذكرت فى القرآن فى اربعة وعشرين موضعا منها ما هو صريح اللفظ ومنها ما دلت عليه القرائن والتفاسير ولم يقع مثل ذلك لمصر من الامصار وقد عثر المتاخرون فى اللغة المصرية القديمة على الوف من الالفاظ العربية .

* * *

افريقيا والعالم الاسلامى

أولا : ان علاقة العرب المسلمين مع افريقيا علاقة قديمة فقد انتشر الاسلام فيها من اوائل التاريخ الاسلامى ، لكن الاستعمار الغربى فصل افريقيا وقطعها عن العالم العربى بوضع حواجز اصطناعية ومؤامرات لتسميم العقول والأفكار بايراد النزعات القومية واثارة الكراهية ضد العرب والدعاية الكاذبة ضد الاسلام وبتقلص الاستعمار عن القارة الخضراء ، وقد بدات الحياة تعود الى طبيعتها وبدأ الاسلام يلعب دوره فيها رغم استمرار مكائد التبشير المسيحى ومؤامرات الاستعمار .

ثانيا : ان هناك مجموعات مسيحية تسيطر على معظم عناصر الثروة فى افريقيا فى ذلك بعض الدول المسلمة ، ولقد كان للتدبير الغربى اثر كبير فى جعل المجموعات المسيحية تسيطر على ١٣ قطرا من بين ٢٣ قطرا مسلما تشكل الأغلبية بالنسبة لدويلات القارة الافريقية .

وفى الماضى كان يحكم القارة البريطانيون والفرنسيون واليوم يحكمها مبشرون مسيحيون ومجندون من المرتزقة .

والسنغال نسبة المسلمين فيه ٩٥ ٪ ولكن الادارة الاقتصادية والسياسية فى يد حفنة قليلة من المسيحيين ، وفى نيجيريا سلطة اقلية مسيحية هى قبيلة الايبو على اغلبية مسلمة من قبيلتى الهوسا والفولانى .

ثالثا : قول دوفور دولايكويدى : فى كتابه الاسلام والبعثات الكاثوليكية فى افريقيا .

ان التجارب قد حققت لنا أن المسلمين الذين فى مملكتنا فى افريقيا لا يصيرون ابدا رعايا مخلصين لفرنسا ان لم يصيروا مسيحيين فلعلى هذا قد تضافرت شهادات القسوس المبشرين والاشخاص العالمين الذين عرفوا الاسلام حق المعرفة .

رابعا : فى ارتيريا والحبشة يكون المسلمون الاغلبية ولكن ليس فى ايديهم من الأمر شىء ، ويواجهون ضغطا متزايدا من المبشرين المسيحيين ويشجعهم على ذلك المستشارون الاسرائيليون فى المملكة الحبشية ، بغية زعزعة الثقة فى نفوسهم واضعاف روح الاسلام لدى ناشئتهم واعظم ميدان نجح فيه اعداء الاسلام هو ميدان الملاجىء والدور التى تتولى تنشئة اطفال المسلمين من الأيتام .

خامسا : هناك حقيقة واضحة هى أن الاستعمار يعمل فى البلاد الافريقية على تحويل المسلمين الى المسيحية عن طريق التعليم فلا يدخل الجامعة الا من كان نصرانيا ويعلم الدين المسيحى فى مختلف مراحل التعليم ، ورئيس الدولة مسيحى من عائلة مسلمة ، وقد استقدم الانجليز القاديانية والاحمدية الى غينيا وبها (٤٥ مليون مسلم) لكى يزيلوا من نفوس الناس مفهوم « الجهاد » وقالوا : نحن صنعنا القاديانية لهذا الغرض وفى أوغندا كان يوجد ١٤٠٠ قسيس ومبشر هم الذين اخرجهم عيدى أمين .

قال تشرشل فى كتابه حرب النهر : لقد عرفنا مدى اهتمام المسلمين بكتابهم القرآن على نحو من الضعف صرفهم عنه ولذلك عملنا على تغيير ذلك باحتضان أمثال غلام الدين القاديانى ودعوته الى الغاء الجهاد .

سادسا : لأنهم يخشون انتشار الاسلام فى ربوع القارة السوداء لهذا رسم الاستعمار خطا دفاعيا ضد الاسلام يمتد من البحر الاحمر الى المحيط الاطلسى حيث يبتدىء بارتيريا (الشعب) المسلم الذى قدمته أمريكا هدية الى الحبشة) ثم الحبشة وجنوب السودان واوغنداوتشاد والنيجر وينتهى فى نيجيريا الى خطط الاستعمار بشطرها الى شطرين : نيجيريا وبيافرا وقد فشل المخطط الاستعمارى وتصدع حتى قال أحدهم :

« ان عمامة بيضاء فى القارة السوداء اخطر علينا من الف قنبلة ذرية » .

سابعا : قامت الطرق الصوفية فى افريقيا بدور كبير من مقاومة الاستعمار عندما نزل بافريقيا فى القرن التاسع عشر فى جهات نيجيريا ، وتذكر جهود عثمان وانفيديو من كبار المصلحين المسلمين وقاوم الاحتلال الاوربى جهات السودان الفرنسى وشمال افريقيا والمغرب وتونس والجزائر وليبيا ، وقد قامت الحركة الوطنية على ايدى الجماعات الدينية الاسلامية وكلها

متأثرة بالدعوة الوهابية التى وصلت الى الهند وكان لها تأثير كبير فى مقاومة الاستعمار البريطانى .

ثامنا : كتب العالم الالمانى بونكر دراسة فى ثلاثة مجلدات قال عنها الدكتور محمد صبرى السربونى وقالت عنها دوائر المعارف انها توجب نتيجة عظيمة وهى اكتشاف نهر الأوله أحد روافد الكونجو الاعلى ، ونعترف نحن العرب بانها خير دراسة لبلاد اعالى الكونجو ، الذى يؤلف الان الجزء الشمالى من الكونجو وكانت وقت رحلة بونكر ١٨٧٥ — ٧٦ تابعة لمديرية خط الاستواء وجزء من السودان الجنوبى ثم استولى عليها البلجيك كما استولوا على نصف بحيرة البرت نيانزا التى كانت تخفق عليها راية القوة المصرية السودانية ولكن بونجر لم يكتشف نهر الأوله كما زعموا انما اكتشف رافدا من روافد نهر الكونجو حيث كان كبار العرب أمثال على كوبو وعبد الله يعيشون على ضفاف هذا النهر ، وكان للضابط المصرى حواشى منتصر محطة هناك باسم على الأوله . وكان كبار تجار العاج من مصريين وسودانيين (كالشيخ أحمد العقاد وغطاس وعن العمد والزبير) قد أوغلوا فى بلاد نيام نيام ومونبوتو وغيرها من مناطق أعالى الكنجو وانشأوا فيها محطات نظامية كانت مراكز تجارة ومدينة وبفضل أولئك التجار كانت اللغة العربية آخذة فى الانتشار فى أواسط افريقية وراء خط الاستواء فى اتجاه نهر الكونجو .

وكان الزنوج وكبار سلاطينهم يتكلمون العربية ويلبسون الاباس العربى والطربوش وكان هذا شأن العرب الوافدين من زنجبار فى أوغندة وشرق الكونجو حيث أسسوا هناك دولة كبيرة ومدينة مزدهرة فى النصف الاخير من القرن ١٩ فكانت أواسط افريقيا كلها يعمرها عرب السودان ومصر من الشمال وغرب زنجبار من الشرق مما دفع انجاترا وبلجيكا والمانيا الى التآمر على الاستيلاء على مصر واشعال الثورة فى السودان ومحاربة عرب أوغندا والكونجو حربا ضارية وما كان يومكو وأمثاله فى الواقع الا عملاء للاستعمار وجواسيس لاستطلاع أحوال البلاد التى تغلغل منها النفوذ الغربى تمهيدا لتطويقها وعمروها بالسيف والمكيدة .

تاسعا : فى ١٩٢٢ ظهر كتاب فى ثلاثة مجلدات لعالم لغوى من علماء جامعة هارفارد اسمه ليوونير عنوانه (افريقية وكشف أمريكا) : اثبت مؤلفه فيه وجود كلمات عربية فى لغات هنود امريكا ، عندما درس لغة هنود امريكا كما دونها المرسلون اليسوعيون ، فى عهد القائد الأسبانى الذى فتح المكسيك ليرى ما فيها من الكلمات والتعابير التى يستدل بها على الشعوب التى اتصلت بأولئك الهنود وجد فيها كثيرا من الكلمات الانجليزية والاسبانية والفرنسية ، واقدم من هذه كلها كلمات عربية ترجع اقدم هذه الكلمات الى عام ١٢٩٠ الى قرنين قبل وصول كولومبس الى امريكا .

فى ابريل ١٩٦١ — اثبت عالم النبات الصينى ، ان الملاحين العرب قد عبروا الاطلنطى قبل كولمبس بثلاثة قرون ، اعلن هنرى نظريته فى المؤتمر الحادى والسبعين بعد المائة للجمعية الشرقية الامريكية بعد أن قضى زهاء ثمانية أعوام يتتبع انتشار السلع الزراعية والنباتية وانواع الحيوان .

استند هنرى الى وثائق مخطوطة فى الصين يرجع عهدها الى القرن الثانى عشر والثالث عشر وقد وردفيها اسم مدينة (مولان بى) على الساحل الشمالى لامريكا الجنوبية .

وقد أثبتت الوثائق أن العرب الذين قاموا قبل عام ١١٠٠ م من الطرف الغربى العالم الاسلامى من ميناء الدار البيضاء ، على وجه التحديد ورسوا فى عدة مواضع على ساحل الامريكى .

عاشرا : فيما بين سنتى ١٨٦٠ الى ١٨٧٠ هاجر الى أمريكا ثلاثة ملايين من الأفريقيين ثم تبعهم ١١ مليونا فيما بين سنتى ١٨٧٠ — ١٩٠٠ ثم تبعهم ٩ ملايين بعد الحرب الأولى ، وكان عدد سكان الولايات المتحدة ٣١ مليونا يبلغ عدد السكان عام ١٩٢٦ — ١١٢ مليونا وعدد الزنوج ١٢ مليونا .

يقول الدكتور مدثر عبد الرحيم : شاركت اطراف ثلاثة فى تلك العمليات المخزية : الرأسمالية الاوربية الناشئة التى كانت تعد السفن لغزو الشواطىء الافريقية الغربية من أجل اختطاف الالوف من أهلها أو ابتياعهم ثم حملتهم عبر الاطلنطى للعمل — والموت أيضا — فى مزارع القطن والسكر فى جزر الهند الغربية والى الولايات المتحدة وقد كانت هذه بدورها تصدر السكر والقطن الى أوربا الغربية مغذية بذلك رأسماليتها الناشئة . هذه التجارة الشنيعة لم تؤد لهدم حياة الملايين من الزنوج الافريقيين وانزال اقسى ضروب العذاب بهم وبذويهم فحسب ، وانما أدت كذلك الى تغذية روح العنجهية العصرية عند الأوربيين واقرانهم الأمريكيين كما ادت الى انزال الزنوج من أسفل منزلة من منازل السلم العنصرى الذى صاغته عقلية المستعمرين الأوربيين اذ تصوروا انهم فى قمة الهرم وخلاصة العالم ثم رتبوا الامم والشعوب دونهم مراتب جعلوا ادناها الزنوج الافريقيين وليس

هـــذا فحسب ، بل ذهب الشطط ببعض العنصريين الاوربيين الى حد زعمـــوا فيه ان الزنوج ليسوا بشرا البتة وقالوا : ان الزنجى ليس له روح فهـــو اذن على أحسن الفروض وحشى ، كما قال الحاكم العام للسودان فى مؤتمر ١٩٠٥ .

* * *

لم تكن الفتوحات العربية حركة توسعية ولا حربا صليبية ضد المسيحية وانما كانت رسالة تمدنية لا تهدف الى أى لون من الوان الادماج ومن مظاهر تسامح ملوك العرب والمسلمين ونزاهة وجههم أن جوهن ملك انجلترا عرض عام ١١٩٩ على آخر ملوك الطوائف وهو محمد الناصر أن يحميه ضد البابا مقابل جزية سنوية واعتناق الاسلام من طرف انجلترا ملكا وشعبا ولكن الملك العربى رفض هـــذا العرض لأن أريحيته أبت عليه استغلال الكائنة السياسية التى كان الانجليز يتخبطون فيهـــا لحملهم على اعتناق الاسلام .

* * *

(٧٤)

روح التعصب الغربى ضد الاسلام

كلما تنامت علامات اليقظة فى العالم الاسلامى فى طريقه الى امتلاك ارادته فان هناك محاولة صهيونية خطيرة تحاول أن تثير روح التعصب وابتعاث خيوط من التاريخ لاثارة الغرب ودفعه الى التشكيك للحيلولة دون تمكين المسلمين من تحقيق ارادتهم ، واقامـــة مجتمعهم الاسلامى ، ومن هنـــا تجرى المحاولات المتصلة لتسايط مخططات التعريب والغزو الثقافى على المســـلمين ، للحيلولة دون تمكينهم من الحركة الصحيحة ، وحرمانهم من امتلاك مقدرات العلوم والتكنولوجيا ، وتبـــدو روح الحقد والكراهية واضحة فى كتاباتهم التى حين تتعرض اتاريخ الامة الاسلامية ترسم صورا مسمومة طافحة بالانتقاص .

على ذلك النحو الذى نراه فى كتاب « الطريق الى السويس» بقلم ارسكين تشايلدز أو كتابات جلوب ولويس وفيلبى ، أو ما كتبه القس وليام جراهام عضو البعثة التبشيرية الانجليزية البروتستانتية اذ قال سنة ١٨٥٤ : لو لم يتمكن هذا الشعب من تحطيم الاغلال الفـــكرية والبدنية التى تكبله فسينطلق من شعوب الشرق المتبلدة قوة دافعة هائلة تستطيع عن طريق العـــلم والادب والثقافة أن تمهد الطريق الى مستقبل مشرق .

ويعلق الغربيون اهمية كبيرة لتلك المدرسة التى تأثرت بالأفكار الغربية ويرون انها عاملا هاما يحول دون تمكين العالم الاسلامى من استرداد قوته ، وهم يعلمون أن هذه المدرسة قد فشلت فشلا ذريعا ، وان مفاهيمها سقطت ، وان مدرسة الاصالة قد تشكلت على انقاضها ، وان كل النظريات الوافدة التى قدمتها مدرسة الاستشراق والتبشير والتغريب سواء حول الثورة الفرنسية أو عظمة الرجل الابيض ، أو غيرها من نظريات قد تحطمت وان مفهوم القومية الغربى الوافد لم يتمكن من تحقيق أى هدف لأنه لم يلبث أن تبين معارضته لمفهوم العلاقة بين العروبة والاسلام ، وأن الشخصية التى صاغوها عن طريق مفهوم الديمقراطية أو الليبرالية ، أو الاقليمية قد حققت فشلا ذريعا ، كذلك فان القانون الغربى الذى فرض على العالم الاسلامى بديلا للشريعة قد تكشفت عيوبه وعوراته وعاد المسلمون من جـــديد يلتمسون مفاهيمهم الأصيلة .

يقول الدكتور ابراهيم سلامة : لقد اشترع الغرب نظرية سياسية ما زال يطبقها فى منطقتنا منـــذ حركة محمد على الكبير الذى ما كادت أساطيله تهدد الاستانة حتى أسرعت دول الغرب التى كانت تشجعه وعقدت مؤتمر برلين عام ١٨٤٥ حيث وضعت نظرية (توازن القوى فى الشرق الأوسط) أى عدم السماح أو عـــدم تشجيع قيام أى قوة ذاتية منفردة فى الشرق الاوسط مهما تكن الظروف والنتائج . وهكذا يمكن فهم وتفسير حالات العداء التى أظهرها الغرب الاوروبى والشرق الروسى لليقظة العربية الاسلامية منذ نيف ومائة سنة ، ومن هنا يمكن فهم وتفسير تسارع الدول الكبرى فى نهـــاية الاربعينات الى تشجيع قيام اسرائيل وامدادها .

ان لقاء القمة بين برجينيف ونيكسون لا يخرج فيما يتعلق بالمسألة الشرقية عن اسلافه مؤتمر برلين عام

١٨٤٠ وفرساى ١٩١٩ ويالطا ١٩٤٥ من حيث استمرار وتأكيد سياسة توازن القوى اى ضرورة بقاء اسرائيل .

ويصدق فى هذا ما قاله بعض الباحثين من أن رواسب الحروب الصليبية لا تزال حية فى اذهان الدول الاوربية برغم مرور زهاء ثمانية قرون على هزيمة الصليبيين .

ان اسلحة حلف الاطلنطى كانت تتدفق على فرنسا فى حربها مع الجزائر وعلى هولندا فى حربها مع اندونيسيا وقبل حلف الاطلنطى كانت الاسلحة تتدفق على ايطاليا فى حربها مع ليبيا وعلى اسبانيا فى حربها مع الريف المغربى ثم على اسرائيل فى حربها مع العرب .

* * *

وهكذا فان الصليبية الدولية تجند كل القوى ضد الاسلام ولا سيما الشيوعية ما دام الهدف هو توجيه ضربة للاسلام .

ومن ذلك أن البابا المسيحى أصدر تعليماته الى الطلاب المسيحيين بالانضمام الى التكتلات الشيوعية داخل الجامعات . ولقد كان الفاتيكان ممثل المسيحية خلال حرب ١٩٤٨ بين اليهود والعرب وقف مؤيدا لاسرائيل ومتهما العرب بالبربرية وتجاهل ما فعله اليهود بالغرب فى اللد والرملة ودير ياسين والمعروف ان الشيوعية والصليبية كانتا وراء قيام اسرائيل .

وتقول كتابات كثيرة : ان الغرب قد زرع كيانا صهيونيا يهوديا بهدف التخلص من شروره وبهدف وضعه ككلب حراسة فى هذه المنطقة لحراسة الاماكن المقدسة سواء أكانت أديرة المارون التى يزورها زعماء المسلمين أم كنيسة القيامة وغيرها من المقدسات المسيحية التى لن يجد الصليبيون الجدد حرجا من زيارتها .

ومن مؤامرات انجلترا انها وان كانت تعادى الاتراك العثمانيين فقد بحثت عن خصوم شرقيين لهم فلم تجد الا الدولة الصفوية فى فارس التى كان بينها وبين العثمانيين حروب اكتست بلباس الدين لأن الصفويين شيعة امامية والعثمانيون سنة لذلك ترددت السفراء بين الصفويين والانجليز واستعان بهم الصفويون فى تنيظم جيوشهم ، من ذلك أن كنيسة الحمراء تقرع نواقيسها أربعا وعشرين ساعة قرعا متداركا فى ثانى يناير من كل عام ابتهاجا بجلاء المسلمين عن الاندلس يوم ١٠ يناير ١٤٩٢ وهى من الساعات الفاصلة فى مجال التاريخ حيث بدات ضربات المدافع من ابراج الحمراء داعية ملك الاسبان فريدنياند الى تسلم زمام حكم الحمراء غرناطة بعد ان غادرها الملك أبو عبد الله وهى ما يطلق عليها « زفرة العربى » .

* * *

(٧٥)

الحرب الصليبية التاسعة

يرى الاستاذ محمد الفرحانى أن الحرب الصليبية الاوربية التاسعة بدأت مع مطلع القرن السابع عشر حينما جاء الهولنديون كتجار الى أتونيسيا وما لبثوا أن ظلوا فيها مستعبدين اهلها ومستنزفين ثرواتها حتى تم اجلاؤهم عنها عام ١٩٤٩ بعد سنوات مريرة من الكفاح والجهاد .

وفى القرن الثامن عشر تمكن الانجليز بالوسيلة نفسها من احتلال الهند ومن ثم التوصل عام ١١٥٧ الى خلع آخر اباطرتها المغول المسلمين .

وفى الوقت نفسه استولت روسيا على (ازوف) و (شبه جزيرة القرم) من أملاك الدولة العثمانية ثم على (بيسيربيا) فى القرن التاسع عشر الذى احتل فيه الانجليز جنوب الجزيرة العربية وساحلها الشرقى ثم مصر والسودان كما احتل الفرنسيون شمالى افريقيا وبعض أواسطها . وفى مطلع القرن العشرين استولت روسيا على الولايات العثمانية المسلحة : ازربيجان وتركمانستان، واوزبكستان،وقيرغزستان، وقازاخشتان وادغستان ، وما لبث الانجليز أن احتلوا فلسطين وشرق الاردن والعراق بينما احتل الفرنسيون سوريا ساحلها وداخلها واخيرا لا اخرا توج الاستعمار الصليبى الحاقد مؤامراته ضد الاسلام والمسلمين بالغاء الخلافة الاسلامية فى الاستانة .

واذا كانت الحرب الصليبية اتخذت هـذا الطابع الاحتلالى الاستعمارى فان ذلك لم يدم فى كثير من هذه البلاد طويلا قد قامت الحركات الاسلامية تخوض معارك التحرير الكبرى واضطرت الصليبية الحاقدة بعد الحرب العالمية الثانيةالى انهاء سيطرتها السياسية على دويلات العالم الاسلامى ، غير أن الخروج المـــادى للصليبية الحاقدة لم يكن يعنى نهاية حربها ضد الاسلام والمسلمين بقدر ما كان يعنى تغييرا فى الاسلوب والسلاح وتمثل ذلك فى الفئات التى أعدها الصــليبيون منـذ القرن التاسع عشر ، حتى اذا انسحب من بلاد الاسلام وضــعها فى مراكز السلطة والتوجيه ، تحقق فى ظل شعارات واهية ونظـريات خادعــة ، ما كان الصليبى نفسه يعجز عن تحقيقه ابان احتلاله .

ولقد كرست تلك الفئات فى استيراد الشعارات من الشرق ومن الغرب وعملت بكل ما تتلقاه من عون ودعم على سلب الشعوب هويتها الاسلامية واثارة الثغرات الطائفية والعصبيات حتى كانت هـزيمة الخمس من حزيران التى فجعت كل مسلم غيور فى أعز مشــاعره وانبل احاسيسه .

وتؤكد أن الشرق والغرب فى سياسته تجاه البلاد الاسلامية انما يمارس لعبته الصليبية موزعا الادوار بين بعضه البعض بقصــــد تحقيق مكاسب خاصــة لكلا المعسكرين . ولقد كانت نكسة الخامس من حزيران نتيجة مخططات مراكز التآمر الصليبى فى الشرق والغــرب ، ولا ننسى أن الاستعمار الصليبى لم يسقط من حسابه قط ولم يغفل عن أن الروح الاسلامية صخرة صــلدة شديدة المقاومة لأى مد استعمارى ، وانه لا مفر من تحطيم هذه الصخرة أو زحزحتها اذا ما ارادوا لاستعمارهم تنفيذ أغراضه ، ولا عبرة لما يقوله بعض المخدوعين من أن أوربا لا يهمها أمر الدين فى كثير ولا قليل وانها لا تراه مصدر قوة ولا تخشى من العالم الأسلامى الا قوته المادية، فالدين فى حقيقته قوة روحية لها حسابها فى تجديد القوى المادية فضلا عن ان الأسلام ـــ وهوغير المسيحية ـــ فهو يأمر باعداد القوى المادية ويحض على المقاومة والكفاح ويتوعد المستسلمين والمستضعفين بسوء المآل فى الدنيا والآخرة .

ومن ذلك فان اندونيسيا لم تكد تشعر بفرحـــــة انتصــــارها على الشيوعية حتى نشطت الطـــوائف والارساليات التبشيرية لمحاربة الاسلام ونشر الفساد بين المسلمين ، ثم ذلك العدوان الشيوعى الهندوسى على الباكستان عام ١٩٧١ وكذلك نيجيريا التى تعرض العمل الاسلامى فيها لاجهاض كاد أن يقضى على كل اثر للنشاط الأسلامى لولا ارادة الله فى أن تبقى نور الاسلام فى ذلك البلد المسلم وذلك عندما عمد الصليبيون الحاقدون الى اغتيال زعيمى النشــاط الأسلامى الشهيدين أبو باكر باليوا واحمد وبللو .

* * *

(٧٦)

اخطــاء الاستشراق

ان مصدر اهتمام الاستشراق بالعالم الاســلامى ووضـــــع المؤلفات العريضة عنه هو انه فى قبضـــة استعمارهم ، فهم يدرسونه ليفحصوا نفسية هذه الامة ليكيفوا موقفهم منها أو تدمير مقوماته وقيمه مستهدفين العمل على القضاء على هذه القوة الدافعة فيه والقوة المقاومة حتى يبقى نفوذهم ويستمر ، وهم فى كل ما كتبوه قد عمدوا الى توجيه انظار اساطين الاســــتعمار الى الجوانب التى يستطيعون النفاذ منها للسيطرة على اهل هذا العالم ، والى عناصر القوة لتحطيمها ولذلك فهم يملكون مراصد دقيقة ، ومراقبة دقيقة متصلة ، فما أن يبدأ أول خيط من خيوط العمل الذى يرون انه فى غـــير صالح وجودهم وسلطانهم حتى يأدوه بواسطة نفوذهم الواسع الممتد فى مختلف اجهزة الثقافة والتعليم والصـــحافة والاعلام . .

ويقول ولفرد كابتول سميث : أن الغرب يوجه كل أسلحته الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعيـــة والاقتصادية الى العالم الاسلامى بغرض اذلاله وتحقيره واشعاره بالضآلة والخنوع وان الغرب وقف فى صف الصهيونية ضد العرب والمسلمين متأثرا بتلك العداوة القديمة بين الاسلام والمسيحية .

ولقد قرأنا لبعض دعاة التبشير الغربى قولهم : لقد حرصت أوربا بمختلف الوسائل على تحطيم قيم الثقافة العربية واللغة العربية والدين والتراث فى نفوس الشرقيين والمسلمين والعرب بمختلف الوسائل وزعزعة العقائد وذلك لتدمير هذه القوة الروحية الضخمة التى تكونت لهم فى الشرق وكانت عاملا ضخما فى منحهم القوة على مقاومة كل استعمار ومواجهة كل ظلم .

لقد أصبح احتقار الاسلام جزءا اساسيا من التفكير الاوروبى وأن هذا الاحتقار التقليدى اخذ يتسلل فى شكل تخريبى غير معقول الى بحوثهم العلمية وقد لا يعرف التاريخ البشرى حضارة وفكرا ودينا هوجم بمثل ماهوجم به الفكر الاسلامى فقد ظل الاستعمار طوال مائة عام يواصل حملة ضارية على هذا الفكر فى محاولة لاثارة الشكوك حوله وتمزيق مقوماته فى شراسة وضراوة بالغين ولولا ما لهذا الفكر من جذور بعيدة المدى بالغة العمق ما استطاع ان يثبت فى هذه المعركة الضارية .

* * *

ما أخر الدول الاسلامية الا كثرة اطراء مؤرخى كل عصر بدولتهم والمبالغة فى تتبع عورات سواها وحشو الغث فى ثنيات سطور تاريخها والداعى لمعظم المؤرخين الى اتباع هذه القاعدة اما الرغبة او الرهبة او مجرد العصبية او التشيع للجنسية مثل ذلك مانراه من مبالغات مؤرخى العباسيين فى التشنيع على بنى أمية ومؤرخى الفاطميين والشيعة وبنى العباس .

* * *

(٧٧)

المحافظة على ذاتية الفكر الاسلامى

ظل كفاح الفكر الاسلامى مستمرا اكثر من ثلاثة قرون فى سبيل تحرير الفكر الاسلامى من هيمنة الفلسفة الهلينية والهندوسية والفارسية القديمة . ولم يستسلم الفكر الاسلامى للنظرية الغربية مطلقا وقاومها طويلا واعلن وجهة نظره واضحة فى مختلف القضايا :

العروبة والاسلام ، العلم والدين ، الدين والدولة ، القانون والشريعة ، الاقتصاد والربا .

وقد ظل الفكر الاسلامى دوما وجيلا بعد جيل يواجه هذه النظريات ويدلى برايه فيها لا يتوقف عن المعارضة . ولم يتوقف العالم الاسلامى عن ، معارضة قبول قيم ليست من أنفسه مع سماحته المعهودة فى تقبل ما يجدده دون أن يخرج عن مقوماته . وكان شغل المسلمين الشاغل على مدى تاريخهم ليس فى سبيل شخصية حضارية بل الرفض بالسماح لشخصية الاسلام الحضارية أن تذوب او تتلاشى فى اى شخصية حضارية أخرى ، هذا الرفض بالذات هو الذى مكن الجزائريين من الصمود فى وجه الاستعمار الفرنسى مائة واربعة وثلاثين عاما ، مما مكنهم أن يخرجوا من المعركة بفخر واباء .

وهذ الرفض نفسه هو الذى وسع للمسلمين فى شبه القارة الهندية ان يصمدوا فى وجه اكثرية تزيد عن اربعة اضعاف عددهم واعطاهم ان يقيموا دولة جديدة منبثقة من وحى الاسلام وروحه .

ان الجزائريين أصروا طوال مائة واربعة وثلاثين عاما اصرارا عنيدا على أنهم ليسوا فرنسيين بل جزائريين مسلمين ولم يخامرهم طوال صراعهم الدموى ضد الحكم الفرنسى والاستعمارى اى شك فى شخصيتهم الحضارية. كذلك استمر سكان القارة الهندية المسلمون قرونا متوالية على اصرارهم على انهم يختلفون عن جيرانهم الهندوكيين عقيدة حضارة ولم يستريحوا ويريحوا حتى قامت دولة الباكستان على اطلال الامبراطورية البريطانية فى الهند.

وفى مصر والعراق وسوريا ولبنان حيث تزدهر عناصر عربية غير اسلامية فقد اصبح الاسلام فى جميع هذه الاقطار الوسيلة المثلى للاحتجاج والمقاومة والاداة الوحيدة الفعالة فى ايدى ابنائها لمحاربة الاخطار التى تهدد مجتمعهم وحضارتهم ودينهم .

الثورة الفرنسية :

حقق محمد عبدالله عنان فى الرسالة عام ١٩٤٣ ان قادة الثورة الفرنسية كانوا يهودا ماسونيين كما حقق ذلك المسيو أولار وقام فيلسوفهم فولتير بتأليف كتاب يطعن بالنبى وتهمه بالبربرية والكذب وقدم الكتاب الى البابا (توفيق الحكيم الرسالة ٩٣) .

المسلمون والاستعمار الغربى

قال عالم باحث منصف : عن الاستعمار : ان الاوربى لم يفد الى الشرق كممدن بل كمستعمر وان مفهوم الغرب أن الرجل الراقى له حق استعباد الرجل الذى يكون اقل منه رقيا . فى مطالع القرن الرابع عشر الاسلامى كانت انجلترا تحكم مائة مليون مسلم منهم نحو ٧٠ مليونا فى الهند (وفى جزر الهند الهولاندية ٣٠ مليونا من المسلمين معظمهم فى جاوة) وفى افريقيا الفرنسية ١٥ مليونا .

وكانت الدول المستقلة : السلطنة العثمانية ، مصر ، فارس ، افغانستان ، الممالك والامارات العربية، الولايات التى استقلت عن روسيا فى آسيا الوسطى والقوقاز . واذ اخذت الروابط بين المسلمين تزداد توثقا بعد الحرب العالمية الأولى . وظهرت هذه الروح بأجلى مظاهرها على أثر قيام الترك بالغاء الخلافة .

وقد أدى ضغط السياسة الاستعمارية الى حث المسلمين على الاتحاد والتعاون وقد قامت لكل شعب مسلم الى جوار العاطفة الدينية عاطفة وطنية .

وقد كان التطور الاجتماعى فى البلاد الاسلامية متجها قبل الحرب الى تقوية العصبية القومية اسوة بالأمم الغربية العصرية .

وقد ظهر عامل جديد هو روسيا البلشفية ، فتقسم العالم الاسلامى تحت تأثير الجامعة العربية او الجامعة القومية او الفلسفات الرأسمالية والشيوعية .

نشرت البلاغ تحت عنوان (بريطانيا وما تعمل فى بلاد الاسلام) فى ١٩٣٤/١/٦ :

كتب رينيه جروسيه الكاتب الفرنسى مقالا عن المقاصد الاستعمارية التى تعمل بريطانيا (العظمى) لتحقيقها فى الشرق الاسلامى تحت عنوان : (يقظة آسيا) قال :

ما كادت تتداعى الأمبراطورية العثمانية حتى فكر ساسة بريطانيا فى أن يجعلوا من استامبول او القسطنطينية مضيقا آخر كمضيق جبل طارق وأن يكون لهم فى آسيا مصرا ثانية جديدة فى أواخر نوفمبر ١٩١٨ بينما كانت جيوش الشرق المستعمرة تستعد للزحف على فيينا وموينخ .

تمكن لويد جورج من الحصول مع باريس على اتفاق بتوجيه جميع قوى فرنسا الى البسفور ولكن لم يكن يرضى أن تدخل الجيوش البريطانية الى القسطنطينية فى ١٦ مارس ١٩٢٠ احتل الجنرال الانجليزى ميلين الوكالات التركية وحاميات استانبول ووضع فيها نظم الاحتلال بحجة القضاء على بعض الحركات الوطنية التركية — ساد الحكم البريطانى فى استانبول .

لو اكتفت انجلترا بحكم الدولة العثمانية نفسها او بواسطة اتراك تعينهم لكان فى امكانها أن تحقق يوما ما مطامعها .

بدأ الاتراك المنهوكى القوى من جراء الاخطاء التى ارتكبها أنور وطلعت انهم خاضعون للقدر التى اراد لهم وصاية الانجليز عليهم .

وكان فى استطاعة بريطانيا أن تملك القسطنطينية بجيوشها ولكنها ما كانت تستطيع امتلاك الاناضول كله ففكرت فى امتلاكها بالواسطة فوجهت نظرها نحو اليونان كان فنيزيلوس اليونانى يحلم بتشييد دعائم الامبراطورية البيزنطية القديمة على انقاض الدولة العثمانية ، وافق الانجليز على خطته هذه لانهم وجدوا فيها عونا وتابعا لملكتهم الواسعة ولانها توافق رغائب المبدأ الانجلوسكسونى المسيحى .

وكان احتلال اليونان لاكبر قسم من ولاية ازمير ١٩١٩ ، كان هذا القرار سببا مباشرا فى تغيير وجه المسالة التركية ، لم يكن الاتراك يفكرون يوما فى الخضوع لليونان الذين حكموهم تلك القرون الطويلة وما كاد اليونان يطئون أرض ازمير (١٥ مايو ١٩١٩) حتى اخذوا يعملون بشدة وارهاب لاخضاع الاتراك .

ونحن نقول : هل خضع الاتراك وهل تكونت الامبراطورية البيزنطية من جديد وهل استطاع الانجليز حماية مستعمراتهم التى لا تغيب عنها الشمس . لقد

تحطم كل ما حاولت بريطانيا عمله من اجل القضاء على الاسلام فى الهند وتركيا ومصر وخرجوا من الحرب العالمية الثانية وهم لا يملكون شيئا .

* * *

(٣)

الانجليز سيطروا على حوض الخليج منطقة التجارة واللؤلؤ وشريان الطريق الاستراتيجى للهند والشرق الأقصى ، وكانوا يحلمون بتحطيم قوة نابليون ، وهذه القوة المنبثقة بالتوحيد والتى استطاعت أن تفعل فعل السحر فى بسط نفوذها على سائر شبه الجزيرة العربية فى نجد والحجاز والاحساء وعمان .

وكما ألب الانجليز الايرانيين على الاتراك والاتراك على الايرانيين فى حرب ضروس متواصلة فى شمال الخليج فقد تمكنوا بنفوذهم فى اسطنبول وقواعدهم فى الخليج من تأليف الاتراك وبعض العثمانيين على الدعوة السلفية التى بعثوها باسم الوهابية ليصوروها على انها حركة رجل وليس حركة مبدأ وكتاب ثم نجحوا فى زج الاتراك ضدها من ناحية العراق فلما لم تفلح كل تلك القوى استعانوا بخديوى مصر بالتنسيق مع الاتراك وهكذا دمرت الدرعية ١٨١٨ ونشأت هوة سحيقة بين الاتراك والعرب لأول مرة مع انهم جميعا من أهل السنة نظير ما انشىء من هوة بين العرب والايرانيين باستغلال بعض الخلافات المذهبية ، ولكن تلك الاساليب لم تكن كافية لتحطيم أجنحة الحركة السلفية فاستخدم الانجليز رجل الهند بعباءة ضباط منهم المرة بعد المرة فى تحطيم أسطول القواسم فى جنوب الخليج ولما جاء عام ١٨٢٠ كان الانجليز قد قطعوا المرحلة الأولى الحاسمة فى الهيمنة على شبه الجزيرة العربية ، وراحوا يعملون ضد الوجود المصرى فى شبه الجزيرة العربية بعد ان تضوا لبانتهم منه وما أن جاء عام ١٨٤٠ حتى أصبح الخليج لقمة سائغة فى حلق الاستعمار البريطانى ولم يبق بعد تحطيم قوتى الوهابية وطرد الوجود المصرى وانهماك الاتراك والايرانيين فى حرب دائمة يسهرون على استمرارها بتواجدهم المستمر فى مدينة بوشهر .

اقول لم تبق الا امارات ومشيخات كانت عمان ورأس الخيمة ذات يوم اقواها واشدها مراسا ولكن الانجليز باشروا بكل قواهم ضرب راس الخيمة كما استطاعوا أن يفككوا امبراطورية عمان فابتلعوا أملاكها فى افريقيا ثم يقضوا عليها فى عقر دارها وفى سنوات الستين من القرن الماضى بدأت حركة تصفية كل السفن الكبيرة التى يملكها العرب لا سيما سفن البحرين .

* * *

الإســـــــلام فى الغــرب

* الاسلام فى الغرب .
* الوحدة الاسلامية فى الولايات المتحدة .
* الدعوة الاسلامية ٨٥٠ مليون صينى .

الاسلام فى الغرب

تقول جريدة (أورتيت برس) ان الاسلام فى أوربا أصبح من الموضوعات التى تكاد تشكل مادة اعلامية يومية تطرح فى الصحف والمجلات والاذاعات بالاضافة الى المؤتمرات الاقليمية والدولية التى تعقد متوالية والتى تحاول طرح مفهوم جذرى للاسلام وترصد نموه وتعين مشكلاته وتحدياته .

وقد ازداد هذا الاهتمام بعد التدخل السوفيتى فى افغانستان ومحاولات الغرب استمالة الدول الاسلامية الىجانبها وبعد الثورةالايرانية وانتشار الوعى الاسلامى بصورة متعاظمة كل هذه الاحداث افرزت تيارا من المفكرين الغربيين الذين أخذوا يدعون الى النظر للاسلام نظرة جديدة وموضوعية وازالة الخلفيات والذهنيات السابقة التى خلفتها الحروب الصليبية كما طالبوا بازالة التناقض بين المفاهيم الغربية المسيحية والحضارة الاسلامية العربية .

وقد عقد مؤتمر الوحدة فى الاسلام (يونيو ١٩٨٠) فى اطار الاحتفال بالذكرى المئوية الرابعة عشرة للهجرة وقال (لوسيوس باتل) ان الاسلام أسرع الديانات انتشارا فى العالم هذه الايام وان هناك نهضة اسلامية قوية . ويلاحظ هذا من خلال التزايد الكبير فى اعداد المسلمين فى القارة الأوربية ، حيث تشير احصائيات الجمعيةالاسلامية هناك الى أن ٢٥ مليون مسلميعيشون فى أوربا (أما فى الاتحاد السوفيتى) فان الاتراك (٣٧ مليونا) فى جمهورية ازربجان والايرانيون ٤ ملايين واذلك فقوة المسلمين فى الاتحاد السوفيتى هى خامس قوة اسلامية فى العالم ، وقد استطاعوا ان يحافظوا على كيانهم الخاص وتميزهم الاسلامى وقد اعلن المجلس الاسلامى الأوربى أن الاسلام أصبح الدين الثانى فى اوربا وانه ينبعث من جديد بعد أن اختفت آثاره منذ سقوط اسبانيا المسلمة ، وان المسلمين يتمتعون بثقة كبيرة فى النفس ولديهم جمعياتهم الخاصة بهم ويضم المجلس الاسلامى فى لندن ٢٥ جمعية اسلامية — مسجد لندن تكلف ٧ ملايين دولار وهناك مسجد روما الذى سيتكلف ٣٠ مليون دولار .

* * *

تقول مجلة دير شبيجيل تحت عنوان « عقيدة محمد » :

عاد الاسلام بعد انقضاء ثلاثمائة عام على آخر هجمة كبيرة على الغرب لتضغط من جديد على جسد الأوربيين عن طريق مئات الآلاف من العمال الاجانب فى مناطقهم السكنية فى المدن الأوربية الكبرى .

وعندما يصعد المؤذن عادل كريزى مرتين فى اليوم على المئذنة الصغيرة يصدع بصوت غريب يبدل النغم المألوف لمدينة الله فيسرع المؤمنون الاتراك عمال مسابك الحديد الى الصلاة فى المسجد المقام داخل مبنى المصنع ان هؤلاء يوجهون أنفاسهم صوب الجنوب الشرقى الى المدينة المقدسة مكة التى تمثل نقطة الوسط بين مجال مغناطيسى والتى يتوجه اليها يوميا ملايين من البشر مابين جاكارتا وداكار وما بين منغوليا ومدغشقر ليتمتموا بلغة واحدة نفس كلمة الايمان « لا اله الا الله » .

ان المؤمنين الاجانب فى مدينة (الن دورف) ينتمون الى أسرة واحدة قوية تسمى الأمة قوامها حوالى خمسمائة (الصحيح الف) مليون من البشر يربطهم الاسلام ويسكنون شريطا عريضا من الارض يمتد من اندونيسيا عبر الباكستان والشرق الأوسط وافريقيا الى المحيط الاطلسى . ومن المؤكد أن يواجه الانسان الاسلام فى وقتنا الحاضر فى بلاد الغرب داخل الاحياء الخاصة بالزنوج فى نيويورك .

ان الهلال رمز الاسلام آخذ فى التقدم حتى وصل الى محطة (نورنبرج) انه يجبر المصالح والهيئات أن تدخل معه فى خلافات .

وقد نقتت فى الذاكرة صورة فرسان المسلمين الذين اتوا اوربا غازين تحت اسم الجهاد — الحرب المقدسة — وارتجفت فرائص الملايين هنا من هذا العدد الضخم حتى مدينتى توردبواتيه عام ٧٣٢ وحتى مدينة القسطنطينية (روما الشرق) فى ذلك الوقت عام ١٤٥٣ واحتلتها فى عام ١٦٨٣ الى قبل اقل من ثلاث قرون ظهر هذا العددامام مدينة فيينا ، وعلىحد قول فيلون كانتول سميث : ظل النبى حتى ظهور كارل ماركس والشيوعية

يفك زمام أخطر هجوم جدى على الحضارة الغربية .

ولقد عاد دين النبى فى يومنا هذا للتقدم من جديد ولم تكن وجهته هذه المرة بلاد الغرب فقط ، فمع أن معظم بنى البشر يشهدون بانهم مسيحيون وثلث سكان المعمورة تقريبا ، الا أن الاسلام يكسب فى بعض البلاد الافريقية بين كل عشرة مرتدين عن دينهم البدائى سبعة بينما يكسب المسيحية ثلاثة فقط . ويستخدم الاسم محمد بين اطفال العالم اكثر من اى اسم آخر ، ولا تحفظ كتابا فى يومنا هذا ولا تردد نصوص منه كالقرآن .

ولقد وصفت المسيحية فى عصر انتهاء المستعمرات بانها دين البيض والمستعمرين وزج بها الى مرحلة الدفاع عن النفس وتمكنت المادية من تصديع بلدان مسيحية فلقد اصبح الالحاد الشيوعى منهاجا للحكم فى امبراطوريات شرق أوربا التى كانت تدين بالمسيحية وليس هذا بالطبع هو حال اى بلد اسلامى .

وتقلصت الاقلية المسيحية بين شعوب المنطقة ما بين الخليج العربى والمحيطالاطلسى والناطقة بالعربية فقد كانت المصلحة تقتضى فى الماضى فى عصر الاحتلال والاستعمار لمن يريد تكوين مركز فى المجتمع لن يكون مسيحية فقد أصبح الالحاد الشيوعى منهاجا للحكم فى

ففى افريقيا وخاصة فى غرب القارة يكسب الاسلام اتباعا كثيرين ، فعلى حد تصريح منظمة العالم المسيحى فقد تبين لشعب يوروبا فى قطرى نيجيريا وداهومى تقريبا الذى تحول قبل مئات السنين الى المسيحية أن الاسلام يفتح أمامه الأبواب .

ولقد كان الانتماء للمسيحية يعتبر بالنسبة للافريقيين فى عصر الاحتلال مقياسا للثقافة الرفيعة ، اما اليوم فقد انتهى هذا . وقد ارتد رئيس جامبيا داود يافارا الى الاسلام عام ١٩٦٥ بعد أن كان قد تنصر عام ١٩٥٥ ، ولقد انهى زعيم قبيلة الموشى فى فولتا العليا عداوة شعبه التقليدية للاسلام حين اعتنق هذا الدين .

ويقول عالم الاديان الأمريكى سيزر اى فرح انه من المحتمل أن يصبح الاسلام تدريجيا دينا للزنوج الامريكيين .

وحين بحث محمد على كلاى (كاسيوس كلاى) عن الحقيقة عند مارتن لوثر كنج وعند الكاثوليك واتباع المنظمات المسيحية ويجدها فى النهاية فى عقيدة الاسلام مثله كمثل الـ ٢٠٠ الف امريكى السود أن الاسلام هو دين كل الالوان ، وانه دين المستقبل .

وقد بدأ هذا المستقبل فعلا فى عيون جيل مسلم حديث معاد للاحتلال ولقد طرد الفرنسيون من غينيا والايطاليون من ليبيا والروس من مصر .

ان الشيوعية بالنسبة لهؤلاء المسلمين تماما كالمسيحية فتتبعها الثقافة الغربية المعادية لكل البلاد الاسلامية المستقلة تتبع الأحزاب الشيوعية لها .

***

الاسلام يغزو أوربا من غير دعاة ولا مبشرين ولا ارساليات يدخل سبعمائة فرنسى كل عام فى الاسلام عن اقتناع وايمان ، حتى أصبح الاسلام هو الدين الثانى فى فرنسا بل فىأوربا الغربية كلها بعد المسيحية : يقول الشيخ محمود مجاهد حسين : ان هناك ثلاثة ملايين مسلم فى فرنسا حيث يشكلون اكبر جالية فى غربأوربا محرومة من الحقوق الاجتماعية والثقافية المتوفرة للجاليات الاخرى حيث تعيش هذه الملايين الثلاثة فى فرنسا حياة قاسية حقا ، وهى تعمل على بناء مجتمع اسلامىيكون قاعدة ايمانيةفى البيئة الاجتماعية الفرنسية حيث يعصف الفراغالدينى بالمجتمعالفرنسى الآن وتحاول المبادىء الالحادية ملاه ، وقد استطاعت الشيوعية فرض سيطرتها وحشر معظم شباب الغرب فى مسيرتها

***

فى اسبانيا بعد ٤٢ عاما من الغاء الطلاق على يد الجنرال فرنكو عاد البرلمان الاسبانى ليوافق على اباحة الطلاق مما يسمح لنصف مليون زوج يطلبون الطلاق من تحقيق رغبتهم . وتتراوح أسباب الطلاق بين الخيانة وادمان الخمر أو بسبب حصول الزوج على حكمبالسجن لأكثر من عشر سنوات وهكذا ترى اسبانيا فى الطلاق التى رفضته المسيحية حلا لمشاكلها .

***

تقول التقارير المنصفة أن الاسلام يغزو أوربا من غير دعاة ولا مبشرين ولا ارساليات .

* * *

ويشير تقرير مؤرخ ١٤ شـوال ١٤٠٠ الى ان الاسلام اسرع الديانات انتشارا فى العالم اليوم وعدد المسلمين فى أوربا الغربية أصبح ٢٥ مليونا وان المآذن ترتفع فى سماء المدن الاوربية الكبرى وروما تحتضن اول مسجد يقام الى جانب دولة الفاتيكان عبر التـاريخ . بلجيكا والنمسا اعترفتا بالاسلام كدين رسمى للاقلية والدول الاوربية الاخرى تضطهد العمال المسلمين لتهجيرهم كعلاج لأزمة البطالة .

* * *

ويقول أوربنت برسى : الاسلام فى أوربا أصبح من الموضوعات التى تكاد تشكل مادة اعلامية يومية تطرح فى الصحف والمجلات والاذاعات ووكالات الانباء الغربية وبالاضافة الى المؤتمرات الاقليمية والدولية التى تعقد متوالية والتى تحاول طرح مفهوم جذرى جديد للاسلام وترصد نموه وخاصة فى الغرب وتعين مشكلاته وتحدياته

وقد ازداد هذا التحدى بعد التدخل السوفياتى فى افغانستان ومحاولات استمالة الدول الاسلامية الى جانبه وبعد الثورة الاسلامية فى ايران وانتشار الوعى الاسلامى بصورة متعاظمة . كل هذه الاحداث افرزت تيـارا من المفكرين الذين اخذوا يدعون الى النظر الاسلام نظـرة جديدة موضوعية وسليمة وازالة الخلفيات والذهنيات السابقة التى خلفتها الحروب الصليبية وما قيـل عن الصراع بين الغرب المسيحى والشرق المسلم كما طالبوا بازالة التناقض بين المفاهيم الغربية المسيحية والحضارة الاسلامية .

وقد عقد فى واشنطن (١٣ يونيو ١٩٨٠) مؤتمر لدراسة (الوحدة فى الاسلام) ذلك فى اطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجرى .

وقال لوسيوس باتل : ان الاسلام أسرع الديانات انتشارا فى العالم هذه الايام وان هناك نهضة اسلامية قوية .

والواقع ان ما قاله السفير باتل يمكن ملاحظته عمليا من خلال التزايد الكبير لاعـداد المسلمين فى القارة الاوربية ، فحسب احضارات الجمعية الاسلامية هناك ٢٥ مليون مسلم يعيشـون فى أوربا ما عدا الاتحـاد السوفياتى حسب احصـائيات ١٩٧٩ وينقسمون الى ثلاث فئات :

الأتراك ويبلغ عـددهم ٣٧ مليونا ، واكثرهم فى جمهورية ازربيجان ، والايرانيون ويبلغ عددهم ٤ ملايين لذلك فقوة المسلمين فى الاتحاد السوفيتى هى خامس قوة اسلامية فى العالم وقـد استطاعوا أن يحافظوا على خصوصيتهم الاسلامية وكيانهم الخاص ، وقـد اعلن المجلس الاسلامى الاوربى ان الاسلام اصبح الدين الثانى فى أوربا وأنه يبعث من جديد بعد أن اختفت آثاره منذ سقوط اثاره المسلمة ، اما الآن فان المآذن تتعالى مجددة بحرية فى سماء المدن الاوربية وقد تم افتتاح جامعة لندن عام ١٩٧٧ فى ضاحية (ريجنت بارك) وسوف يشهد الفاتيكان بناء مسجد قريب منه فى العاصـمة الايطالية قريبا ويضيف المجلس الاسلامى الاوربى ان المسـلمين يتمتعون الان بثقة كبيرة بالنفس ولديهم جمعيـاتهم الخاصة بهم .

ويضم المجلس الاسلامى الذى يتخذ من العاصمة البريطانية مركزا رئيسيا له ٢٥ جمعية اسلامية تقوم الدول الاسلامية الغنية بالنفط بمساعدتها فالسعودية انشأت اتحادا للمدارس الاسلامية الدولية لتثقيف الأطفال الذين يعمل آباؤهم فى الخارج وقـد اشتركت ليبيا والكويت فى بناء مسجد لندن الذى بلغت تكاليفه ٧ ملايين دولار بالاضافة الى مشروع بناء مسجد روما والذى من المتوقع ان يتكلف ٢٠ مليون دولار ولكن هل عملت هذه التسهيلات على القضاء على غربة الانسان المسلم الذى يعيش فى أوربا ، وهل تكفى هـذه التسهيلات لازالة التناقض ما بين الاسلام والمفاهيم الغربية .

والواقع أن الانبعاث الاسلامى فى أوربا مرده الى رفض المسلم قبول اساليب العيش والمستويات الثقافية المفروضة عليه وخاصة المسلم المهاجر الى القارة الاوربية فالمسلمون لايريدون أن يعيشوا مقطوعى الجذور الثقافية

لذلك فليس من المتوقع أن يقلدوا الغـــرب فى عاداته وتقاليده بل أن يحاولوا ملء الثغرات الدينية والثقافية التى ترتبت علىقدومهم الى هذه البلاد لاسباب اقتصادية فى الغالب .

ويرى الدكتور سالم غرام الامين العام للمجلس الاسلامى : ان أوربا اساءت فهم الاسلام وقد رات فيه بشكل عام عدوا ومصدر تهديد دائم لها وذلك نتيجـة لخلفيات تاريخية بدات مع دخول المسلمين لاوربا ٧١١ م (الأندلس) واستقرارهم فىبعضمناطقها الجنوبيةوخاصة فى اسبانيا لمدة تزيد قليلا عن ثمانية قرون ، وكما فعل الصليبيون بالمسلمين عند غزوهم للمشرق فعل العثمانيون بسكان البلقان وردوا على العنف الاوربى بعنف مماثل ويزيد . وقد وصل حد التعسف أحيانا وذلك بين القرنين الرابع عشر والتاسع عشر الميلادى مما جعل الاوربيون لا يذكرون كلمة الاسلام الا ويرتعدون خوفا لما فعله بهم العثمانيون .

وما زال من الصعب على الأوربيين أن يفهموا أن الدين الاسلامى ليس دينا يقتصر على العلاقة بين المؤمن وربه بل هو دين ينظم كل نواحى الحيـــاة الاجتماعية ويفرض على معتنقيه اسلوبا جديدا فى الحياة ويتدخل فى كل تفاصيل حياته الخاصة والعامة .

ويقول الاستاذ اسد شهاب : ان نشاط الدعـــوة الاسلامية فى القارة الاوربية بدأ بشكل منتظم فى اوائل هذا القرن وكانتالدعوة الاسلامية محدودة فى نطاقضيق بين المسلمين بما فيهم الطلبة القـــــادمين من البلدان الاسلامية .

ثم جاءت الحرب العالمية الاولى وكانت فرق كاملة من الجيوش التى حاربت مع الانجليز والفرس مسلمة وكانوا يؤدون الصلاة فى الأماكن التى يستقرون فيهـــا مؤقتا .

وبعد الحرب اقام الكثير من هؤلاء الجنود فى اوربا ومنهم من تزوج أوربية فاستوطن وبذلك كثر عــــدد الجاليات الاسلامية وتضاعف فى نفس الوقت عـــــدد الطــــلاب المسلمين سنويا ولكن الاستعمار والحقد الصليبى لم يترك لهذا النشاط ان يستمر وان يزدهر ، بعد أن قوضت الدول الغربية الاستعمارية اركانالخلافة الاسلامية واطاحت بها خلال الحرب وعلى هذا الأساس دعم الانجليز الحركة الاحمدية الضالة وهى حركة عميلة لبريطانيا وهى التى غذتها وامدتها بالأموال وقد دعم الانجليز الحركة الاحمدية القاديانية لاجاد بلبلة فى كل الامة الاسلامية وعلى اثر ذلك بنى فى انجلترا مسـجد للاحمدية ليكون مركز انطلاق لهم فى انجلترا وفى اوربا . كما ساعدت انجلترا فى طبع كتب الاحمـــدية المضللة خصوصا باللغة الانجليزية ، مع ذلك فان الحركة لم تصل الى ما تصبو اليه انجلترا ولا تزال الاحمـــدية الى اليوم فئة مكروهة فى العالم الاسلامى لمروقها من الدين وخروجها عن الاســـــلام وليست لها علاقة ولا صلة بالاسلام والمسلمين . وقـــد فضح اهدافها وعمالتها للاستعمار والحقد الصليبى سماحة السيد أبو الحسن الندوى فى قولة مشهورة له (القاديانية ثورة على الديانة الاسلامية) .

وبعد الحرب العالمية أخذت الحركات الاسلامية تتوسع بشــــكل بارز وعلى نطاق أوسع خصـــوصا حركات الطلاب المسيحية فى البلاد الاوربية وعلى مقدار هذه الجهود ظهرت نتيجة مساعيهم واعمالهم ووصلت بعض المساعدات من العالم الاسلامى غـــير انها قليلة لا تفى بالمقصود لانها كانت اقل بكثير من نسبة الميزانية المقدرة لبناء مسجد او مركز اسلامى . ولكن هـــــذه المساعدات وان كانت قليلة الا انها شجعت القائمين على مواصلة اعمالهم .

ولم تثبط هذه المشاكل التى يتعرض لها المسلمون فى اوربا عن مواصلة اعمالهم فى الدعوة الاسلامية بل توسعتاكثر وتخطاهم الى نطاق الاوربيينومشاهدة كيف يعبد المسلمون ربهم ، فكانوا يأتون فى أيام الاعيـــاد الاسلامية ويحضرون ليشاهـدوا المسلمين كيف يقيمون صلاتهم وكيف يقيمون شعائر دينهم وسمعوا خطبة العيد التى يلقيها الامام مما لفت انظارهم واسترعى انتباههم . وقد اهتم البعض منهم وسعى للاتصال بالمراكزالاسلامية للحصول على معلومات اكثر واوسع ، حتى يقف على معرفة كنه التعاليم الاسلامية ومن وفقه الله وهداه الى دينه اندفع الى اختيار الاسلام دينا له عن اقتناع وعلم ويقين ودراية وروية .

ومن ثم كثر عدد المسلمين واسسوا الهيئات التى تضم المسلم الاوربى الاصيل واسسوا الجمعيـــات لتهتم بمصالحهم الخاصة .

وفى اوربا الآن مسلمون أوربيون ليس لهم هـــدف من اعتناقهم الاسلام سوى الايمان بما جاء به رسول

الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم من عقيدة سليمةلاقت قبولا فى نفوسهم .

* * *

أصدر الفاتيكان قرارا يعتبر عملية الاجهاض جريمة تستحق الحرمان من الكنيسة وأن يعتبر القسس الايطاليين عمليات الاجهاض جريمة اخلاقية يعاقب عليها بالحرمان الكنسي وان الوقف المتعمد للحمل جريمة اخلاقية خطيرة لا تستطيع الكنيسة الا ان تعاقب عليها بالحرمان حتى تتمسك بقيم الحياة وتحمى الضعفاء والابرياء .

وكان البرلمان الايطالى قد أصدر فى مايو ١٩٧٨ قانونا يسمح بالاجهاض خلال ٩٠ يوما من الحمل اذا أوصى الطبيب وذلك رغم معارضة الفاتيكان والحزب المسيحى الديمقراطى .

* * *

وتشير التقارير الى أن الانبعاث الاسلامى فى أوربا مرده الى رفض المسلم قبول أساليب العيش والمستويات الثقافية المفروضة عليه وخاصة المسلم المهاجر الى القارة الاوربية فالمسلمون لا يريدون ان يعيشوا فى أوربا مقطوعى الجذور الثقافية لذلك فليس من المتوقع أن يقلدوا الغرب فى عاداته وتقاليده بل ان يحاولوا ملء الثغرات الدينية والثقافية التى ترتبت على قدومهم الى هذه البلاد لاسباب اقتصادية فى الغالب .

* * *

ويرى الدكتور سالم غرام الامين العام للمجلس الاسلامى ان أوربا اساءت فهم الاسلام وقد رأت فيه بشكل عام عدوا ومصدر تهديد لها وذلك نتيجة لخلفيات تاريخية بدأت مع فتح المسلمين لأوربا عام ٧١١ واستمرارهم فى بعض مناطقها الجنوبية وخاصة فى اسبانيا لمدة تزيد قليلا عن ثمانية قرون .

ثم كان الخلاف بين العثمانيين والأوربيين بعد سيطرة الدولة العثمانية على البلقان ولا يزال من الصعب على الاوربيين أن يفهموا ان الدين الاسلامى ليس دينا يقتصر على العلاقة بين المؤمن وربه ، بل هو دين ينظم كل نواحى الحياة الاجتماعية ويفرض على معتنقيه أسلوبا خاصا فى الحياة ويتدخل فى كل تفاصيل حياته الخاصة والعامة .

* * *

الدعـــوة الاسلامية
فى الولايات المتحـدة

يقول دكتور محمد عبد الرءوف : (مـدير المركز الاسلامى فى واشنطون ١٣٩٦ هـ) منذ عشرين أو ثلاثين عاما مضت لم يكن فى امريكا غير قليل من المسلمين فى أماكن متفرقة معزولة ، وكان تعبير المسلم يبدو غريبا غير مألوف فى آذان الامريكيين . وكان المسلمون فى حاجة الى الارشاد الدينى بينما لم يكن هناك من يرشدهم ويرجع هذا الى الانعزال التقليدى فى أمريكا وعدم تعرف الامريكيين على مبادىء الاسلام وانتشار المفاهيم الخاطئة حـول الاسلام والرسول صلى الله عليه وسـلم ، الى جانب العوامل الباعثة على التعقيد والتى احدثتها الصهيونية والمتواطئون معها من المشركين ، وقد تغير الموقف اليوم وانتهت النزعة الانعزالية واصبح الناس يعرفون من هم المسلمون ولا سيما بعد اتساع نطاق الهجرة الى أمريكا. ان بساطة وسماحة الاسلام والقيم الاسلامية قد اجتذبت العديد من المسلمين وخاصة الذين ينحدرون من اصل أمريكى .

يوجد الآن عـدد كبير من المؤسسات الاسلامية فى أمريكا وكثير منها ينهض ثم يموت والقليل منها يكتب له البقـاء وكلها تتطلع الى المركز الاسـلامى بواشنطن ، ولا تطلع الشمس الا على مسلم جديد ، ومعدل عدد من يسلم يوميا يتجاوز الثلاثة أشخاص ، فى أمريكا ، ويقال أن عدد المسلمين يبلغ مليونان أو يزيد (١٩٧٦) .

أما ما أتوقعه للدعوة الاسلامية ، فخـير كثير ، ولا شك ان هناك امامنا صعاب كثيرة وانه حتى تتحقق الأهداف والآمال هناك مشروعات هى اكبر مما لدينا من مقومات ، ولكنى متفائل جدا ، لاننى أرى ان هناك قوة خفية تعمل على نشر الاسلام فى هذه البلاد ، وهـــذه القوة هى قوة الله سبحانه وتعالى ، ليست عملى ولاعمل اخوانى ولكن الذى يحدث من النجاح والتوفيق لا يمكن أن يكون نتيجة لما نقوم به من خـدمات متواضـعة ولكن اعتقد أن الله سبحانه وتعالى وراء ذلك ويخيل الى ان الاسلام ستكون له كلمة قوية جدا جدا فى امريكا والاسلام الآن يسير قدما فى هذه البلاد بطريقة سامية وبطريقـة هادئة ، لا بين الأمريكان السود فحسب ، ولـكن بين الامريكان السود وبين العنصر المسيحى (انجلو ساكسون) وقد وجد طريقه بين كبار الموظفين ذوى النفوذ فى البلاد ومن يدرى لعله بعد بضع سنوات نعـلم أن أمريكا أصبحت دولة اسلامية كالدول الاسلامية فى المشرق .

وقـد اقيم فى شمال أمريكا اتحاد اسلامى لمواجهة مؤامرات الجماعات المسيحية التى تدعو الى تنصـير المسلمين قام هذا الاتحاد برئاسة الدكتور عصام جمـال اسماعيل عام ١٩٧٤ فى امريكا وكندا وله الان ٢٧٦ فرعا وهو يعمل على توحيد جهود الدعوة الاسلامية مع باقى المراكز والجمعيات الاسلامية بالرغم من قلة المـوارد الاسلامية ازاء الاعتمادات التى رصدت للجمعيـات المسيحية .

* * *

الدكتور الطبيب : موريس بوكاى بعـد دراسات طويلة قام بها لكل من التوراه والانجيل والقرآن تبين له بما لا يقبل جدلا ولا نقاشا أن القرآن هو الكتاب المنزل من السماء وان آياته الكونية لا تصادم أى نظرية علمية وان صدقه فى هذه النظريات تؤكد انه وحى من الله انزله على خاتم الرسل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

* * *

(٨١)

الدعــوة الاســلامية
و٨٥٠ مليون صينى

مجلة البلاغ الكويتية الاسبوعية تحـــدثت عن الاسلام والمسلمين فى الصين الشيوعية .. وذكرت أن هناك حوالى ٦٠ مليون مسلم ، يعيشون فى الاصقاع من قارة آسيا .. وتحدثت عن تاريخ دخول الاسلام الى الصين وعن أماكن تجمعاتهم ونشاطهم الاسلامى قبل الثورة الشيوعية فى الصين ١٩٤٧ م .

وكانت المناسبة التى دفعتنى الى الكتابة عن الاسلام والمسلمين فى الصين الشيوعية ، تلك الأنباء التى تسربت من داخل الصين والتىمؤداها ان قد ابدت بعض التسامح بالنسبة للاديان وأن مراسلى وكالات الانباء الأجنبية قد شاهدوا بعض البوذيين وهم يخرجون من معابدهم التى كانت مغلقة لفترة طـويلة ، وكذلك بعض المسيحيين يخرجون من كنائسهم يوم الأحد .

وقد كانت هذه البادرة الطيبة من الصين مؤشرا على اتجــــاه الصين باطلاق حرية العقيــدة الشعب الصينى .

وقـــد روى بعض شهود العيان من الدبلوماسيين العرب والمسلمين الممثلين فى الصين : أن حكومة الصين الشيوعية فى بكين قد أمرت بفتح المســجد الكبير فى العاصمة لاقامة صلاة عيد الأضحى به .. وقد حضر هذه الصلاة نحو ألف من الصينيين المقيمين فى العاصمة ، بالاضـافة الى بعض الأجانب العاملين بها .

ونقف هنا وقفة قصيرة أمام هذا الخبر ليقول : ان الدعوة الاسلامية دعوة الحق والبقاء ، دعوة الطهارة والنقاء .. دعوة الشمول والخلود .. دعوة النور التى انطلقت من وطن النور ليعم ضياءها العالم كله والتى حمل لواءها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، والذى اختارته العناية الالهية من بين خلق الله قاطبـــة لكى يحمل الرسالة ويؤدى الامانة .. وهى تستقبل اليوم قرنها الخامس عشر الهجرى بعد حصاد القرون السابقة فان عدد المسلمين يكاد يقترب من الالف مليون نسمة من بين عدد سكان العالم البالغ عددهم ستة بلايين نســمة وعدد المسلمين سدس عدد سكان العالم .

ان الدعوة الاسلامية عند انطلاقتها العظمى يجب ان تضع فى حسابها ان يكون هذا القرن هو قرن الانتصار العظيم لرسالة الله الخالدة ، ذلك لان العالم المعاصر الذى تعانى شعوبه القلق النفسى والاضطراب المادى والحيرة والتشتت فان الخلاص لهذه الشعوب لا يكون الا بتعميق الدعوة الاسلامية والنهوض برسالتها للانطلاق الى آفاق أرحب ومجال أوسع لكى تصل الى كل شعوب العالم .

ان الدعوة الاسلامية مطالبة اليوم وهى تستقبل قرنها الخامس عشر قبـل أى وقت مضى أن تضــع فى اعتبارها وفى مخططها تلك الشعوب الصفراء البـــالغ عـــددها ألف مليون نسمة ـــ الصــين واليابان ـــ ان الانفتاح الذى تبـــديه الصين الشعبية اليوم على العالم والعلاقات القـــوية والصلات الوثيقة التى بدأت تقيمها مع دول شتى وخروج القيادة الحالية من عزلتها ـــ لابد من تشجيع الدعوة الاسلامية على أن تدخل هذا الميدان لكى تبلغ رسالة الله الى كل خلق الله .

ان المسلمين فى الصــــين الشيوعية البالغ عددهم ٦٠ مليون نسمة فى أمس الحاجة الى من يمد لهم يد العون والمساعدة ، ذلك لأن الأحوال السياسية والاجتماعية فى الصين بدأت تتغير .. فلا بد أن يكون هذا التغير لصالح الدعوة الاسلامية ... والدعوة الاسلامية يجب أن تنتهز هذه الفرصة المواتية لكى تقيم الجسور مع ابناء الصين المسلمين ولكى توثق العلاقات القديمة التى كانت قائمة قبل قيام النظام الشيوعى .

ان دوائر الغرب المسيحية الصليبية تبـــدى دائما تخوفها من المد الاسلامى ومن هنا فانها أرسلت خبرائها ومراسليها الى الصـــين لكى يكونوا عن قرب وكثب من التغيرات الحالية فى الصين .

اننا أحرى بالنظر نظرة موضوعية علمية الى أحوال ٦٠ مليون مسلم ، يعيشون فى الصين .

ان المؤسسات الاســـلامية والهيئـــات العلميـــة

الاسلامية فى عالمنا العربى والاسلامى مطالبة بأن توسع حدود الدعوة الاسلامية لكى يكون الجنس الاصفر فى الصين واليابان فى قائمة الشعوب التى يجب ان تركز الدعوة الانتباه اليه .

ان رابطة العالم الاسلامى .. والرئاسة العامة لادارات البحـوث العلمية والدعوة والارشـاد والافتاء وغيرها من المؤسسات الاسلامية مطالبة بأن تضـع الخطط الكفيلةوالبرامج المفيدة للنهوض بالدعوةالاسلامية فى جنوب شرق آسيا .

فاذا كانت حركات التنصير قد رصدت مبلغ بليون دولار لنشاطها فى عام ١٩٧٩ م ، فما بالنا نحن أمـة الاسلام وحملة القرآن نقف هكذا دون تخطيط علمى ودراسة موضوعية لاحوال المسلمين فى عالمنا المعاصر .

لقد نشر السلف الصالح من المسلمين دعوة الحق فى عصر لم يعرف الطائرة ولا الباخـرة ولا وسائل المواصلات الحديثة .. ورغم هذا مدوا الاسـلام الى أرض الله الواسعة .

فالأحرى بنا أبناء القرن الرابع عشر الهجـرى والذين نستقبل القرن الخامس عشر أن يكون أمامنـا مخطط شـامل وبرنامج متكامل للانطلاق بالدعـوة الاسلامية .

عبد الفتاح مقلد الغنيمى

* * *

من عطــاء الإســـــلام

* القسطنطينية وروما .
* دار الارقم .
* رسائل النبى .
* اجلاء اليهود والردة .
* عمر وعمله فى بناء الحضارة .
* مصر فى فجر الاسلام .
* دعوى ان بلاد الاسلام جزء .
* مؤامرة اليهود فى المدينة .
* فتح نهاوند .
* صلاح الدين والحروب الصليبية .
* مشروع ارناط .
* أسطورة القديس يوحنا .
* وفاة صلاح الدين .
* فتح القسطنطينية .
* تحول كفة النصر .
* اعترافات كولمبس .
* فاسكودى جاما ارشده ابن ماجد .
* الظاهر بيبرس يفتح قيصرية .
* على طريق الرسالة الاولى .
* سماحة الاســلام .
* ازال الاسلام حواجز الشعوب .
* تاثير الاسلام على نهضة أوربا .



(٨٢)

القسطنطينية وروما

قال عمرو بن العاص : بينما نحن عند رسول الله نكتب اذ سئل :

أى المدينتين تفتح أولا : القسطنطينة أم روما ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : مدينة هرقل تفتح أولا (يعنى القسطنطينية) دون نفى لفتح احداهما ، يعنى ان فتح المسلمين لروما كائن وفتـــح روما مدينة الفاتيكان يعنى ان الاســــلام سيظهر على النصرانية ويتحقق وعــد الله تبارك وتعالى : **(ليظهره على الدين كله)** .

* * *

أنبياء العرب خمسة : (هـــود) نبى الاحقـــاف وحضرموت واليمن و (صالح) نبى الشمال فيما بين الحجاز والشام .

وشعيب أستاذ موسى وحموه وبنى مدين واصحاب الايكة .

واسماعيل جد العدنانيين ونبيهم .

ومحمد سيد الأولين والآخرين .

* * *

تاريخ الاسلام من الهجرة الى الفتح :

١٠ رمضان عام ٢ هجرية (بدر) ثلاثمائة مقاتل وتقع بدر فى طريق القوافل القادمة من الشام الى الحجاز صبيحة ١٧ رمضان عام ٢ الهجـــرة حيث التقى جيش المسلمين (٣٠٠) مع جيش قريش فى الف مقاتل .

١٠ رمضان عام ٨ هجرية (فتح مكة) ١٠ آلاف مقاتل حيث توجه النبى قاصدا مكة للقيام بعمل حاسم ازاء قريش التى نقضت عهد الحديبية وبكتمان وسرية مطلقة فوجئت قريش بجيش المسلمين يحيط بمكةويدخلها ظافرا منتصرا يوم ٢٠ رمضان ـ يقول أمير على : لايوجد فىتاريخ الفتوحات على وجه الاطلاقفتح يعدل هذا الفتح المبين ، ولما تمض على هجرة محمد (صلى الله عليــه وسلم) الى المدينة ثمان سنين ، ولم تمض سنتان من صلح الحديبية .

* * *

(٨٣)

دار الارقم

الدار النائية القائمة على الصفا ، هؤلاء طليعة المؤمنين ، جمعهم رسول الله وتحلقوا حوله فى خشوع وصمت :

عثمان ، زيد بن حارثة ، الزبير بن العـــوام ، عبد الرحمن بن عوف ، سعد بن أبى وقاص ، طلحة بن عبيد الله ، عامر بن عبد الله الجراح ، عبـــد الله بن عبد الاسد (أبا سلمة) .

وقد أسلم عثمان وزيد وعبد الرحمن وسعد وطلحة على يد أبى بكر وفى الغرفة الأخرى : عثمان بن مظعون واخوته قدامة وعبدالله ، وعبيدة بنالحارث ، وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب .

وكان كل من يسلم يتجه الى هذه الدار حتى اصبح المسلمون فيها تسعة وثلاثين يعبدون الله تبارك وتعالى مستخفين .

ثم أسلم عمر : وقال يا رسول الله السنا على الحق قال النبى نعم قال فلم الخفاء ، وخرج النبى والمسلمون لأول مرة الى الكعبة حيث صلوا بها .

* * *

(٨٤)

رسائل النبى

وجـه النبى صلى الله عليه وسلم رسائله الى الملوك والاباطرة :

الى المقوقس : فان توليت فانما عليك اثم القبط .

الى كسرى : فان توليت فانما عليك اثم المجوس .

الى النجـاشى : فان توليت فانمـا عليك اثم النصارى .

الى هرقل : فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين (اتباع اريوس الموحد) .

قال الزبيدى (وقيل أن فى اتباع هرقل ملك الروم فرقة تعرف بالاريوسية فجاءت كلمة الاريسيين نسبة اليهم) .

* * *

بعد فتح مكة فى السنة الثامنة للهجرة قدم قيس بن عاصم وعمرو بن الاهتم ابن عمه على الرسول فلما صارا عنده تسابا وتهاترا ثم قال قيس للرسول عن عمـرو وقومه : والله يا رسول الله ماهم منا وانهم لمن اهل الحيرة ثم قال عمر ، بل هم والله يا رسول الله من الروم وليسوا منا وقد نهى الرسول قيسا وعمرا عن هـذا التلاحم وافهمهما تلميحا أن الاسلام قد أغرق العصبيات كلها .

* * *

(٨٥)

اجلاء اليهود والردة

حديث رسول الله : اخرجوا اليهود من الحجاز ، اخرجوا اهل نجران من جزيرة العرب ، لئن بقيت لا ادع فى جزيرة العرب دينين .

يقول الأستاذ محمود محمد شاكر : نقرأ تاريخ الردة فى كل هذه الكتب جميعا فاذا هى خالية جميعا من ذكر اليهود ومن ذكر المنافقين الا كلمة شـاردة واذا المحدثون من المستشرقين الخائضين فيما ليسوا له بأهل لا يكادون يذكرون اليهود المنافقين فى حرب الردة واذا هذا المجد من لجاجهم ، فهم اشـد ولعا بالبحث عن الاسباب واستقصائها ونبشها من ان تخفى عليهم هذه الحقيقة البينة التى بين أيديهم : حقيقة اليهودوالمنافقين وما كان لهم من خطر فى تاريخ الاسلام منذ هاجر رسول الله الى أن قبضه الله اليه فلا يمضى يوم واحد لا تلقى فيه اشد البلاءمن كيد يهود ومن كيد اشياعهم وصنائعهم من المنافقين ثم يظل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

هذه السنوات العشر وهو يقاتل اليهود ثم يظل رسول الله يتلقى الوحى عن ربه هذه السنوات العشر فاذا أول سورة تنزل عليه وهى (البقرة) أكثرها فى ذكر اليهود المنافقين وبيان حالهم وصلة بعضهم ببعض واذا آخر سورة تنزل عليه صلى الله عليه وسلم وهى (براءة) كلها فى صفة اليهود المنافقين وفى الكشف عن اقوالهم ودسائسهم وكذبهم وخداعهم حتى فضحتهم بما تخفى صدورهم من الكيد والغيظ والنفاق ثم يكون آخر ما يتكلم به رسول الله وهو فى كرب الموت (لئن بقيت لا ادع فى جزيرة العرب دينان : اخرجوا اليهود من الحجـاز واخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب .

وهذا هو العمل الذى قام به عمر بن الخطابحيث أخرج طوائف اليهود من خيبر وفدك وللواقدى رواية يقول فيها أن عمر أجلى آل الحارث أبى زينبالمشهورين الى أريحا بأرض فلسطين وقد بقيت الأغلبية اليهودية فى وادى القرى الى القرن ١١ ولم يتعرض ليهود وادى القرى وتيماء بسوء وكان لهم عقد خاص أو لأن وادى القرى وتيماء لم تكن من أرض الحجاز لأن الحدود لم تكن محددة بدقة .

* * *

(٨٦)

عمر وعمله فى بناء الحضارة الاسلامية

فى عهده تم تكوين الدولة الاسلامية وظهرت النظم ووضع الديوان ومصر الأمصار ونظم الحكم ونظم الشئون المالية للدولة الاسلامية وقد استطاع هذا الخليفة العادل ان يوحد بين هذه العناصر المختلفة وأن يصوغها فى قالب واحد اسلامى ويدمجها فى الدولة الاسلامية وكان تداقام منازل الناس على التفصيل ، فقال : منازلنا على كتاب الله : الرجل وبلاءه ، الرجل وعناءه ، الرجل وحاجته .

ولما فتحت الفتوحات مسألة الصحابة قسمتها بينهم ، قال : لا يمكن أن يستولى العرب على هذا العالم الواسع ، هذه الثغور لابد لها من رجال يلزمونها ولا بد أن تشحن بالجيوش فكيف نصرف على هؤلاء اذا قسمت الارضون فاذا قسمت على من حضر لم يكن لمن بعدهم شىء ورأى عمر ترك الاراضين لهم على ان يوضع عليهم ما يتحملون من الخراج .

وجعل الأرض من الفىء الذى لا يقسم بل يذهب ريعه الى بيت المال ، وكان تشريعا جديدا ، ان تجمع احكومة فى خزائنها هذه الأموال وتعطيهم ما يحتاجون اليه لا ان يقسم ما غنموا .

* * *

بدا بعض مجوس الفرس واليهود منذ خلافة على بن أبى طالب مؤامراتهم التى حمل لواءها عبد الله بن سبأ الذى كان يهوديا ثم أظهر الاسلام وعنها نشأت الفتن بين المسلمين ، وقد زعم أن على اله وعن الشيعة ظهر غلاة الشيعة وتفرقوا فرقا وهم المدعوون بالباطنية .

* * *

ثبت أن الأشوريين والبابليين والكلدائيين والأراميين والفينيقيين كانوا موجات عربية خرجت من الجزيرة ونزحت عن موطنها الاول وانداحت فى هذه المنطقة العربية الحنيفية ، ابناء هذه العروبة جميعا هم العرب الذين نزلت عليهم الاديان قبل أن تغلب العنصرية على الحنيفية .

* * *

(٨٧)

مصر فى فجر الاسلام

قاومت مصر حكم اليونان والرومان نحو الف عام

وكان المصريون من أوائل من اعتنق المسيحية ، واشدهم دفاعا عن عقيدتها ورفض المصريون الانصياع لمذهب بيزنطة ، ورفضوا أن يكون لكنيسة القسطنطينية او بطارقة روما التقدم على كنيسة الاقدم عهدا وقد تم للاسكندر فتح مصر بفضل ثورة المصريين على غزاتهم الفرس المجوس الذين احرقوا معابده وملأوا بطونهم فى نهم ودنس .

ثم استجابوا للفتح الاسلامى الذى أخرجهم من ظلم الرومان .

وقال المقوقس لعمرو بن العاص وهو يتلقى طلبه بالاسلام او السيف قال : أما السيف فهو ما سيجيبه عنه الروم أما نحن المصريين فلا نريد أن يكون لنا بالروم اية صلة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ونحن رافضون الى الابد بقاء المغتصب البيزنطى ونحن راغبون فى الصلح وعلى استعداد لاداء الجزية وطاعة اولى الأمر منكم ، واستدعى عمرو البطريرك بنيامين المختفى فى الصحراء وبعد أول مقابلة معه صرح القائد العربى بأنه لم يسبق له أن خاطب مسيحيا على هذا الوفاء ومع تهذيب فى السلوك وسمع الرهبان فى مخابئهم الصحراوية وصوامعهم الجبلية بأمر قوم جاءوا من الشرق ليقضوا على الروم المارقين فاحتشدوا ووفدوا على القائد عمرو فى جماعات كبيرة وقال يوحنا النقيوس : لقد احترم عمرو أملاك الكنيسة ولم يقترف عملا يعاب عليه واستقبل المصريون عهد السلام الدينى واعاد عمرو انشاء الكنيسة القومية واديرة وادى النطرون وجاء الرهبان أفواجا يقدمون ولاءهم القائد المسلم .

(٨٨)

دعوى أن بلاد الاسلام كانت جزءا مى العالم المسيحى العالم المسيحى كان مستعمرا لهذه الارض ولم يكن مالكا حقيقيـا

تمركز الاسلام بعد توسـعه الاول جنوبى البحر المتوسط وشرقه فكانت حدود الدولة الاسلامية مترامية شرقا حتى الهند وغربا حتى المغرب ولم يتخط الاسلام فى هذا المد البحر المتوسط الا فى اسبانيا وصقلية ، اما دخوله الشرق البيزنطى والشام ومصر ضمن هذا العالم فلا يجوز اعتباره انتزاعا من العالم المسيحى لان الوجود الرومانى فى هذه المناطق كان وجودا دخيلا ثم انحسر مع ترحيب اهل تلك المناطق وتعاونهم فى اتمام هذا الانحسار

ثم جاء المد المسيحى فى صورة الحروب الصليبية التى دعا اليها البابا فى بداية القرن الحادى عشر الميلادى فاخرج المسيحيون المسلمين من اسبانيا وامتدوا فى البلاد والى حد ما شمالى مصر ، وجاء مد اسلامى جديد فاعاد الصليبيين الى أوربا وبظهور الاتراك وتوليهم زعامـة العالم الاسلامى ، استمر المد فى شرقى أوربا حتى فيينا .

وشهد القرن التاسع عشر عودة المد المسيحى فى صورة الاستعمار الاوربى الذى غزا العالم الاسلامى كله فلم يسلم من ذلك الغزو سوى الجزيرة العربية وتركيا وايران وافغانستان وسقطت حتى الاطراف النائية مثل اندونيسيا واستمر هذا الاستعمار حتى اليـوم اذ لم تخرج اسبانيا من الصحراء الا مؤخرا وساعدت أوربا قبل أن ترحل عن العالم الاسلامى فى انشاء اسرائيل فهز وجودها العالم الاسلامى كله وفتح فى العلائق بين العالمين جرحا لا يمكن تجاهله .

* * *

(٨٩)

مؤامرة اليهود فى المدينة

استولى الروم على بيت المقدس قبيل الميـلاد المسيحى وطردوا اليهود منه فلما عاد فريق منهم الى بلاد العرب ونزلوا بجوارهم فى يثرب وغيرها من بلادهم استغل اليهود جهل العرب فاخذوا يقرضونهم الأموال بالربا الفاحش حتى صاروا اغنى اهل الحجاز وامتلكوا أخصب أراضيه وكان عرب الخزرج ومعهم بنو قتيقاع وبنو النضير من اليهود وكان عرب الأوس ومعهم بنو قريظة من اليهود وكان بين الفريقين حروب دائمة لاتنقطع آخرها حرب بعاث قبل الهجرة بخمس سنين وبعد أن هاجر النبى (صلى الله عليه وسلم) كان العرب من الاوس والخزرج قد اجتمعوا على الاسلام وبقى اليهود على دينهم فلم يسلموا .

وقد عقد النبى صلى الله عليه وسلم معاهدة بين المسلمين واليهود ضمنت لليهود حقوقهم وكانت سـنة جديدة لم يكن للناس بها عهد قبل الاسلام ، وقد جاءت باصلين عظيمين فى هذه الحياة : حرية الاعتقاد والمساواة بين الناس فى الوطن فلم يكن قبل الاسلام اصل من هذين الاصلين وقد ابطل الاسـلام حرب الدين ونادى بانه (لا اكراه فى الدين) ووافق اليهـود فى الظاهر على المعاهدة حتى لا يظهرون حقدهم واخـذوا يكيدون فى لباطن لأهل هذا الدين ، واخذ اليهود يعملون على اثارة العداوة القديمـة بين الاوس والخزرج ليفرقوا جمعهم ويتركوا هذا الدين الذى جمع بينهم ، ولما يئس اليهود من التفريق بين المسلمين انقلبوا للتآمر مع بعض أهل المدينة وكان أكثرهم من المنافقين الذين يخفون الشرك ويظهرون الاسلام فحالفوهم على المسلمين ثم أخـذوا يؤلبون القبائل العربية على حربهم وسعوا الى قريش فحالفوها عليهم .

أراد يهود المدينة ان تنفى فى جاهليتها لبستغلوا اهلها ورفضوا أن يكون وطنا لهم وللمسلمين فأبى الله تبارك وتعالى الا أن تكون وطنا للمسلمين وحدهم وان يحرم منها اليهود فنفوا الى اذرعات وغيرها .

(٩٠)

فتح نهـــاوند

بينما المســـلمون يحاربون ويفتحـــون ويدخلون (نهاوند) يعيش عمر فى المدينة يتسقط الانباء مشفقا لا يتذوق النوم الا قايلا ، يقضى سائر ليله يستنصر الله لجنده ، يخشى أن يبلغه عنهم مالا يحب ، فلما كانت الليلة التى قدر للقائهم جعل يخرج ويتلمس الخبر وقــد القى فى روعه أن الله نصر جنده وانجز وعـــده وكان حذيفة بن اليمان قد بعث طريف بن سهم ليسرع بالخبر الى المدينة فلما بلغها وسأله عمر : ذكر له ما انعم الله به على المسلمين ثم هرع الى المسجد فصلى وخرج فى جماعة من أصحابه وكله الشوق أن يقف على جلية الخبر وامعنوا فى الطريق الذى يؤدى الى فارس فبصروا عن بعد براكب توسم عثمان بن عفان انه السائب بن الاقرع فلما دنا منهم وسلم سأله عمر عما وراءه فقال البشرى والفتح ، قال عمر : ماذا فعل النعمان : قال زلت فرسه فى دماء القوم فصرع فاستشهد قال عمـر انا لله ولم يتمالك أن بكي حتى تشنج فاما سكنت ثورة الحزن سأل عمر عمن قتل من المسلمين فذكر له أعيـــان الناس واشرافهم ثم قال : وآخرون من افناء الناس لا يعرفهم أمير المؤمنين قال عمر : ما ضرهم الا يعرفهم عمر لكن الله يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة .

* * *

(٩١)

صلاح الدين والحروب الصليبية

احتل الصليبيون القدس عام ٣٩٣ هـ (١٠٩٩) م ولم يولد محرر القدس (صلاح الدين الأيوبى) الا بعد تسع وثلاثين سنة من احتلالها ٥٣٣ هـ ــ ١١٣٨ م ولم يتم التحرير الا عام ٥٨٣ ــ ١١٨٧ (حطين) أما الهزيمة النهائية للصليبيين فلم تكن الا بعد ما يقاره القرنين من الزمان افتقـــد المسلمون خلالها توتهم المـادية فلما استعادوا تصورهم الاسلامى عادوا الى النصر .

سبعون الف مسلم ذبحهم الصليبيون داخل بيت المقدس فى الحملة الصليبية الأولى ، وصلاح الدين لم يدع سيفا يقو على رقبة صليبى واحد بعد المعركة .
عندما قام عماد الدين زنكى بدعوة المسلمين للتجمع لطرد الغزاة المعتدين كانت له قصة ، ولهذا فهو مجاهد وعندما استولى على (الرها) ٥٣٩ هـ ــ ١١٤٤ م وفتح أبوابها للاسلام واذن لانصارى فيها بأن يتعبدوا ماشاءوا أصبح اسمه حروفا من نور فى تاريخ المسيحيين انفسهم .

ثم جاء ابنه نور الدين محمود وعاد بالجهاد الى نبع الجهاد الصافى ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظت امة الاسلام على نداء الجهاد ، امضى ثلاثون عاما من الجهاد فى ميادين الموصل والشام ومصر جعلت نور الدين محمــــود نور لكل دين ، جعلته نورا للاسلام ونورا لغير أهل الاسلام ، وعمورى او اما لريك المستعمر الذى قام فى القدس على بحر من دماء سبعين الف مسلم استشهدوا يوم دخل سلفه بلدوين القدس واعلن نفسه ملكا ، عمورى هذا كان اذ ذكر امامه اسم نور الدين تمشى الخـــوف فى أوصاله لأنه كان يحس بالخشوع أمام المجاهد ، وعندما انتقلت راية الجهـاد الى صلاح الدين عرفت أوربا كلها انها كانت على ضلال لأنها وجدت نفسها أمام مجاهد حق له قصة حق ، والملوك الثلاثة الذين اقبلوا يقودون الحرب الصـليبية الثالثة لعقاب صلاح الدين احنوا هاماتهم للرجل الذين اقبلوا ليعاقبوه وواحد منهم وهو (ريتشارد) الذى لقبوه بقلب الاسد اقبل من انجلترا ليعاقب هذا المتمرد الذى قبل له اغتصب القدس وعندما اصابته الحمى وباء ايلة بتقلب فى غمزاتها اتاه كأس من صلاح الدين فيها شراب قيل انه ترياق فلما شرب الترياق أفاق وشفى وعندما علم أن هذه الكأس آتية من عند الرجل الذى اتى ليعاقبه احس انه امام رجل أقوى منه وابسل ، وقال لقد فعل ما لم أكن انا ولا غيرى نفعله قط ، هذا رجل لا يمكن ان يختاس أو يعتدى وازمع العودة الى بلاده وعندما قالوا له تمضى وتترك القدس فى ايدى المسلمين قال : اما والمسلمون فيهم مثل صلاح الدين فالقدس وقبر المسيح فى يد آمنة ، لقد هزمنى صلاح الدين بكأس دواء .

عنـــدما هاجم صلاح الدين مدينة بيت المقـدس

فحاصرها وطلب اهلها الفداء تم الاتفاق على أن كل رجل عشرة دنانير وعن المرأة خمسة دنانير وعن كل طفل دينارا واحدا وأن يكون المدة التى يؤدى فيها الفداء ويتم فيها الجلاء اربعين يوما ، وفتحت المدينة ابوابها لصلاح الدين فخرج الامير بايان ومعه سبعة آلاف فقير بعد أن أدى عنهم ثلاثين الف دينار، ثم بايع خروج الصليبيين على الرسم المقرر ، ثم يأتى البطريرك الكبير يجر من اموال الكنائس وتحفها وجواهرها مالا يقدر بمال ، فلم يعرض صلاح الدين لشيء مما معه . ومضت الأربعون يوما ولا يزال فى المدينة آلاف كثيرة من فقراء الصليبيين لايملكون فداء فتقدم العادل الى اخيه قال: انى استوهبك الفا من اولئك الارقاء فاجابه السلطان الى طلبه ، وعند ذلك اعتقهم العادل من فوره ، ثم جان بليان والبطريرك وطلبا مثل الذى طلب العادل فوهبهم صلاح الدين الفا رقيق اطلقوا فى الحال ثم قال صلاح الدين : بقى ان أؤدى انا صدقتى ثم أمر رجالا من حرسه أن ينطلقوا فينادوا فى جميع شوارع المدينة ان كل عاجز عن دفع الفداء له أن يخرج لوجه الله .

وان نساء من نساء فرسان الصليبيين كن قد لجأن الى بيت المقدس بعد أن قتل ازواجهن فاجتمعن بعد أن اذين الفداء وحضرن عند صلاح الدين باكيات معولات يشكون اليه سوء حالهن فما كان منه الا أن اطلق لكل من لها زوج من محبسه .

حينما استعاد المسلمون بيروت من الصليبيين فانهم لم يجدوا فى بيروت العدد الشرعى لاقامة صلاة الجمعة وهو اربعين شخصا فضلا عن انهم لم يجدوا مسجدا واحدا يجتمع فيه المأمون لاقامة صلاتهم اليومية وفى أيام الاحتلال الصليبى كان جمهرة السكان فى بيروت من النصارى الأوربيين ومن نصارى جبل لبنان الذين انحدروا الى هذه المدينة من قراهم ودساكرهم انتجاعا للرزق فى هذه المؤسسات الاجنبية ومع الزمن تكونت من هؤلاء النصارى المحليين بالاضافة الى العناصر الاجنبية مجموعة من السكان اكتسحوا المدينة بطابعهم الدينى

وبعد تسعين سنة (٣٥٣ هـ ١١٨٧ م) دار الزمن دورته واستأنف الاسلام وجوده فى بيروت أو عاد اليها المسلمون متقاطرين من البلدان وانضم لهـا أفراد الجيوش والحشود الذين سايروها فاتحين بقيادة صلاح الدين .

وعاد الصليبيون لاحتلال بيروت مرة أخرى بسبب عودة الصليبيين لاحتلالها من جديد على اثر وفاة صلاح الدين .

ودامت هذه الفترة الثانية من الاحتلال الصليبى على الوجود النصرانى فى بيروت من ٥٩٣ الى ٦٩٠ هـ ١٢٩١ م

حين دخلت بيروت قوات المماليك بقيادة سنجر الشجاعى التى اقتحمها باسم السلطان الاشرف خليل بن الملك المنصور قلاوون وبعد أن استقر المماليك اصبحت بيروت مدينة اسلامية من بابها الى محرابها وانصرف عنهـا النصارى الذين لم يرافقوا الصليبيين المهزومين وآثروا الاقامة فى الجبال المطلة على المدينة ثم بدا النصارى يضاعفون سكناهم فى ابان صراع اسطنبول مع أوربا ولما دخل ابراهيم باشا (١٨٣١ م — ١٢٤٧ هـ) الى بيروت بادر الى اباحة سكناها للنصارى بتشجيع من الدولة الفرنسية التى كانت وراء حملة محمد على على البلاد السورية فتدفق اليها منحدرين من قمة جبال لبنان وسفوحه وعندما اجبر ابراهيم على الجلاء عن المدينة فى تراجعه عن سائر فتوحاته كانت الدول الغربية تمسك بزمام المبادرة فى توجيه السياسة العثمانية وفقا لوصية القائد الصليبى لويس التاسع الذى لاقى حتفه فى تونس خلال آخر حملة صليبية ضد العرب والاسلام وكانت الوصية تقضى بابعاد المسلمين عن الشواطىء الشرقية للبحر المتوسط الذى حولته الفتوحات الاسلامية الى بحر العرب بعد أن كان يسمى بحر الروم وما كادت سنوات القرن ١٩ تشارف نهايتها حتى اصبح سكان بيروت يتقاسمها الدينان الاسلام والنصرانية سواء تقريبا (طه الولى)

* * *

مشروع ارناط :

المشروع الذى دار بمخيلة البرنس ارناط صاحب الكرك حيث حاول ان يفتح الحجاز وانشأ اسطولا فى أراضيه جعله قطع حملتها الابل وسارت بها وسط الصحراء ليلقى بها فى خليج العقبة عام ٥٧٨ حيث بدأ الأسطول يمخر عباب البحر الاحمر واذ به ينقسم الى فريقين : اقامت الاولى على حصن للمسلمين بخليج العقبة تحاصره واتجهت الاخرى جنوبا تهاجم موانى البحر على الشاطئين الاسيوى والافريقى فاختل طريق الحج واخذ الاسطول يطارد المسلمين فى عقر ديارهم وعلى أمواج بحرهم فلما وصل الخبر الى مصر انشأ صلاح الدين اسطولا نقله الى خليج السويس وسلم قيادته للحاجب حسام الدين لؤلؤ فسار مجدا فى طلب الفرنجة حتى أوقع بهم بعد ان أمضوا شهورا يجوبون البحر الاحمر الى عدن وينزلون مقاتليهم الى ساحل الحجاز لقد لفت خليج العقبة وموقع ايلة انظار البطل الصليبى ولمس اهميته فعمل على احتلال تلك البقعة ونشر الرعب بأسطوله ، ووقع البرنس ارناط فى يد صلاح الدين وهى الفكرة التى احياها الصهيونيون فى الفصل بين العرب فى آسيا والعرب فى افريقيا وهى نفس فكرة الصليبيين ولقد كان التضامن الذى اقامه صلاح الدين بين مصر وسوريا والاردن هو الذى مكنه من سحق القوة المغيرة .

(٥١٢ هـ ١١١٨ م حطين) .

(٦٥٩ هـ ١٢٦٠ م عين جالوت) .

* * *

(٩٣)

اسطورة القديس يوحنا

ترددت اسطورة القديس يوحنا فى القرن الثانى عشر الميلادى بكل ديار أوربا: أن المسيح سينصرهم وهى ترمى الى أن فى جوف آسيا ملكا نصرانيا سيزحف برجاله المغاوير لمساعدة الصليبيين فاستمسك الناس بحبال هذا الخيال حتى لقد زعموا واكدوا ان اسقف مدينة جبله (من ثغور سوريا) بعث كتابا الى البابا اورجانيوس الثالث فى ١١٤٥ م ٥٤٠ هـ يشرح له تفاصيل المساعدة السماوية .

وتلك السنة هى التى ظهر فيها نجم السلطان الشهيد نور الدين ، حرف الصليبيون اسمه فى قالب لاتينى وهو (نور ادانوس) وهو الذى نكل بهم وزحزح وجودهم وبدد شملهم .

بقى القوم فى أوربا ينتظرون المدد الموهوم من ذلك القسيس الملك المزعوم ، قام رجل من رجالات الكهنوت هو (البيريك) الذى صار كردينالا وهو الذى اذكى الحماسة فاثار الحرب الصليبية الثانية على المسلمين يتقدم الى الجماهير ١١٦٥ الى بعد عشرين عاما واشار الى رسالة صادرة من نفس ذلك القسيس الى ملوك الغرب يصف فيها خيرات بلاده أو كنوزها (وما فيها من التفاصيل بشأن ما ورد فى الرحلة السادسة من قصة السندباد) وكانت أوربا تتلهف للاتصال بالنجاشى فى الحبشة (بلاد القسيس يوحنا) وكان هم البرتغاليين بعد وصولهم الى زنجبار أن ينالوا شرف البداءة هو الاتصال بملك ملوك الحبشان .

وتوسم الصليبيون فى التتار أن يكونوا عونا ومددا لهم على ازالة الاسلام وبقوا على هذه الخرافة حتى بدأت عملية التطهير فى الارض المقدسة فلسطين على يد الشهيد نور الدين وسلاطين مصر وصلاح الدين ، وبيبرس البندقدراى ، وقلاوون الالفى وانتهى الاشرف خليل بن قلاوون بقذف جميع بقاياهم الى البحر من مدينة عكا واتم الله له النصر وتطهير الارض المقدسة . لقد تقدمت أوربا على الشرق بجيوشها وأساطيلها فأزلت أقوامنا واهاكت فى يوم واحد وفى صعيد واحد من رجال الاسلام ٩٠ الف انسان كانوا قد التجأوا الى المسجد الاقصى حينما قام الصليبيون باقتحام اسوار أورشليم ودخلوا ظافرين الى القدس الشريف ثم رجحت كفة المسلمين حتى استردوا المسجد الاقصى وطردوا منه الصليبيين ولكنهم لم يرتكبوا مثل تلك الخيانة فخرج الصليبيون وهم آمنون على انفسهم وما معهم من المال . (من هو القسيس يوحنا المزعوم : احمد زكى باشا) .

* * *

(٩٤)

وفاة صلاح الدين

توفى صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله ٥٨٩ هـ ودفن فى داره بقلعة دمشق ، ثم بنى له ابنه الملك الافضل تربة فى المكان الحاضر ونقله اليها ٥٩٢ هـ وقد زاره الوالى ضياء باشا فى العقد الاخير من القرن التاسع عشر فوجده متهدما فقال الا تذكرون انه هو الذى ابقى هذه البلاد للاسلام والمسلمين ولولا جهاده لما كنتم فيها الان فأقام له الحجرة التى نراها اليوم ، وقد روى الذين حضروا نقل تابوت صلاح الدين الى قبره الجديد فى الحجرة انهم وجدوا جثمانه على حالته الطبيعية كانها قد دفنت حديثا وام يزل شعر رأسه ولحيته .

ويقول الدكتور صلاح المنجد انه عندما قدم الامبراطورغليوم الى دمشق١٨٩٨ زار الجامع الأموىهو وزوجته الامبراطورة ثم دخلا تربة صلاح الدين فزارا القبر وعند خروجه أمر بان يوضع على قبر السلطان اكليلا من الازهار وكان الاكليل من البرونز وعليه الازهار وظل الاكليل فى الحجرة حتى دخل الانجليز دمشق فاخذه اورنس واللنبى ونقل الى لندن .

وعندما زار الجنرال عوزو الفرنسى قبر صلاح الدين قال وهو على قبره : ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين .

وقد نشرت مجلة المقتطف عام ١٩٢٧ ما نشرته جريدة الف باء الدمشقية من أن اللورد اللنبى لما دخل دمشق نزع عن قبر السلطان صلاح الدين الاكليل الذى وضعه عليه الامبراطور غليوم وقال الدكتور يعقوب صروف : ان الحرب العالمية اثارت الاحقاد بين المتحاربين حتى صار يسهل على كل منهم أن يقتل خصمه ويمثل به ويحرق بيته ويتلف امتعته واللورد اللنبى من أروع قواد الجيوش ولكنه وتر بوحيده فى هذه الحرب واذا ثارت ثائرة الغضب فهو وغيره لا يقف غضبهم عند حد ونظن انه لو جاء دمشق الان لوضع على قبر صلاح الدين اكليلا آخر بدلا من الذى نزعه !!

***

(٩٥)

فتح القسطنطينية

ان محمد الفاتح لم يفتح القسطنطينية فقط ولكنه غير تاريخ أوربا كله .

كان فتح الترك العثمانيين لمدينة قسطنطين عاصمة الدولة الرومانية الشرقية فى ٢٩ مايو ١٤٥٣ على يد السلطان محمد الثانى الذى اسبغ عليه قيامه بهذا الفتح العظيم لقب الفاتح وخلد اسمه بين اعظم الفاتحين فى التاريخ ولم يكن فتح قسطنطينية فتحا لحاضره من حواضر العالم القديم ، ولم يكن فقطغنما اقليميا وسياسيا عظيما للدولة العثمانية الفتية ، بل كان حادث اجل وأخطر من ذلك بكثير، وكان عنوانا لأعظم المعانى الادبية والتاريخية والدينية والفلسفية التى ترددت مدىالعصور بين شطرى العالم القديم وكان تحقيقا لاعظم الامانى التى جاشت بها الأمم الاسلامية زهاء ثمانية قرون .

وكانت قسطنطينة عاصمة الدولة الرومانيةالشرقية وقد نشأ الاسلام والدولة الاسلامية على مقربة من حدود الدولتين الرومانية والفارسية وكان من الطبيعى ان ينشب النضال بين الاسلام وبين هاتين الامبراطوريتين القديمتين واستطاعت قوى الاسلام أن تقضى بسرعة على الدولة الفارسية وعلى عقائدها الوثنية واستطاعت فى الغرب أن تنتزع الشام ومصر من الدولة الرومانية وان تسير قدما فى افتتاح اقطار المغرب .

***

ولكن الخلافة الاسلامية كانت تطمح الى ان تحمل رسالة الاسلام الى الغرب كما حملتها الى أمم المشرق وكانت ترىفى الدولة الرومانية الشرقية مجازها الطبيعى الى الغرب وفى عاصمتها القسطنطينية حصن النصرانية الذى يجب اقتحامه لتحقيق هذه الغاية ، ومن ثم فان القسطنطينية كانت منذ الساعة الأولى هدف الغزوات الاسلامية ومنذ خلافة عثمان نرى العرب يحاولون فتح

عاصمة الدولة الشرقية فى سلسلة من الحملات فى ٢١ هـ ٦٥١ م ثم تكررت فى بداية الخلافة الأموية فى عهد معاوية فسار العرب الى فتح القسطنطينية وقاموا بحصارهم الأول لها فى ٦٦٩ م واستمرت هذه الحملة تحت أسوار القسطنطينية زهاء سبعة أعوام وفى سنة ٧١٧ م قامت الخلافة بأعظم محاولاتها لفتح قسطنطينية فسيرت الى عاصمتها جيشا عظيما وقام العرب بحصارهم الثانى للقسطنطينية وبذاوا لأخذها جهودا فادحة ولكنهم ارتدوا عنها عند دخول الشتاء واضطروا الى الارتداد مرة اخرى، وادرك العرب فى ذلك الحين عقم محاولتهم فى اقتحام القسطنطينية والوصول الى أوربا من الشرق .

ولكن الخلافة لبثت تطمح الى تنفيذ مشروعها فى غزو امم الغرب وحمل رسالة الاسلام اليها وكانت قوى الاسلام قد جاوزت يومئذ فى زحفها المظفر نحو الغرب مضيق جبل طارق وافتتحت اسبانيا ثم عبرت جبال البرنية وغزت جنوبى اسبانيا وكانت الامم الاوربية تشعر بفداحة الخطر الذى تواجهه من تقدم هذه القوى الغازية الجديدة الى قلب أوربا ، ووصلت الجيوش الاسلامية الى قلب فرنسا فى ربيع ١١٤ هـ ٧٣٢ م بقيادة عبد الرحمن الغافقى أمير الاندلس والتقت على ضفاف نهر اللوار بجيوش الفرنج بقيادة كارل ماريل ونشبت بين الفريقين معركة (بلاط الشهداء) الشهيرة التى انتهت بتراجع المسلمين وارتددهم .

واستمر الصراع بعد ذلك قرونا بين قوى الدولة البيزنطية وبين قوى الاسلام وكانت قوى الاسلام تنساب من الجنوب والمشرق الى آسيا الصغرى فى غزوات لا تنتهى ولكن الدالة البيزنطية لبثت على تفككها هامدة ولبثت القسطنطينية مستودع الحضارة الرومانية الشرقية تحمل تراثها القديم حتى كانت وثبة الترك العثمانيين واكتساحهم آسيا الصغرى فى القرن الرابع عشر الميلادى وقيام الدولة العثمانية الفتية على حدود الدولة البيزنطية وكانت القسطنطينية تلوح للغزاة الترك وكأنها لؤلؤة ساطعة وبذل الترك لاخذها جهودا متوالية وحاصروها غير مرة حتى كان عهد السلطان محمد الثانى وكانت الدولة البيزنطية قد قضت اطرافها من كل ناحية واستولى الترك على معظم اراضيها فى آسيا الصغرى والجانب الأوربى ولم تبق سوى العاصمة فحزم محمد الثانى أمره على اخذها وحاصرها فى ربيع ٨٥٧هـ ١٤٥٣م بجيش ضخم واستمر الحصار ثلاثة وخمسين يوما وبذل قسطنطين باليولوجوس آخر القياصرة جهد اليائس فى الدفاع عن حاضرته ولكن هزيمة الغزاة حملت فى طريقها كل شىء واقتحم الترك قسطنطينية فى اليوم التاسع والعشرين من شهر مايو ١٤٥٣ ودخل السلطان قصر القياصرة وادى صلاة الجمعة الاولى فى كنيسة (ابا صوفيا) لؤلؤة الاثار البيزنطية .

وهكذا تحقق حلم الخلافة الاسلامية القديم على يد الترك العثمانيين وغدت عاصمة الدولة الرومانية الشرقية مدينة اسلامية .

وقد كان فتح القسطنطينية عمـــ لاسياســيا واقليميا افسح الطريق لزحفهم المظفر الى بلاد البلقان واوربا حتى وصلوا الى مدينة فينا وان يفتحوا سائر الأقاليم الواقعة فى حوض الدانوب أن يشيدوا اعظم امبراطورية اسلامية منذ الدولة الاموية .

(محمد عبد الله عنان)

* * *

(٩٦)

تحول كفة النصر

بعد سقوط دولة السلاجقة تحت ضربات المغول لجأ الكثيرون من المناضلين ضد المغــول الى السلطة العثمانية، وتوالت انتصارات العثمانيين على الامبراطورية الرومانية الشرقية ودخلت جيوشهم أزمير ثم انقرة (٧٥٦هـ ١٣٥٤ م) ثم امتدت موجة زحفهم الى أوربا فسقطت ادرنة فى أيديهم ومنها توغلوا الى البلقان حيث توالت انتصاراتهم على تحالف العرب والمجر والبلقان ، ولم يلبثوا أن فتحوا مدينة القسطنطينية (٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م) وكان لسقوطها دوى فى أوربا والعالم الاسلامى واشتدت مخاوف الاوربيين من جهة وارتفعت مكانة الدولة العثمانية فى نظر العرب، والمسلمين من جهة اخرى ثم جاء تحولهم من التوسع فى أوربا الى بسط نفوذهم على الوطن العـــربى فغزت

جيوشهم الشام والعراق واقتحمت مصر وادخلها فى الامبراطورية العثمانية ١٥١٦ م .

ثم كانت انطلاقة الغرب التى بدأت بالكشوف البحرية والوصول الى طريق راس الرجاء الصالح ومنه الى الهند واكتشاف كولومبس لأمريكا ١٤٩٨ فقررت هولندا وبريطانيا وفرنسا على التنافس فى مغامراتها البحرية على نهب خيرات الاراضى البكر فى افريقيا والدنيا الجديدة ، هذه المغامرات البشعة للقراصنة وتجار الرقيق التى مارسها الاوربيون فى القارة الافريقية على نطاق واسع ، وتصدت الدولة العثمانية لحماية المغرب من الاسبان والبرتغاليين فاحتلت الجزائر ١٥١٨ حتى لا تقع فى يد الاسبان بعد استيلائهم على غرناطة آخر معاقل العرب واستولى الاتراك على تونس ١٥٣٤ كما حرروا ليبيا من سيطرة فرسان القديس يوحنا الملطيين ١٥٥١ وبذلك ضم الشمال الافريقى الى الامبراطورية العثمانية التى مدت سيطرتها الى اليمن وعدن ومسقط ويعتبر اصطلاح المسألة الشرقية بديلا عن كلمة (الحروب الصليبية) أو تعبيرا مغلفا عنها ، بدا ذلك واضحا فى قول اللورد اللنبى عندما دخل بيت المقدس فى ٩ ديسمبر ١٩١٧ « اليوم انتهت الحروب الصليبية » .

* * *

(٩٧)

اعترافات كولمبس

اعترف كولومبس قائد (رحلة اكتشاف أمريكا ١٤٩٢ على رأس ثلاث سفن (فى ميناء بالوس) : بانه قام بهذه الرحلة بعد ان قرأ كتابات ابن رشد وما تجمع اديه من معلومات العرب عن كروية الأرض وان الذى يسير متجها الى الشرق او الغرب سيصل فى النهاية الى النقطة التى بدا منها المسير ، كما شجعه ما اثاره الاسلام من الدعوة الى استثمار الخيرات التى يعج بها الكون فى ارضه وسمائه كما يقرر ذلك علماء المسلمين فى جامعاتهم المزدهرة فى الاندلس . ولو لم يكن كولومبس ولو لم يكن ابن رشد ولو لم يكن الاسلام لتاخر كشف العالم الجديد عدة قرون وما كان لأمريكا هذه الحاذبية التى شدت اليها المهاجرين من اوربا وامتصت الملايين من افريقيا واستثمار خبراتها واغرت كثيرا من المسلمين للرحلة اليها دعاة الى الاسلام او طلاب ثقافة أو مبتغين من فضل الله وتذكرت قولة عقبة بن نافع الفاتح العربى لشمال افريقيا وهو ينتهى الى المحيط الاطلسى وينزل بجواده الى الماء ويقول :

« والله او اعلم ان ارضا وراء هذا المحيط لخضته حتى ابلغ رسالة الله » .

وقد انطلق من وحى ان الاسلام دعوة عالمية **لا تقف عند حدود الزمان والمكان وكانت هذه الانية** باعثا على قيام الفتية المغرورين بمغامرة لتحقيقها كما صورها الادريسي فى كتابه (نزهة المشتاق الى اختراق الافاق) .

* * *

(٩٨)

فاسكودى جاما ارشده ابن ماجد

عمل فاسكودي جاما الرحالة البرتغالى عمل هو وجماعة على استهواء الربان العربى (ابن ماجد) ليرشدهم الى الهند عن طريق البحر ، وتوسلوا معه الى هذه الغاية بان اسكروه بالمعتق من الدام كما تروى بعض الروايات وهكذا وصل البرتغاليون الى الهند عن طريق رجل من العرب عليم بتلك البحار وله فى هذا العلم تآليف قيمة (ابن ماجد) وكان ذلك كله غير معروف الى اهل اوربا حتى اتاح لى الحظ . يقول أحمد زكى باشا شيخ العروبة : ان اكتشف عن

هذه المسألة الخطيرة فى محـــاضرة القيها عام ١٩١٢ ونشرتها فى المقتطف .

لم يصل دى جاما الى الهند بطريق الصدفة بل الحقيقة انه اهتدى اليها بمعلومات ذلك الربان البحرى العربى بعد أن اسكره بالمعتق ، وقد استغاث اهـــل الهندى بالغورى سلطان مصر وصنع المراكب الحربية فى بولاق وارسلها قطعا قطعا على متون الجمـــال الى السويس وهناك ركبها اهل الدراية البحرية من المصريين ثم قام الأسطول المصرى يمخر البحر الأحمر براية مصر الصفراء فدفع أسطول البرتغال عن مدينة عدن وكان له فى بحار الهند وقائع مع الاسطول البرتغالى نال فيها الظفر وكل الفخار .

والقول بأن العرب لم يكونوا يعرفون آخر حدود أفريقيا يكذبه أن فاسكودى جاما اعتمد على ملاح عربى فى الالتفاف حول رأس الرجاء الصالح (وقـــد اسماه المترجمون العرب (راس عشم الخير الطيب) وقد غادر فاسكودى جاما لشبونة ٨ نوفمبر ١٤٩٧ وطاف حـــول الراس الرويقى فى ديسمبر ثم اخذ فى ارتياد شرق افريقيا فرست سفينته فى موزمبيق واقترب من زنجبار وليس عن طريق الصدفة .

وكان اكبر ما اندهش له البرتغاليون هـــو تلك الحضارة الاسلامية الزاهرة التى كانت سائدة فى غرب افريقيا وقد كان هذا الأمر موضـــع غرابة لانهم كانوا يعتقدون انهم سوف يقابلون شعوبا متوحشة واكواخا حقيرة من الطين وزنوجا يرتدون قطعا من القماش لستر عوراتهم .

وقد منع الاسطول المصرى الأسطول البرتغالى من تجويع مصر واماتتها من عطاء الاسلام بتحويل ميـــاه النيل عن مجراها الى البحر الاحمر ، ومنعه من ضرب مكة والكعبة بالقنابل فقد كان وقف امام جدة وشرع فى هذا التجريف فقد ظهر ثقة الأسطول المصرى وفى ساحة حاول الازمة فضرب الاســـطول البرتغالى ورده على اعقابه وتعقبه الى باب المندب ، ولكن الأمـــر استتب بالبرتغال فى الهند .

＊＊＊

(٩٩)

الظاهر بيبرس بفتح قيصرية

فتح الملك الظاهر بيبرس مدينة قيصرية فى بلاد الروم وانتزعها من أيدى التتر واستولى عليها ، فى ذلك العصر كانت المملكة الاسلامية لا تزال تعانى آثار الوهن من الحملات الصليبية المتكررة على الأرض المقدسة ومن غزوات تترية وحشية ضارية فى أطراف المملكة بعـــد هزيمتهم المنكرة فى عين جالوت .

وكان الملك الظاهر الذى كان يعانى فى نفســـه عقدة (هولاكو) فى سبيله الى محو نفـــوذ التتار من المملكة الاسلامية كلها والتتار فى عهده قد انقسموا الى شطرين :

شطر بزعامة بركة خان الذى ادخل الاسلام فى بلاد القفجان وغضب لما فعله هولاكو وحفيـــده ببلاد المسلمين ولم يلبث ان انتشر الاسلام بين هؤلاء مما جعل النفور يشتد بينهم وبين التتار فى بلاد فارس الذين كانوا على غير دينهم ، وفى الوقت نفسه صاروا قـــوة كبرى للمسلمين .

الشطر الثانى كان بزعامة ابغا بن هولاكو وكان مسيحيا نسطوريا تزوج من ابنة الامبراطور البيزنطى وحرص على أن يدعم صلاته بالقوى المسيحية فى الشرق والغرب نكاية بالمسلمين .

وطبيعى ان يجد هؤلاء التتار فى الصليبيين حلفاء لهم فى ظل العقيدة الواحدة ولكن هذا التحالف لم يجديهم نفعا لأن الصليبيين كانوا قد بلغوا مرحلة الضعف والوهن والانقسام .

وقد شدد الملك الظاهر (بيبرس) عليهم الحصار فى مدينة عكا وكانت آخر معاقلهم فارسلوا اليه فى طلب الصلح فجاء الصلح بين الصليبيين والملك الظاهر يحرم التتار من حلفاء مخلصين لهم . شاء (ابغا) الصلح ولكن كان يحاور ويداور ولما وصل رسله الى دمشق قابلهم الملك الظاهر بعرض عسكرى رائع أوقع الرهبـــة فى نفوسهم ولم يكن رسل التتار يتصرفون حتى جاءت الانباء

باغارة جيوش (ايفا) البعيدة عبر نهر الفرات بالقرب من منبج فاسرع الظاهر لاستعادتها ومعـه بعض سفن حملت على ظهور الجمال للاستعانة بها في عبور النهر فالقى الفرسان بأنفسهم فى نهر الفرات وقطعوه عوما الفارس الى جانب الفارس وهم متماسكون بالاعنـة ومجاديفهم ورماحهم .

ثم قاد الظاهر عساكره ضـد التتار فانزلوا بهم الهزيمة وعندما احس التتار انهم بحاجة الى حليف على الملك الظاهر وبعد أن يئسوا من الصليبيين فكر (ايفا) فى استخدام سلاحقة الروم وسلطانهم الذى كان طفلا وزعيم (معين الدين البردناه) فى مهاجمة الملك الظاهر وكانت بلاد سلاحقة الروم آنئذ مشمولة بالحماية التترية فتحالف مع السلاحقة الذين يلقبهم المؤرخون بسلاجقة الروم لمجرد اقامتهم فى بلاد الروم وما كانوا من الروم وانما كانوا مسلمين مغلوبين على أمرهم .

وقد قطع الجيش الظاهرى الى هدفه طريقامحفوفة بالمخاطر ، وفتح الملك الظاهر قيصرية فى بلاد الروم بعد معارك رهيبة واقتلعها من ايدى التتـار وجلس الملك المظفر على تخت بنى سلجوق واستطاع الملك الظاهر معاقلهم التى ظنوا انهم آمنون فيها بضربته الماحقة التى بعزية جنده المتمرسين على القتال أن يضرب التتار فى كانت مكملة لمعركة عين جالوت ، وهذه كانت فى الجنوب وتلك كانت فى الشمال ويشاء القدر أن يكـون الملك الظاهر المنتصر فى كلتا المعركتين .

وحين سمع (ايفا) صاحب التتر ما فعله الملك الظاهر فى عركة ابلستين عرج على مكان المعركة بعـد انسحاب الظاهر حيث شاهد عسكره صرعى ولم يجد احدا من السلاحقة مقتولا فاستشاط غضبا وأمر بنهب بلاد السلاجقة وقتل من صادقه من المسلمين انتقاما وقتل زعيمهم (معين الدين) نفسه الذىمالىء التتر ظنا فى النجاة فكان جزاءه المصير الحق .

* * *

(١٠٠)

على طريق الرسالة الأولى

يقول الأستاذ عبد المنعم خلاف :

يرى ابن خلدون أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو اثر عظيم ، وان العربيستجيبون للزعامات الملهمة والتضحيات والمروءات ومن هنا صح أن أهل هذه المنطقة لا يقادون الى أية نهضة أو اصلاح فى مجال حياتهم الا فى ظل الدين الالهى الصحيح الذى يروض اخلاقهم ويعبـد قلوبهم ويطوع ضمائرهم ويكون أساليب تفكيرهم وكان اعظم الدفع لحركاتهم التاريخية والحضارية الكبرى على مدىالعصور وما تزال نظرية المؤرخ العربى الكبير عبد الرحمن بن خلدون مؤسس علم الاجتماع وفلسفته فى أن العـرب لا يقادون ولا يخضعـون الا بنبوة أو ولاية دينية أو استمداد منها نظرية صحيحة مائة فى المائة ، بعد أن صدقتها تجاربالتاريخ الطويل ونطق بادلتها الاستقرائية فاطق الزمان نقول : فاذا اضفنا الى هذا قول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم : ان الله يرسل لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها كان علينا أن نتطلع الى ان يكون القرن الخامس عشر قرن انتقال من اليقظة الى النهضة . يقول علال الفاسى : أن هذا الحديث يؤذن بأن الأمة الاسلامية تخضع للتطـور كغيرها من الأمم الاخر ، وينـذر بأنه لا تمر مائة عام الا وتكون فى حاجة الى بعث جديد ويقظة ثانية ، وان ما قرره عصر سابق من أساليب لا يمكن أن يتحكم فيما يريده العصر الموالى ، لأن التجديد لا يعنى دائما الترميم وان التغاير يقع بين جيل الأب وجيل الابن ، وبهذه الروح العصرية العظيمة استطاع اسلافنا ان يبنوا الحضارة الاسلامية التىكان من اخص ميزاتها الانسانية اتصالها بمختلف الحضارات وشتى المدنيات المشرقيـة والمغربية ، وهكذا نجد أن الفكر الاسلامى يمنع المسلمين من الانكماش على انفسهم والاستسلام لما فعلته عوامل الانحطاط فى مجتمعهم بل ويدفعهم الى الاتصـال بكل والتنقيب عن كل المعارف والنشاط الحكمة من كل الجهات والتطلع دائما الى كل جديد .

* * *

(١٠١)

سماحة الاسلام

حادثان متشابهان فى تاريخ الاسلام يحققان وصية الرسول صلى الله عليه وسلم : من ظلم معاهدا وكلفه فوق طاقته فانا خصمه يوم القيامة . أحدهمـــا ما فعله صلاح الدين الأيوبى يوم فتح بيت المقدس (وكان بها مائة الف نصرانى) اعطاهم أمانا لمدة أربعين يوما للجلاء عن القدس فجلا منها ٨٤ الفا احتوا بأهليهم من النصارى فى عكا وافتدى بنفسه بضعة آلاف وافتدى العادل الف رجل ورفض أن يفعل بهم كما فعلوا بالمسلمين قبل ٩٠ سنة .

وفى فتح القسطنطينية أعلن السلطان محمـــد الفاتح حمايته للمسيحيين وضمانه لحرية دينهم وعبادتهم واحتفل معهم على طريقتهم بنفس الابهة والفخامة ومثل ذلك فعل عمرو بن العـــاص فى مصر عندما أعلن الأمان لرئيس النصارى المختفى وسمح له بالعودة الى استئناف عمـــله .

أين هذا مما فعل الصليبيون عندما استولوا على القسطنطينية عام ١٢٠٤ هـ ودمروها وهتكوا أهلها وهم مسيحيون مثلهم .

واين هذا مما فعل النصارى فى الاندلس عنـــدما سقطت فى أيديهم وخدعوا المسلمين بأن أعطوهم عهدا باحترام ديانتهم وأموالهم وأعراضهم . ولم يلبثوا أن مالوا عليهم ميلة واحدة .

* * *

(٨٤)

ازال الاســلام حواجز الشــعوب

يقول الدكتور حسين مؤنس : ازال الاسلام فروق الأجناس (لتعارفوا) وامتدت دولة الاسلام من فرغانة الى غانة أو كاشغر الى اقليم سيكيانج اقصى الصين الى ساحل المحيط الأطلسى وقلب أفريقيا عند اقصى أوربا « الأندلس » واقصى شرقها (تركيا) .

عندما جاء الاسلام :

١ ــ هدم حائط الايرانيين الهائل فى سلسلة من الوقائع الضارية من كاظمة الى نهاوند وهى فتح الفتوح. وازال الحاجز الايرانى بينهم وبين عامة البشر .

٢ ــ هـــدم الحائط الذى كان يحـــول بين الأتراك والايرانيـــين وزازل كبرياء (زنبيل) واضرابه فانساح العـــرب والايرانيون فى بلاد الترك ودخل الترك الأرض الايرانية والعرب وجمعهم الاسلام فى أسرته الواسعة .

٣ ــ ازال العـــرب والايرانيون والأتراك الحواجز التى كانت أمم المغـــول تتستر من وراءهـــا وادخلوهم فى الاسلام .

٤ ــ اجتمع الأربعة بعد ذلك فهدموا سور الجنس والاستعلاء الذى كان أهل الصين قد اداروه على انفسهم ودخل (قتيبة) ورجاله مدينة كاشغر وضربوا خيامهم على ضفـــاف نهر (تاريم) وسط سلاسل من الجبال كأنها الرواسى الشامخات .

٥ ــ تهدمت الأسوار التى كان يعيش وراءها اهل العراق والشام ومصر .

٦ ــ دخل العرب معارك طاحنة مع البربر دامت سبعين سنة وصـــل فيها العـــرب الى ســـاحل المحيط الأطلسى وادخلوا أمم البربر جميعا فى أسرة العروبة والاســــــلام . .

٧ ــ اجتمع العرب والبربر وعبروا الى الأندلس

فادخلوا شعبها الأيبرى الأوربى فى اسرتهم واصبح مضيق جبل طارق مجرد ممر مائى داخل عالم الاسلام الشاسع بعد أن كان حاجزا بين قارتين وعالمين . وفعل المسلمون مثل ذلك بجبال (البرت) وهى البرانس الحاجزة بين اسبانيا وفرنسا .

وهكذا ازال الاسلام الحواجز بين الشعوب والبشر وحقق التعاون بين الشعوب والقبائل واصبحت جميعا فى أمة واحدة لاقامة صرح حضارى اسلامى واحد .

* * *

(١٠٣)

تأثير الاسلام على نهضـــــة أوربا

ان نهضة أوربا واكتشاف أمريكا وتطورها هو الاثر المبــاشر وغير المباشر للاســلام عندما اجتــاح الاسلام الدولة الرومانية وتهاوت تحت مطارقه كان طبيعيا أن يؤثر الاسلام على التطور فى أوربا فترى بيزنطة تتبنى التعــاليم الاسلامية وقامت فيها على حــركة تعرف فى التاريخ باسم الحركة اللا ايقونية والتى حاربت التماثيل والصور وابراز ما فى المسيحية من توحيــد الله فالايمان الكنسى بعــد أن كان يتحــدث عن الأب والابن والروح القدس يصف الجمع بأنهم اله واحد .

انبعثت النهضة الاوربية (١٦ ، ١٧) من حركة الاصلاح الدينى وقد قامت هذه الحركة على مبادىء اسلامية بحتة فحيث يقرر الاسلام أن لا عصمة لبشر الا أن يكون نبيا مرسلا فقد نادت حركة الاصلاح الدينى بهذا المبدأ لتحارب به ما يزعمه البابا لنفسه من عصمة ودعت حركة الأصلاح الدينى بما يدعو الله الاسلام من حرب على التماثيل والصور فلو دخلت الى اى كنيسة لوجدتها خلوا من تماثيل المسيح وصوره .

وقامت النهضة الاوربية على محاور ثلاث : ايطاليا وفرنسا والمانيا ولم يكن ذلك نتيجة الصدفة ولكن يتيح الحضارة الاسلامية هى مصدرها فى الأندلس مباشرة .

فحيث كانت القذارة تســود باريس حيث كانوا لا يعرفون الاستحمام كانت الحمامات العامة فى أسبانيا المجاورة فى الأندلس قائمة للعامة قبل الخاصة .

وحيث كانت الكنيسة هى التى تعلم فى فرنسا (ان اطفىء سراج عقلك واعتقد) كان ابن رشــد ملخص رسائل أرسطو وافلاطون وانشئت فى مــدريد طليعة مدرسة الترجمة من العربية الى اللاتينية فنقلت مؤلفات علماء المسلمين الى فرنسا وغيرها ، اما ايطاليا فكانت على صلة بجزيرة صقلية التى هى اليوم جزء من ايطاليا وقد كانت الحضارة الاسلامية مزدهرة بها .

وقد قال ذلك عن المــانيا التى كان امبراطورها فردريك الثالث الذى كان يجيد اللغة العربية ويستعين بعلماء المسلمين .

ان كان الغرب الأوربى قد بدأ يتدهور فلأن حجر الزاوية فى التعاليم الاسلامية وهى الايمان بالله واليوم الآخر قد غاب عن النهضة .

احمد حسين

* * *

الوحـــدة الإســـــلاميـــة

* الوحدة الاسلامية والقوميات .
* الجامعة الاسلامية .
* جامعة الشعوب الاسلامية .
* آن الأوان لقيام جامعة الدول الاسلامية .
* آفاق المســـــتقبل .
* الكتلة الاسلامية بين الديمقراطية والشيوعية .
* الاسلام قوة الغد العالمية .
* التضامن الاسلامى .
* معارضة الوحدة الاسلامية .
* بالاسلام وحده .

الوحدة الاسلامية

قال لوثروب ستولارد فى كتابه حاضر العالم الاسلامى : (١٩٢١) ان الشرق أجمع سيتنبه من رقدته وانه كما شهد القرن العشرين استقلال امريكا بأثرها سوف يشهد بقية القرن العشرين استقلال آسيا بعروتها وزرها ، وانه لا تمضى الثمانون السنة الباقية لتمام هذا القرن حتى يلى الاسلام بلاده ويبلغ من نعمة الاستقلال مراده ، فلا من وجه للامم الشرقية عن الاقتداء باليابان فى التماس المنعة ومضارعة الدول الغربية فى ارتياد العلم واقتباس الصبغة حتى اذا وقع النصل على النصل امتنع كل بدياره وامسك الجار عن هضم جاره فليحرص الشرقيون من كل فريق ان يكونوا أول قوة مانعة وأن يوحدوا كلمتهم فيجعلوها كلمة جامعة فان بقوتهم خلاص الغرب والشرق .

* * *

من تعاليم جمال الدين الأفغانى : الداعى الى الجامعة الاسلامية : « على العالم الاسلامى أن يتحد اتحادا دفاعيا عاما فتستمسك الأطراف وثيق العرى ليستطيع بذلك الزيادة عن كيانه ووقاية لنفسه من الفناء المقبل وللوصول الى هذه الغاية الكبرى فانما عليه اكتناه أسباب تقدم الغرب والوقوف على تفوقه وقدرته .

* * *

قال اللورد كرومر فى تقريره عن الجامعة الاسلامية عام ١٩٠٦ اذا قلنا ان الحركة الوطنية المصرية الحالية ليست الا حركة الجامعةالاسلامية لم يطابق قولنا الواقع من كل جهة ، ولكن لا ريب فى كون هذه الحركة تضع عنه عبئا شديداً .

المقصود من الجامعة الاسلامية بوجه الاجمال اجماع المسلمين فى العالم كله على تحدى قوات الدول المسيحية ومقاومتها ، فاذا نظر اليها من هذه الوجهة وجب على كل الأمم الأوربية التى لها مصالح سياسية فى الشرق أن تراقب هذه الحركة مراقبة دقيقة لانها يمكن أن تؤدى الى حوادث متفرقة فتضرم بنيران التعصب الدينى فى جهات مختلفة من العالم .

انى أن كنت لا أصدق ان الجامعة الاسلامية تتيح غير اضطرام نيران التعصب فى أمكنة متفرقة فذلك أولا لأنى لا اصدق أن المسلمين يتحدون معا ويتعاونون متى خرجت المسألة من القول الى الفعل ، وثانيا لانى اثق بقوة أوربا واقتدارها عند الاقتضاء على تلاقى هذه الحركة من الجهة المادية وأن تكن غير قادرة على ذلك من الجهة الروحية .

والجامعة الاسلامية عبارة عن معان اخرى غير معناها الاصلى ، فمنها أولا : فى مصر الخضوع للسلطان وترويج مقاصده وهذا المعنى يدل على دخول عنصرجديد فى حالة مصر السياسية .

ان زعماء الحركة الوطنية يقولون انهم لا يقصدون توثيق عرى الاتحاد بين تركيا ومصر ، انما يقصدون حفظ سيادة السلطان على مصر .

ثانيا : ان الجامعة الاسلامية تستلزم بالضرورة تهييج الاحقاد الجنسية والدينية الا فيما ندر ، فلا شك انكثيرين من انصارها ينصرونهاعن حرارة دينية وآخرين يودون أن يفرقوا بين القضايا السياسية والدينية ومن وبين الجنسية أيضا .

ثالثا : ان الجامعة الاسلامية تستلزم السعى فى أصلاح أمر الاسلام على المنهج الاسلامى وهذه اخرى تسعى فى القرن العشرين فى اعادة مبادىء وضعت منذ الف سنة لهيئة اجتماعية فى حالة الفطرة والسذاجة ..

يجب بذل اقصى العناية فى السهر على كل ميل طبيعى جائز الى الجامعة الوطنية لكيلا تحتذيه على غير انتباه من صاحبه : هذه الحركة هى حركة الجامعة الاسلامية .

* * *

قال القس نلسن : عن الجامعة الاسلامية فى السلطنة العثمانية (كتاب الغارة على العالم الاسلامى) ان حركة هذه الجامعة قد ضعفت بعد خلع السلطان عبد الحميد .

ولكن لا تزال فى الأهالى روح تضامن مع ملازمة الاسلام وهى سائدة بين مسلمى سوريا .

ان الألوف من المسلمين يتجهون فى كل سنة الى مكة ويشربون ماء زمزم وبالرغم من وجود الاتحاد الذى يجعل لفكرة الجامعة الاسلامية قوة حقيقية الى حد يستدعى اهتمام المبشرين والحكومات الاوربية وبالرغم من ذلك فانه يستحيل ان يكون من المسلمين عنصر حى حقيقى فى استطاعته ان يجمع شمل **السنيين والشيعة** ويضم الاتراك والفرس والهنود الى العرب ليكافحوا ويدافعوا يدا واحدة عن اتفاق وثقة متبادلة .

ان اجتماع المسلمين بجامعة اسلامية بكل المعنى الذى يدل عليه هذا اللفظ هو أمر وهمى لا اثر له غير توليد احلام تقلق رجال السياسة الذين يغلب عليهم الخوف ويعتريهم المزاج العصبى .

* * *

القومية اكبر عقبة :

ان اكبر عقبة امام وحدة اسلامية شاملة هى المفاهيم الوافدة التى اصبحت مسلمات ، وساعد على تعميق الفروق : الدعوة الى القوميات المحلية بكل ما تحمل من اعتزاز بالماضي وتمجيد الحضارات التى قاومت الاسلام والتى هزمها الاسلام سياسيا وعسكريا أن هناك محاولة لعزل الثقافات الفارسية والتركية والعربية عن مصدرها القرآنى واقامة ثقافات مرتبطة بما قبل الاسلام واعلاء مفاهيم العنصرية والتاريخ القديم وقد حاولت القوى الاجنبية اثارة الخلاف بين الفرس والعرب وبين الترك والفرس وبين الترك والعرب .

قمة خطة المؤامرة : ما قام به لورنس فى دعوة القوميات وكان من نتائجها معاهدة سايكس بيكو بالتقسيم ووعد بافور معا .

يقول مجيد خدورى المسيحى فى كتابه (الاتجاهات السياسية فى العالم العربى (: لقد كان رعايا السلطان المسيحيون أول من استجاب للدعوة القومية دون ربطها بالاسلام ثم نشروا هذه الأفكار المسيحية دون أن يدركوا ما وراءها فانفصلوا عن الدولة العثمانية وساعدوا الانجليز فى الحرب فتمت بذلك المرحلة الأولى من الخطة .

وكان موقف جاويش ورشيد رضا وشكيب ارسلان من الدولة العثمانية موقف مختلف وقد جرى تنشيط الاقليات فى خدمة الاستعمار وخدمة الصهيونية وخدمة الماركسية ، الاقباط فى مصر والموارنة فى لبنان والدروز والنصيرية فى الشام .

* * *

(٢)

دعاة القومية يتجاهلون الاسلام تجاهلا تاما رغم أن العرب لم يعرفوا اى شكل من اشكال الوحدة الا فى ظلال الاسلام ورغم أن الاسلام وحده هو الذى عرب سوريا والعراق ومصر والشمال الافريقى وهو الذى حمل العرب الى الشرق الأقصى واوربا وقلب افريقيا ودخل بهم موسكو ووصل على شاطىء البلطيق فى أعماق الاتحاد السوفيتى .

ان اثر الاسلام فى حركة الاحياء التى تتفاعل مع الشعوب الاسلامية لم يعد ينفع معها التعتيم الاعلامى ولا الدس الثقافى الذى حمل كيده لفترة طويلة اساطين التبشير والاستعمار والاستشراق واستطاعوا ان يصلوا الى عقول الكثيرين ممن تتلمذوا على أيديهم فى جامعاتهم وانديتهم .

ان هجمة دوائر الاستعمار والاستشراق نجحت فى تجميد حركة الوعى ولكن الأحداث التى يعيشها العالم اليوم اثبتت أن الاسلام اكبر من كل المؤامرات وان المسلمين رغم كل وسائل التعتيم والذل التى مورست لتحول بينهم وبين الاسلام لم تجد نفعا .

ان الخطيئة الكبرى التى ارتكبتها حركة القومية العربية انها قسمت الشعب الى شرفاء وخونة فاعتبرت كل الذين لاذوا بدينهم ورفضوا الانسلاخ عن اصولهم فى قائمة الخونة ، اما الهتافين والانتهازيين من الذين ركبوا موجة التقدمية فهم الاشراف

(حسن التل)

(٣)

ان فكرة القوميات والاقليميات فكرة طرحهـــا الاستعمار الغربى فى أوائل هذا القرن لتمزيق الامـة الاسلامية وتصفيتها وقد نجح فى ذلك الى حد كبير ، ولقد وضع النفوذ الأجنبى ثلاث خطط :

أولا : تمزيق الوحدة الاسلامية الى أمم .

ثانيا : تمزيق العرب الى اقليميات واوطان .

ثالثا : تمزيق كل وطن الى عقائد ونحل .

وما تزال القيم الاسلامية تحـول دون ذوبان الشخصية الوطنية ، هـذه القيم التى لم تستطع القيم الأوربية محوها أو الحلول محلها فقد نقل الاسلام الناس من اختلاف الأجناس الى اتحاد المشاعر ومن العنصرية الى الانسانية وتحاول دعوات الغزو الفكرى اعادته الى العنصرية والأجناس لتدمر وحدته القائمة على وحدة الفكر أساسا وفى الاسلام تفوق رابطة الفكر والعقيدة رابطـة الدم والعنصر ، ولقد ابرزت هذه الوحـدة السلاجقة والايوبيين والمرابطين والموحـدين والمماليك ومسلمون كثير اشتركوا فى التراث الفكرى ودافعوا عن (لا اله الا الله) .

* * *

(٤)

لقد ركز لاستعمار والتغريب على مفهوم القوميات والاقليميات فى البلاد الاسلامية من أجل اسقاط الجامعة الاسلامية واقامة القومية اليهودية ، وفى نفس الوقت جرت الدعوة الى انشاء دولة عالمية ، للقضـاء على الذاتية الاسلامية الخاصة التى شكلها الاسلام ومحاولة صهر وحدة المسلمين الفكرية فى أتون الأممية العالمية ، وقد حرص اليهود على القومية التى حطمت وحدة العالم المسيحى الجامعـة تحت لواء الكنيسة ، لتتم التجربة بالنسبة لعالم الاسلام ، وترمى فسخ فكرة الأوطان ومبدأ القوميات الى تمكين اسرائيل من البقاء وتسمى القومية فى حقيقتها : (تأليه الدولة) .

يقول (توينبى) : اكره فى القومية التعصب الذى يضحى بالكثير من القيم الانسانية ويثير الحروب والفتن، بين اليهود والعرب ـ ان القومية العربية كحركةسياسية من ابتكار صحفى انجليزى كان مراسلا للتيمس فىالنمسا منذ أربعين سنة (لطفى السيد ـ ١٩٣٩) .

وقد اقترنت الروح القوميـة فى الغرب بفكرة التفوق العنصرى كما اعتمدت فى كثير من الأحيان على تزييف التاريخ من غير قصد أو بقصد فجعلت كل أمـة تعتقد انها ارقى أمة واسمى عنصرا واخصب ثقافة من غـيرها من الأمم كما جعلت كل أمة تفسر التاريخ من زاويتها وحدها .

والاسلام لا يدعو الى التخلى عن القوميات وانما يشجب العنصرية القائمة على الدم والانساب ومنـع التفاضل بينهما ، والاسلام هو الذى اخرج العرب من ديارهم الى العالم فالاسلام سبب عظمة العرب الدنيوية والعرب هم الذين نشروا الاسلام فى بقاع الارض .

والاسلام هو الدين الوحيد الذى ملأ نفوس معتنقيه فخرا واعجابا وهم ينظرون الى لغتهم بوصفها اللغة التى اختارها الله تبارك وتعالى لاظهار دينه واللغـة التى يبغيها كل من أراد ان يتخذ الاسلام دينا .

وللاسلام على العرب فضل توحيدهم واطلاقهم فى معارج الحياة الانسانية . ان العرب توحدوا بالاسلام وان الاسلام جعل منهم قوة عالمية حاملة لواء الحضارة .

* * *

(١٠٥)

الجامعة الاسلامية

قال القس نلسن : عن الجامعة الاسلامية فى السلطنة العثمانية :

ان حركة هذه الجامعة قد ضعفت جدا بعد خلع السلطان عبد الحميد ولكن لا تزال فى الأهالى روح تضامن مع ملازمة للاسلام وهى سائدة بين مسلمى سوريا ، أن الألوف من المسلمين يتجهون فى كل سنة الى مكة ويشربون ماء زمزم .

وبالرغم من وجود الاتحاد الذى يجعل لفكرة الجامعة الاسلامية قوة حقيقية ، الى حد يستدعى اهتمام المبشرين والحكومات الأوربية بالرغم من ذلك فانه يستحيل ان يكون من المسلمين عنصر حى حقيقى فى استطاعته أن يجمع شمل السنيين والشيعة معا ويضم الاتراك والفرس والهنود الى العرب ليكافحوا ويدافعوا يدا واحدة عن اتفاق وثقة متبادلة .

ان اجتماع المسلمين بجامعة اسلامية بكل المعنى ، الذى يدل عليه هذا اللفظ هو أمر وهمى لا نتيجة له غير توليد احلام تقلق رجال السياسة الذين يغلب عليهم الخوف ويعتريهم المزاج العصبى .

***

(١٠٦)

جامعة الشعوب الاسلامية

فى مؤتمر اسلامى عقد فى كراتشى (باكستان) (شعبان ١٣٧١ — مايو ١٩٥٢) تم اختيار السيد خليق الزمان رئيسا لمنظمة الشعوب الاسلامية أصدر المؤتمر بيانا جاء فيه : نحن مندوبى الشعوب الأسلامية قد وقفنا على ماضى المسلمين أيام وحدتهم وما قدموه للانسانية من عدل واحسان وسلام اعترف به المخالفون لرسالتهم قبل الموالين لها نظرا لما اسناه فى هذا الزمان من الكوارث والمصائب التى نزلت بشعوب المسلمين اثر فرقتهم وانقسامهم مما افضى الى سيطرة القوى الاستعمارية الماحقة التى تدعمها بين حين وآخر سلطات استبدادية أطاحت بحقوق هذه الشعوب جميعها بما جرته عليها من رق سياسى واستعباد اقتصادى وفوضى اجتماعية من اجل هذا كله قررنا نحن ممثلى الشعوب الاسلامية فى الوقت الذى يتطاحن فيه القوى الاستعمارية المدمرة وترصد لذلك قوى الشر ووسائل الدمار وتنظم ارادتها فى كتلات اطلقت عليها أسماء متعددة ومتباينة أن تحشد قوى الخير فى العالم الاسلامى وتهيىء سائر الوسائل الممكنة فى شعوبه ودوله فى مجموعة اسلامية للعدل والاحسان للخلاص من سائر القيود التى تعوق تقدمهم فى سائر الميادين وذلك بتأسيس هيئة عالمية سميناها (منظمة الشعوب الاسلامية) وتنحصر أغراضها فيما يلى :

١ — تمكين العقيدة الأسلامية فى نفوس المسلمين كافة وتنميتها الفاضلة واقامة جميع مرافق حياتهم على هدى الاسلام الأسمح .

٢ — رفع المستوى الأدبى والمادى للافراد فى البلاد الاسلامية وكفالة حقوقهم الاجتماعية والسياسية والعمل على اقامة وتوطيد العدالة الاقتصادية بين الشعوب الاسلامية طبقا لمبادىء الاسلام ونشر الثقافة الصحيحة بينهم وحمايتهم من عوامل الانحلال التى حال دون تقدمهم حتى تتبوأ البلاد الاسلامية مكانها اللائق بين الأمم .

رابعا : التوسع فى تعليم اللغات المختلفة فى البلاد الاسلامية لتيسير سبل التفاهم بينها والحض على تدريس لغة القرآن لشعوبها لأنها لغة دينهم ويتحتم على كل مسلم أن يلم بها .

خامسا : عملا بقوله تعالى : « وان هذه أمتكم امة

واحدة وأنا ربكم فاعبدون» تسعى المنظمة لتقوية الروابط الاقتصادية والأدبية بين البلاد الاسلامية وبث عوامل التفاهم والتحاب بين أفراد المسلمين وجماعاتهم .

وقال السيد خليق الزمان الداعى الى المؤتمر :

ان الاسلام فى شكله الحاضر لم يعد تلك الصورة الرائعة التى عرفت عنه كدين عالمى ، بل مع الأسف قد شوهت تلك الصورة ، نتيجة خطة مرسومة وأسلوب الوضعية التى وجدت لها سبيلا الى حياته خلال تلك الفترات الماضية من دس الدساسين ومكر المخاتلين واعتداء المعتدين حتى أصبح المسلمون فى وضع نسوا فيه أو تجاهلوا مغزى الآية الكريمة :

« قل أن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » ..

نسوا جوهرها كما لم يعودوا يبالون بالأوامر والنواهى الالهية على وجهها الصحيح ، الأمر الذى لايستغرب معه ما وصلت اله الحالة من تدهور وتفكك وتشعب وخصام وانشقاق ، وهم بين عاملين : عامل الاهواء الشخصية والمطامع الذاتية وعامل الرضوخ لحياة تغذى كل ما أسلفناه وهى تلعب لعبها من وراء ستار .

أن الظاهرة العظمى التى تميز الاسلام عن غيره من الأديان هى سمو روحه التى توخت ايجاد حياة اجتماعية وسياسية للناس ومزجها بروحانيته التى لا تبارى فالاسلام وحده هو الذى يستطيع انقاذ الأمة الجماعة وهو الذى يمقت الفردية والعصبية الجنسية ويمقت تضحية المجموع فى سبيل الفرد وهو الذى وحد بين صفوف المسلمين وقيد اتباعه بتعاليم عالية القدر ضمن فيها لمعتنقيه السيادة والرفعة والسؤدد والمكان اللائق فى المجتمع . رسالة الاسلام هى التى توخت خدمة المجتمع وبعثه بعثا حيا خالدا فى المساواة التامة واتاحة الفرصة للمجتمع واقامة العدل والقسطاط المستقيم والاعتراف بحق الفرد فى المجتمع والهيمنة على ارادته وكبح جماح مطامعه وأهوائه فى سبيل المجموع.

***

(١٠٧)

آن الأوان لقيام جامعة الدول الاسلامية

عقب الحرب العالمية الأولى طغت موجة القومية واستعرت نغمة الاقليمية فارتفعت الأصوات فى كل قطر تنادى بقوميتها وتعتز بجنسيتها . وكانت هذه النغمات والنعرات هى أشد وطأة وأثقل قيدا من الاستعمار العسكرى . وفى وسط هذه الغيوم من الضلال ، ارتفع صوت الكتيبة المؤمنة والجماعة المسلمة ، أجل ارتفع صوت الأخوان المسلمين مناديا بأن الاسلام لا يعترف بهذه التقسيمات السياسية التى فرضها المستعمرون علينا ولا يقف أمام هذه الحدود الجغرافية بل انه يتخطاها ليوحد بين أتباعه ويجمع بين ابنائه فاذا بهم أخوة متحابون ، وبنيان مرصوص يشد بعضه بعضا أجل أن الاسلام دين وجنسية فكل أرض مسلمة فهى للمسلم وطن وكل شبر أرض فيه نفس يردد (لا اله الا الله محمد رسول الله) هو قطعة من الوطن الاسلامى الأكبر وجزء عزيز من أرض الاسلام وديار المسلمين .

واذا كانت الجامعة العربية قد قامت على أساس اللغة والجوار فان هذه المجموعة التى تبلغ نحو ١٠٠ مليون تربطها بالبلاد الاسلامية التى يبلغ تعداد اهلها فوق (٤٠٠ مليون) نسمة رابطة الاخوة الاسلامية والرسالة المحمدية ، هذه الكتلة الاسلامية التى تمتد من مراكش عند المحيط الاطلنطى الى الباكستان واندونيسيا فى الشرق الأقصى ، لها من التماسك والانسجام بل والاندماج ما ليس لأى كتلة أخرى فى العالم وما بالك بكتلة تضم أكثر من ٥٠٠ مليون (الآن اكثر من الف مليون مسلم) يعبدون ربا واحدا ويتجهون خمس مرات فى كل يوم نحو قبلة واحدة ، ويؤمنون بقيادة وزعامة رجل واحد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكمون فيما بينهم دستورا واحدا وقانونا واحدا هو القرآن الكريم .

هذه الرقعة من الأرض ، هى كبد العالم هى أخصب الأرض انتاجا وأعدلها هواء وأوفرها خيرات واكثرها خاماتومعادن ، وفيها مفاتيح البحار وفى أرضها أهم المواقع الاستراتيجية وأخطر المراكز الحركية وهى

تكون خيطا متصلا بل بناء متسقا وصفا موحدا لا ثغرة فيه ولا ثلمة بين أجزائه هذه الكتلة التى وحـدت بين أجزائها الآلام والأمال بأى حق يغفلون عنها ويتجاهلون أثرها وخطرها .

لئن غفل أهلها حينا من الدهر فقد استيقظوا .

لقد أصبح قيام جامعة الدول الاسلامية رغبـة تنبعث من أعماق كل قطر عربى واسلامى وحاجة يشعر بها وترنو اليها ابصار كل عربى ومسلم ، وقد آن الأوان لتحقيقها ، والاسراع فى ابرازها الى عالم الوجود ، فان الحـوادث تمر سراعا ورائحة البارود تشم فى الأنوف وأزيز الطائرات ودوى القنابل وضجيج الدبابات يطن فى الاذان ولا عاصم من الحرب القادمة الا الوحدة ولا منفذ للمسلمين وبلادهم بغير الاتحـاد وقيام هـذه الكتلة الاسلامية .

(١٩٤٦) **صالح عشماوى**

* * *

(١٠٩)

آفاق المستقبل

عرفت الأمة الاسلامية أوج ازدهارها سياسـيا واقتصاديا وحضاريا وثقافيا حين كانت ملتزمة بالاسلام منهجا وتطبيقا . وبدا التقهقر مرتبطا بالتراجع عن هذا هذا المنهج ، هذه النتائج يلتقى فيها علم المستقبل مع تنبوءات الاسلام الانذارية وخاصة أقوال الرسول عليه السلام والسلف الصالح كقوله صلى الله عليه وسلم : « بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا » .

وكما أن علم المستقبل يترك بعض الأمل فكذلك ما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم كقوله : لاتزال طائفة من أمتى منصورة لايضرها من خذلها ولا من خالفها حتى يأتى أمر الله — هذا الأمل يبعث على التفاؤل . وبالمزيد من البحث تتأكد هـذه العناصر وترجح كفة الأمل :

أ — الايمان بالاسلام على صعيد الجماهير .

ب — اضطراب النظريات المعاصرة وبحث الانسان المستمر عن وسيلة للخلاص .

ج — تميز الاسلام بخصوصيات يجعـله دائم الصعود وتجعله صالحا لكل زمان ومكان .

د — اتسـاع الطاقات الاسـلامية الطبيعية الثروات البشرية) .

هـ — الوعى الجديد لحقيقة واقع المسلمين : اى الوعى بالتخلف وبالبداية للخروج من الوهم والظن الى الحقيقة والواقع .

أما مظاهر التخلف فهى :

١ — الأراضى الاسـلامية المحتلة وفى مقدمتها القدس .

٢ — تمزيق صفوف المسلمين وفى الطليعة قادتهم .

٣ — اضطهاد الاقليات الاسلامية ولا منقذ .

٤ — التبعيـة الاقتصادية للشرق والغـرب فالمسلمون مجرد مستهلكين وليسوا منتجين .

٥ — استلاب فكرى عند اغلبية المسـلمين مع انتشار الأمية والجهل عند عامتهم .

ومن عوامل التخلف :

١ — تحرك أعداء المسلمين وخصومه من مختلف المعسكرات .

٢ — ضعف موقف المسلمين ومواقفهم .

٣ — الغزو الواقع عليهم عسكريا واقتصـاديا وفكريا وحضاريا .

٤ — تخلي المسلمين عن أساليب البحث العلمى التى انطلق منها اسلافهم .

٥ — تخليهم عن المنهج الاسلامى وانحرافهم عن حقيقة الاسلام وانتشار الشعوذة والتزييف فى أوساطهم .

ان العلاج يكمن فى : العودة الى أصول الاسلام وينابيعه الصافية كما جاء فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها .. والمقصود بالدرجة الأولى العمل بالكتاب والسنة لأن الاسلام عقيدة ومنهج وتطبيق .

والحل والعلاج لا يأتى دفعة واحدة بل هو حسب رؤيته على مرحلتين :

١ — مرحلة قريبة ومؤقتة للتهيىء وهى القيام بالدراسات التحليلية واستخلاص النتائج ووضع المنهج الاسلامى المتكامل يراعى فيه الأخذ بروح الاسلام وبأسباب العلم الحديث وطرائقه مع مراعاة فتح باب الاجتهاد .

٢ — مرحلة بعيدة المدى لتنفيذ هذا المنهج بدءا من العلم الذى هو حجر الأساس .

وهذا المنهج يقتضى اعلان الدولة الاسلامية دار حرب وجهاد فى واجهتين :

١ — على العدو المحتل للأراضى الاسلامية .

٢ — على التخلف فى مختلف اشكاله ومظاهره .

والمسئولية تقع على :

١ — الحكام المسلمين فهم وحدهم القادرون على اتخاذ القرارات وتنفيذها .

٢ — العلماء الحقيقيون الذين حملهم الاسلام مسئولية لا تقل عن مسئولية الحكام .

الدكتور عباس الجرارى

* * *

(٢)

ان ما يعرف لقضايا العالم الاسلامى ليس الا قضية واحدة عند التحليل :

هذه القضية هى مسألة الوحدة الاسلامية ، هل هذه الوحدة سياسية أم اقتصادية أم ثقافية ، الحقيقة أن الوحدة التى أعنيها يجب أن تأخذجميع هذه المظاهر وسواها ، لأنها بذلك تكون وحدة حقيقية ، أما حين تقف عند حد من تلك الحدود أو تتزين بواحد من تلك الأزياء فانها حينئذ تكون وحدة شكلية اى بناء بغير أساس .

فما هى الوحدة الحقيقية :

الوحدة الحقيقية للعالم الاسلامى هى الوحدة التى تقررها العقيدة ، الى انها عقيدة والتزام وسلوك، أما كونها عقيدة فتفرض علينا أن نعتقد بأن المسلمين أمة واحدة كما خاطبها القرآن .

« كنتم خير امة اخرجت للناس » وكما كان القرآن دائما يخاطبها كأمة من المؤمنين ، اى أمة دائرة حول عقيدتها تحارب أو تسالم أو تجاهد او تتحرك الى كل سبيل بوحى هذه العقيدة لا بوحى المنفعة والمصلحة الضيقة والأهواء السياسية . أو بالمفهوم العلمانى للسياسة . فالمسلمون اذا أمة لا تمايز بين أجناس المؤمنين وشعوبهم وقوميتهم وجهاتهم .

واما كونها التزاما فمعناه أن تنشأ من العقيدة ومن الشعور الملح عاطفة تمحى امامها كل العواطف المناقضة والمحايدة . فالمسلمون اليوم هم كما كانوا بالأمس القريب والبعيد ، باستثناء فترات معروفة ، يعلمون أنهم أمة واحدة ، ولكنهم لا يملكون الاحساس الوجدانى بذلك ، فهم لم يكونوا يتصرفون طبقا لما تفرضه العقيدة من تبعات ، بل كانوا وما يزالون ، وفى المستوى السياسى على الخصوص ، يتصرفون وكأنهم وحدات سياسية يستقل بعضها عن البعض ، ويعمل بعضها

بوحى المصلحة السياسية (الدنيوية) ولو ادى الأمر الى الاعتداء على مصالح البعض الآخـــر ، وكأنهم مجموعة من الأمم والقوميات ، تباعد بين المسلمين وغير المسلمين من أمم الدنيا . وفى مثل هذه الحال يصح أن نقول : ان الوحدة الاسلامية كانت مسألة من مسائل الاعتقاد المعطلة مثل سواها من المسائل الاعتقـــادية الأخرى ، التى لا أثر لها فى ســـلوك الناس وحياتهم العملية . ان الالتزام بمقتضيات العقيدة تجاه وحـــدة الجماعة الاسلاميةمعناه تجاوز المفاهيم الوطنية والقومية الاقليمية والعرقية فى العالم الاسلامى . فالاســـلام لا يعرف الا مجتمعا يقوم على العقيدة ، ويتحرك بوحى العقيـــدة ، ويقيم حدوده الجغرافيـــة والسياسية على أساس العقيدة وكذلك ، وحيث يوجد مجتمع مسلم توجد حقوق وواجبات على المسلمين جميعا تجاه ذلك المجتمع .

وأما كونها سلوكا فيعنى انعكاس العقيدة والالتزام بها على الحيـــاة العملية ، فى المستوى الســـياسى والاجتماعى والاقتصادى والتربوى والحضارى بوجـــه عام . بالنسبة لسائر الجماعات الاسلامية ، ولا سيما الجماعات ذات الكيان السياسى ، أو بعبارة اخـــرى بالنسبة لسائر الدول الاسلامية .

ان الوحدة بهذا المفهوم هى خلق مجتمع العقيدة ، وتحقيقها بهذا المفهوم هو انجاز ثورى ، لأن أوضاعنا الاسلامية القائمة كلها مناقضة العقيدة والشعور بهـــا والالتزام بتبعاتها . هى انجاز يقينى لأن دون تحقيقها خرط القتاد كما يقال ، فأمام تحقيق الوحدة الاسلامية اليوم معوقات وحواجز وصعوبات لايتغلبعليها الا جهاد عظيم تنهض به أجيال متعاقبة .

بعد هذا يتسائل الدكتور الكتانى :

هل الوحدة الاسلامية غاية أم وسيلة ؟ فأجاب :

اما أنها غاية فيمكن أن تكونكذلك من وجهة النظر السياسية ، اذ يمكن أن تصبح شعارا يحرك المجتمع الاسلامى العالمى ، كما هو الشأن اليوم . لكن المهم ان نعرف كيف ننظر الي الوحدة الاسلامية على أنها وسيلة وكيف ننظر اليها مرة اخرى على أنها غاية ؟

يجب ننظر اليها على انها غاية ووسيلة فى نفس الوقت ، أى كهدف مرحلى نسعى لتحقيقه فى المستويات الاقتصادية والثقافية ، وكوسيلة لها طاقتها فى تحقيق أهداف أعلى وأبعد . والواقع أن الوحدة الاسلامية هى غاية ووسيلة معا ، فكل غاية هى وسيلة بعد أن تتحقق جدليةصاحبها الى ما وراءها، وكل وسيلة هى غايةمرحلية هذه هى جدلية (حوار) الحياة نفسها . والتاريخ خير شاهد على ذلك . فقد كانت الوحدة الاسلامية فى تاريخ الاسلام ، وفى فجر هذا التاريخ بالخصـــوص ، كانت عنصرا حركيا وغانيا فى نفس الوقت ، بل ان هذا التاريخ ينتصبأمامنا معلما يعلمنا المنهج الذىيتبعه الى استعادة وحدتنا .

ان قراءة هذا التاريخ تعلمنا ان انهيـــار الدولة الاسلامية الكبرى قد اتبع مسارا انحداريا بلغ نهايته فى نقطة بداية التجزؤ ، حين بدأت حركة الانفصـــال السياسى عن الخلافة المركزية ، وحين تحول كل جزء منفصل الى خصم يناصب الأجزاء الأخرى العـــداء . فأصبح كل جزء من أجزاء الأمة الواحدة حربا على الآخر وعندئذ انفصل الدينى عن الدنيوى فى حركة التـــاريخ الاسلامى ، وأخذت العناصر الوحدوية تتلاشى عنصرا عنصر ، وهذا ما نعيشه حتى اليوم .

بدأ التجزؤ سياسيا فى صـــورة نشوء مذهبية سياسية (الخـــوارج ، الشـــيعة) ثم استمر التجزؤ اعتقاديا فى صورة نشـــوء مذهبية كلامية (المعتزلة ، السنة) وفى نفس الفترة كانت المذاهب الفقهية قـــد استقرت أسسها ، كل ذلك مهد من حيث علم المسلمون أو لم يعلموا الى تصدع البنيان العظيم الذى شـــاده الاسلام فى ضوء الوحدة التى عمقها القرآن فى نفوس ابنائها حين خاطبهم بقوله : « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . لقد بدأت العنصرية القومية تشتعل من جديد وتريد أن تستعيد تاريخها الجاهلى ، فبدأت الدويلات الاسلامية تخوض حربا عوانا فيما بينها ودخل تاريخنا الاسلامى فى العتمة ، وتحرك الغـــزو الصليبى فى اتجاهين : اتجاه خارجى لتطويق العـــالم الاسلامى ، وداخلى لتقويض الأفكار البناءة فى هـــذا العالم . وقد اتجه الغزو الصليبى أولا نحو بيت المقدس احدى قلاع المقدسات الاسلامية . ومن هناك ظـــل الوجود الصليبى يتحرك الى أن جاء عصر التطويق فى العصور الحديثة ، وسقطت الدول الاسلامية تباعا فى يد الغرب ، والعبرة هنا ان الأمة الاسلامية لم تؤخذ كلا ، وانما أخذت أجزاء متفرقة وظلت دول الغرب الغـــازية ترقب فى حذر عناصر الوحدة فى هذا العالم الاسلامى المتمزق ، بل ظلت ترقب حركاته ونبضات افـــكاره ، وكلما أحست وجود فكرة قوية مؤمنة سارعت اما الى

وادها ، واما الى غمرها وسط ضوضاء أيديولوجية تشغل الناس عنها ، ولنا أمثلة كثيرة تشهد بهذه الحقيقة .

ذلك ما نستخلصه من الماضى القريب والبعيد ، أما ما نستخلصه من الحاضر فهو أن المجتمع الاسلامى برغم ما عرفه من انبعاث ، ثم من نهضة سياسية واجتماعية فقد ظل فى مستواه القديم ، فلم يخرج من التبعية والضعف السياسى والفوضى الفكرية ، برغم كونه يكاد يطوق الكرة الارضية جغرافيا ، ويملك من مصادر الطاقة ما يملك ، ويقترب تعداده من المليار ، وبرغم كون بعض دوله الكبرى كانت قد تحولت الى دول عامانية ، وأخذت بالنظم الغربية ، وتجاوزت الأعتبار الدينى الذى اعتقدت انه مصدر تخلفها ، فانها لم تلحق برغم ذلك بركب الدول الكبرى ولا هى تستطيع أن تلتحق بها . ماذا استفادت الدول الاسلامية من هذا الانبعاث ، أو من هذه النهضة ؟ قد يختلف فى تقويم هذه الفائدة ، او فى تقدير العناصر الايجابية والسلبية فى نهضة العالم الاسلامى ، ولكن المؤكد أن هذا العالم ما يزال بعيدا عن تقرير مصيره ، واستكمال سياسته ، واسترجاع قوته، وما ذلك الا لكونه يفتقد اكبر عناصر قوته ، وهو الوحدة .

لقد عقد أول مؤتمر قمة العالم الأسلامى سنة ١٩٦٩ بالرباط عقب حادثة احراق المسجد الأقصى . ومن يومها سرى فى هذا العالم توتر مستمر وشعور ملح بضرورة تحقيق الوحدة الاسلامية فى مواجهة التحديات الكبرى ، وفى مقدمتها احتلال اسرائيل للاراضى العربية والقدس الاسلامية . وهذا ما يفتح أمام المسلمين أفاق المستقبل على أساس انتهاج منهج جديد لتحقيق الوحدة . وتحرير القدس وانجاز المطالب الأخرى .. لكنى أحب أن اكتفى هنا بالاشارة الى العناصر الأساسية لقيام وحدة اسلامية واحصرها مبدئيا فى ثلاثة :

الأولى : يفرض على المسلمين التفكير الجدى فى تحقيق الوحدة ابتداء من التقريب بين المذاهب الكلامية والفقهية والسياسية ، وهذا عمل العلماء من أئمة تلك المذاهب وعمل الجامعات الاسلامية فى ندواتها وبحوثها ، ومن عمل رجال التشريع والفقه الاسلامى . وعمل المناهج التربوية . وهو أخيرا انجاز يتوقف على ارادة الحاكمين حين يستشعرون المسئولية المصيرية التى هم مطوقون بها أمام الله ، وأمام شعوبهم وأمام تاريخ امتهم .

ان تعدد الأنظمة السياسية للبلاد الاسلامية شىء ممكن وجائز ، ولكن هناك حد أدنى من الاتفاق هو الاطار الاسلامى الذى ينبغى أن يحيط بها جميعا ، فلا بد أن يكون التشريع الاسلامى هو المعمول به . وأن يكون تعدد المذاهب الفقهية عنصر تكامل وائتلاف لا عنصر تناقض واختلاف ، ولا بد أن يخرج الفقه الاسلامى قبل ذلك من جموده ليواكب حركة الحياة العصرية ، وأن يشعر المسلمون جميعا هنا وهناك بأنهم يحتكمون الى شريعتهم ، ويتعاملون مع القوانين الوضعية الأخرى فى ظل هذه الشريعة وفى مراقبتها المستمرة ، وحينئذ يشعرون بما يشدهم الى هذه الشريعة من أواصر . وما يشدهم بعضهم بعضا من التزامات واحدة .

الثانى: يفرض على المسلمين قاطبة اعتبار اللغة العربية اللغة الأولى بعد اللغة القومية ، بالنسبة لغير الشعوب العربية ، وذلك يستعد المسلمون عبر مراحل محددة للتفاهم بلغة واحدة هى لغة القرآن ولغة التراث المشترك ، والتاريخ العظيم الذى تشترك فيه جميع الأمم الاسلامية . ولا يجد فى هذه الدعوة حرجا الا الذين فى قلوبهم مرض من هذه الوحدة المنشودة ، لأنا نعلم انه ما من أمة اسلامية اليوم الا وتوفر لأبنائها مستويات التعليم كلها ، بلغتين فأكثر حسب مستويات التعليم ومناهجه ، فان دخلت اللغة العربية ضمن هذا العدد وفى جميع المستويات ، وتوحدت المناهج نسبيا ، وروعى فيها الحد الأدنى المشترك من اللغة عاد ذلك بأعظم الفائدة على المسلمين جميعا . واذا كنا نعلم أن تلاوة القرآن لا تكون الا بلغته العربية وأن ترجمته لا تعتبر قرآنا فما المانع من أن يؤهل كل مسلم فى البلاد الاسلامية ليتصل بكتاب الله اتصالا مباشرا ، فيقف على أسراره واعجازه ؟

الثالث : يفرض على المسلمين وحدة المناهج التعليمية والتربوية الى جانب المناهج الوطنية ، وليس معنى ذلك اننا ندعو الى منهجين فى المؤسسة الواحدة وانما معناه أن هناك قاعدة مشتركة لتكوين المسلم فى المدرسة والجامعة ، تصله بتراثه وعقيدته وحضارته أولا ، وتغرس فيه أصول الشخصية الاسلامية بروحها ومقوماتها فيكون البحث العلمى والتكوين الثقافى منصبا على البيئات الاسلامية أولا ثم يستوعب بعد ذلك العناصر الأخرى المطلوبة فى هذا التكوين . وبذلك يعيش المسلم المثقف ضمن ثلاث دوائر ذات محور واحد ، دائرة الاسلام بتاريخه وتراثه وبيئاته ، ودائرة المجتمع القومى الاقليمى الذى يعتبر بيئة أولى للمسلم ، ودائرة الحضارة الانسانية العالمية المعاصرة .

فاذا سعت شعوب العالم الاسلامى الى تحقيق هذه الأهداف التشريعية واللغوية والتربوية فانها بذلك تتجه فى طريق الوحدة الاقتصادية والسياسية المنشودة. وهذه أهداف تتطلب عمل أجيال متلاحقة وتلك هى آفاق العمل المستقبلى الذى نرجوه للشعوب الاسـلامية . وأمام تحقيقه سنخوض صراعا لا يعلم الا الله مداه ، لان تحقيق الوحدة الاسلامية لا يتم الابتحقيق الاطار الروحى والفكرى والتربوى لها ، وهذا ما تسعى لاحباطه القوى الكبرى التى تتحدانا فى هـذا العالم المعاصر ، وهى الصهيونية والشيوعية والامبريالية الغربية .

عبد الرحيم بن سلامة

* * *

(١٠٩)

الكتلة الاسـلامية بين الديمقراطية الغربية والشيوعية الشرقية (يناير ١٩٥١)

قال المرحوم المهندس توفيق عبد القادر :

لا تجعلون فى قلوبكم عقيدة سواها وهى احياء الامبراطورية الاسلامية الخامسة . نشط رجال الغرب — ذاقوا الأمرين من لمسلمين ، فلم يئسوا الثار لأسلافهم ولما رأوا التهاون بين المسلمين باديا بثوا سمومهم وأطلقوا دعاياتهم . وأوقعوا الفتنة والعداوة البغضاء بين المسلمين اذاعوا من القوميات البغيضة وبذلك تم لهم تقويض ذلك البناء الشامخ الذى ورثناه عن اسلافنا الغزاة الفاتحين . لقد أخذنا عن الغرب العزة القومية ونجح فى تشتيتنا والنيل منا . هل حصلت كل أمة على انفراد على طالبها وتحققت الوعـود التى من اجلها شرعت سيوفها واغمدتها فى أعناق شعوب اسلامية أخرى بعد أن كنا امبراطورية اسلامية تعمل لتهديدهاكل حساب ، أصبحنا قطيعا ممزقا من الأمم .

ان العلاج لا يكون الا على اساس اعتبار دول الشرق الأوسط مجموعة واحدة تدور حول فلك واحـد وتهتدى بهدى سياسة واحدة اقتصاديا وصناعيا وتجاريا وحربيا وسياسيا ، ومن ثم يمكن أن نبدأ ان نقف على قدم المساواة مع كلتا الكتلتين .

* * *

* ظهر أن الكتب الاسلامية القديمة التى كانت فى سمرقند وبخارى وغيرها من المدن صاحبة المجد العريق فى تاريخ الفلسفة والعلوم الاسلامية قد اختفت من المكاتب فجأة وظهرت مكانها كتب أخرى من الشيوعية ، وفى ١٩٤٩ نشرت اكاديمية العلوم فى موسكو ٤٣ كتابا عن الدراسات الشرقية فيها كتب هامة عن العرب والأدب العـربى الحديث .

وفى فبراير ١٩٤٩ أعلن رئيس حـرب الرابطـة الاسلامية بباكستان : السيد شاودرى أنه ينتظر اليوم الذى تصبح فيه الدول الاسلامية على استعداد لتشكيل هيئة سياسية عالمية ليعرض على العصبية فكرة اقامة دولة اسلامية عالميـة .

وقال مراسل رويتر : ان وفود الدول الشرقية التى اشتركت فى المؤتمر الاسلامى اظهرت اهتماما كبيرا بفكرة اقامـة دولة قرآنيـة تحتضن الدول الاسلامية المستقبلة . .

ويرى شودرى : ان الباكستان جزء لا يتجزأ من الشرق الأوسط ويدعو الى انشاء (اسلامستان) اى ادماج الدول الاسلامية تحت لواء واحد .

وفى يوليو ١٩٤٩ صرح نجم الدين صادق وزير خارجية تركيا أنه اذا كونت البلاد الاسلامية وحدة دوامة فان تركيا لا تتردد فى الانضمـام لهـا ذلك لأن المنافع المشتركة تحميها هـذه الدول . ان موقف تركيا تجاه الخطر الشيوعى هو الموقف الذى يحملها ما لا طاقة لنا به من النفقات الباهظة .

كراتشى فى ١١ يناير ١٩٥١ :

عـرض رئيس فرع جمعية العلماء الاسلاميـة بالباكستان : أربع نقاط لتوحيد البلدان الاسلامية .

١ ـ استخدام اللغة العربية كأحدى اللغات الرسمية لجميع البلاد الاسلامية .

٢ ـ اقامة كتلة اسلامية مستقلة فى هيئة الأمم أو اقامة هيئة اسلامية منفصلة .

٣ ـ استخدام عملة مركزية منفصلة تتخذ وسيلة لتبادل العملة بين البلاد الاسلامية .

٤ ـ رفع القيود والحواجز على حركة النقل والانتقال بين البلدان الاسلامية .

* * *

عقد المؤتمر العالمى الاسلامى فى كراتشى : ٩ فبراير ١٩٥١ .

٢٦ أمة حضرت من انحاء العالم الاسلامى من فنلندا الي سنغافورة .

الغرض من المؤتمر : توثيق الروابط الروحية والثقافية والاقتصادية بين الشعوب الاسلامية على وجه البسيطة .

قال السيد أمين الحسبى : ان الوحدة العربية ليست الا جزءا صغيرا من الاتحاد الاسلامى الأكبر وقال لياقت على : ان كل مسعى يهدف الى جمع كلمة المسلمين فى جميع أنحاء العالم وبث روح الأخوة فيهم ، المسلمون يستطيعون على اختلافهم المساهمة فى قضية المسلم وتقدم البشرية على هدى من مبادىء الاسلام وتعاليمه .

ودعا أغا خان المسلمين الى التعاضد (دكا ـ شرق باكستان ١٩٥١/٢/٣ واعلن الحاجة الى قيام اتحاد وتماسك تام بين شعب هذه الدولة المسلمة رغم كونها أكبر دولة اسلامية فى العالم . ان وصف باكستان بالدولة الاسلامية يفيد أنها ستتابع ذات المثل العليا فى المساواة والمعاملة الرحيمة للجميع .

وصرخ ستة ملايين تركستانى من مسلمى التركستان من جراء السياسة الشيوعية وذلك منذ ١٩١٨ : اغلاق المساجد واعتقال العلماء والقبض على جميع علماء الدين الاسلامى وقتلهم ودفنهم الى سبيريا عامى ١٩٣٠/٢٩ وذلك عندما قام الشيوعيون بحركتهم الشاملة لاجتثاث العقيدة الاسلامية من نفوس معتنقيها .

* * *

(٩٢)

الاسلام قوة الغد العالمية

باول شمتز (الاسلام قوة الغد العالمية) صدر ١٩٣٩ .

أسس القوة النامية فى العالم الاسلامى : أمران يؤثران تأثيرا كبيرا الأمر الذى يؤدى به الى أن يصبح قوة عالمية :

١ ـ وفرة السكان : الزيادة المضطردة فى عدد سكان العالم الاسلامى ما أثرها فى ميزان القوى بين الشرق والغرب ، هذه الظاهرة تثير القلق والانشقاق أو تثير التفاؤل والأمل .

٢ ـ ما توصلت اليه الابحاث من أن فى بطن الأرض ثروة من المواد الخام تكفى لقيام صناعة تضارع مثيلاتها فى أوربا بل سيكون لدى الشرق فائضا من المواد الخام تجعله أولى المناطق المصدرة لها فى العالم .

وقد دلت الدراسات أن لدى سكان هذه المنطقة خصوبة بشرية تفوق نسبتها كل ما لدى الشعوب الأوربية ، وسوف يمكن الزيادة فى الانتاج البشرى الشرق على نقل السلطة فى مدة لا تتجاوز بضعة عقود الى عشرات قليلة من السنين ويعكف الباحثون فى أوربا على دراسة الظواهر التى تشير الى الانخفاض المستمر فى عدد السكان ويحاولون تبديد التشاؤم الذى سببه نتائج دراسة أحصائيات تعدد السكان .

واذا استمر معدل هـــذه الزيادة فى الاضطراد سيبلغ بعد ٦٠ عاما حوالى ٣٢ مليونا وبعد مائة سنة يزداد سكان مصر الى ٤٩ر٦ نسمة أن الاضطراد فى زيادة عدد السكان يخلق مشاكل لا حصر لهـا ويبذر بذور القلق فى مسارات السياسة الدولية ولا يقتصرذلك على مصر وحدها بل سيوجد أيضا مع اختلاف بسيط فى الشرق الاسلامى كله ويتوقع المراقبون أن تكون هذه الظاهرة احدى نقط انطلاق النزاع بين الشرق والغرب.

* ابعاد مؤثرات القوى البشرية التى تسهم الى حد بعيد فى بناء قوة عالمية . لقد وقع الصراع بين القوى الأوربية العظمى وبين الشعوب الاســلامية بدراسات مقارنة فى المجال السكانى للوقوف على اتجـــاه ميزان القوى من الناحية البشرية بين الطرفين وهو صراع نتج عن اتجاه أوربا فى التوسع الاســتعمارى الى ضرورة القيام .

* التفوق فى الانتاج البشرى فى المنطقة الاسلامية سيؤثر تأثيرا بالغا على العلاقة بين الشرق والغرب فى عشرات السنين .

* رفض سياسر تحديد النسل :

وعال الباحث بأن الثراء فى المواليد دعامة المستقبل السياسى للشرق الاسلامى فالخصوبة فى الانتاج البشرى محمودة ، ويجب أن تشجع فيرسل لها العنان ، بل يقوم لها من الامكانيات ما يمكنها من اعطاء كل ما لديها حتى يرتفع عدد السكان فيمكن على المدى الطويل من التفوق على البلاد الغربية التى ينقص سكانها باستمرار لأن مجتمعاتهـا لا تتمتع الآن بالخصـــوبة البشرية التى توجد فى الشرق .

سيتضاعف عـدد السكان فى العالم الاسلامى فى مدى عشرات قليلة من السنين . الدعوة الى الأخـذ بأسباب نمو القوة البشرية عن طريق تشجيع النســل ومحاربة الدعوة الى تحديده ، يزيدون يوما بعد يوم ، وان تفوق أوربا فى التكنولوجيا على الشرق ينقص عاما بعد عام لأن الشعوب الاسلامية اتجهت الى تطويرنفسها وبناء حضارتها بالوسائل الهندسية الأوربية .

* * *

(١١١)

التضامن الاسلامى

جاءت دعوة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز الى التضامن الاسلامى وقد بدأها برحلاته الى مختلف أجزاء العالم الاسلامى ، بزيارة ايران (شعبان ١٣٨٥) الاردن ، السودان ، الباكستان ، تركيا ، المغرب ، تونس ، غينيا ، مالى ، الكويت ، الجزائر .

علينا نحن المسلمين تقع المسئولية بأن نتفقه أولا وقبل كل شىء فى ديننا وشريعتنا . ولو فهمنا شريعتنا الاسلامية على حقيقتها لاغتنينا عما نتخبط فيه الآن من تيارات واتجاهات .

ان هـذه التيارات وهذه المبادىء وهذه العقائد تعلم حق العلم انه ليس من قوة يمكن أن تقف أمامها ، وتصمد أمام شرورها الا قوة الاسلام وشريعة الاسلام ودين محمد صلوات الله وسلامه عليه .

ان دعوة التضامن الاسلامى ليست تحركا سياسيا او مصلحيا انما هى فرض واجب على كل مسلم ، علينا أن نسعى الى التفاهم والتعاون فى سبيل الله ثم فى سبيل أوطاننا وأمتنا . أن خشـــية الصهيونية من التضامن الاسلامى ليست غريبة علينا فنحن نريد أن نكافح وندافع لتحقيق أطماعها وتوسعها فيما اغتصبته من بلاد اخوانكم وأمتكم ولا غرو أن تنهض لمكافحة هذه الدعوة الخـــيرة الطيبة .

* اننا نسعى الى الســلام ونسعى الى التآخى ونسعى الى التفاهم ولكن ليس معنى هذا أن نضحى بمبادئنا وعقيدتنا وأسلافنا فى سبيل هذا التآخى وهذا التفاهم .

ان الدعوة الى التضامن الاســـلامى مسئولية المسلمين جميعا واننى أوجه نظر اخوانى من العرب الى

أنهم مسئولون عن هذه الدعوة أكثر من غيرهم لأن الله سبحانه وتعالى اختار نبيه صلوات الله وسلامه عليه منهم وانزل كتابه بلسانهم وحملهم أمانة ايصال هـذه الرسالة الى بقاع الأرض .

وعندما حلت نكبة الخامس حزيران ١٩٦٧ بدأت دعوة التضامن الاسلامى تكسب ابعادا جديدة وفى أعقاب اقدام العدو الصهيونى على جريمة احراق جانب من المسجد الأقصى (٢١ اغسطس ١٩٦٩) دعا الملك فيصل الى مؤتمر قمة اسلامى فى ضوء ما حققته دعوة التضامن الاسلامى من عمق فى الأوساط الاسلامية المختلفة ، وفى ضوء هذه الخلفية انعقد أول مؤتمر قمة فى تاريخ الاسلام بمدينة الرباط (٩ رجب ١٣٨٩ — ٢٢ سبتمبر ١٩٦٩) اتخذ المؤتمر اعلانا يستنكر فيه جريمة احراق المسجد الأقصى ويسجل تمسك الأمة الاسلامية بالقدس عربية اسلامية وضرورة انسحاب القوات المعتدية علينا كما أعلن المؤتمر مساندته التامة للشعب الفلسطينى لاسترجاع حقوق المغتصبين ، ومواصلة نضاله من أجل تحرير وطنه .

ثم عقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الأول فى ٢٣ مارس ١٩٧٠ حيث تقرر انشاء امانة عامة للمؤتمر تكون مقرها « جدة » لحين تحرير القدس حيث مقرها الأصلى . وبهذا المؤتمر بدأ العالم الاسلامى خطواته الفعلية والتضامن الاسلامى حيث أرسى اساس الأمانة الاسلامية الدائمة .

ومضى الملك فيصل الى جولة أخرى شملت ماليزيا واندونيسيا وافغانستان تم بها دعم دعوة التضامن الاسلامى وتحقيق أبعاد أعمق فى مضامينها ثم عقد بعد ذلك عـديد من المؤتمرات : مؤتمر كراتشى ، لوزراء الخارجية الاسلامى ، مؤتمر ميثاق التضامن الاسلامى ، مؤتمر القاهرة لدراسة مشروع البنك الاسلامى ، مؤتمر الرباط للمراكز الثقافية الاسلامية ، مؤتمر طهران لدراسة مشروع انشاء وكالة الأنباء الاسلامية ، ثم أقر مؤتمر وزراء الخارجيةالثالث ميثاق التضامن الاسلامى ثم جاءت المرحلة الثالثة من رحلات التضامن الاسلامى وشملت أوغندا وتشاد والسنغال وموريتانيا والنيجر .

وقد وجهت ضربة قاصمة الى محاولات التسلل الصهيونية فى افريقيا ودخل عدد كثير من الدول الاسلامية فى اطار مظلة التضامن الاسلامى .

وفى مؤتمر لاهور (فبراير ١٩٧٤) اشتركت ٣٧ دولة اسلامية ثم دعم مشروع البنك الاسلامى للتنمية حيث برز الى الوجود ليسهم فى دفع عجلة البناء الحضارى فى الوطن الاسلامى ، وبرز مشروع صندوق التضامن الاسلامى ليكون رافدا لكل مشاريع الخير .

ثم عقد أول مؤتمر المنظمات الاسلامية فى العالم فى مكةالمكرمة بدعوة من الرابطة . كما عقد مؤتمر وكالات الانباء الاسلامية حيث انشئت أمانة عامة لها .

توفى الملك فيصل رحمه الله فى ربيع الأول ١٣٩٥ .

عبد الكريم حداد

***

(١١٢)

معارضة الوحدة الاسلامية : دعوات القوميات والاقليات

ما يزال مفهوم القومية (المفهوم الغربى الوافد) هو اكبر عقبة أمام وحدة اسلامية شاملة ، فقد اتسع نطاق هذه المفاهيم الوافدة حتى أصبحت بمثابة مسلمات وساعد ذلك على تعمق الفروق ، الدعوة الى القوميات المحلية (الاقليمية) بكل ما تحمل من اعتزاز بالماضى السابق للاسلام وتمجيد الحضارات التى قاومت الاسلام والتى هزمها الاسلام سياسيا وعسكريا .

والسؤال هو : لماذا ركز الفكر الغربى على مفهوم القوميات والاقليميات فى البلاد الاسلامية ، هل من اجل اسقاط الجامعة الاسلامية أم من أجل اقامة القومية اليهودية أم من أجلهما معا ؟

ان قمة خطة المؤامرة : ما قام به لورنس فى دعوة القوميات وكانت نتائجها معاهـدة (سايكس باكو)

بالتقسيم ووعد بلفور معا . يقول مجيد خورى فى كتابه الاتجاهات السياسية فى العالم العربى : لقد كان رعايا السلطان المسيحيون أول من استجاب للدعوة القومية وكان المفكرون العرب المسيحيون أول من نادى بالقومية العربية دون ربطها بالاسلام ، ثم نشرت هذه الافكار المسيحية دون أن يدركوا ما وراءها فانفصلوا عن الدولة العثمانيةوساعدوا الانجليز فى الحرب وتمت بذلك المرحلة الأولى من الخطة .

وكان موقف جاويش ورشيد رضا وشكيب ارسلان من الدولة العثمانية مختلفا ، وقد جرى تنشيط لاقليات فى خدمة الاستعمار وخدمة الصهيونية وخدمة الماركسية .

ان فكرة القويات والاقليميات فكرة طرحها الاستعمار الغربى فى أوائل هذا القرن لتمزيق الأمة الاســـــلامية وتصفيتها وقد نجح فى ذلك الى حد كبير .

لقد وضع لنفوذ الأجنبى ثلاث خطط :

* تمزيق الوحدة الأسلامية الى كيانات عرقية .

* تمزيق العرب الى اقليميات وأوطان .

* تمزيق كل وطن الى عقائد ونحل .

وما تزال القيم الاسلامية التقليدية تحول دون ذوبان الشخصية الوطنية ـــ هذه القيم التى لم تستطع محوها وحلول القيم الأوربيـــة ، فقـــد نقل الاســــلام الناس من اختلاف الأجناس الى اتحاد المشاعر ، ومن العنصرية الى الانسانية وتحاول دعوات الغزو العسكرى اعادته مرة اخرى الى العنصرية والأجناس لتدمير وحـــدته القائمة على وحدة الفكر أساسا ففى الاســــلام تفوق رابطة الفكر والعقيدة رابطة العنصر والدم .

ولقد بدأت الوحدة العربية من قلب الدعوة الاسلامية، والمرابطين والموحدين رالماليك ومسلمون من كل عنصر اشتركوا فى بناء الفكر الاسلامى ودافعوا عن (لا اله الا الله) وعن لغة القرآن .

ولقد بدأت القومية العربية والاسلامية معا ، اللغة فاللغةالعربية هىلغة العربولغة الاسلام نفسه ،لاسلام كفكرهو ثقافة مشتركة بينالمسلمين والمسيحيين وغيرهم، والتاريخ كاللغة والاسلام أساس من مقومات الفكر عند الاتراك والفرس والافغان والعرب والباكستانيين ، لم يدع الاسلام الى التخلى عن القوميــــــة وانما شجب الدعوة العنصرية القائمة على الدم والانساب ومنـــع التفاضل بها والأسلام ليس دينا للمسلمين وحدهم ولكنه روح الفكر والثقافةفى الشرق . والعرب بالاسلام كلشىء والعرب بدون الاسلام لا شىء ، واذا ذل العرب ذل الاسلام والعرب مادة الاسلام .

يقول الفريد كانتول سميث : الاسلام هو الذى خرج بالعرب من ديارهم الى العالم فالأسلام سببعظمة العرب الدنيوية والعرب هم الذين نشروا الاسلام فى بقاع الأرض والاسلام هو الدين الوحيد فى العالم الذى ملأ نفوس معتنقيه فخرا واعجابا وهم ينظرون الى لغتهم بوصفها اللغة التى اختارها الله لاظهار دينه واللغة التى يتبعها كل من أراد أن يتخذ الاسلام دينا .

ويقول الدكتور عمر فروخ : انه لولا الاسلام لبقى العرب فى جزيرتهم قبائل متفرقة ، لا قدر لها فى تاريخ الحضارة الانسانية فللاسلام على العرب فضل توحيدهم واطلاقهم فى معارج الحضارة والحياة الانسانية والعرب توحدوا بالأسلام وان الاسلام جعل فيهم قوة عالمية حاملة لواء الحضارة .

ومفهوم علاقة الاسلام بالعرب تختلف عن مفهوم القوميات الغربية مع المسيحية وقـــد استغلت الروح القومية فى العالم الغربى بفكرة التفوق العنصرى كمـــا اعتمدت فى كثير من الأحيان على تزييف التاريخ من غير قصد أو بقصد فجعلت كل أمة تعتقد انها أرقى أمـــة واسمى عنصرا واخصب ثقافة من غيرها من الأمم كما جعلت كل أمة تفسر التاريخ من زاويتها فقط (برتراند رسل) .

ويقول أرنولد توينبى : اكره فى القومية التعصب الذى يطيح بالكثير من القيم الانســـانية ويثير الحروب والفتنة .

* * *

(٢)

ويقول الأستاذ حسن التل : ان دعاة القومية يتجاهلون الاسلام تجاهلا كاملا رغم أن الأمة العربية لم تعرف منذ عرفت التاريخ أى شكل من أشكال الوحدة الا فى ظلال الاسلام ، والاسلام هو الذى عرب سوريا والعراق ومصر والشام الافريقى وهو الذى حمل العرب الى الشرق الأقصى واوربا وقلب افريقيا ودخل بهم موسكو ووصل على شاطىء الباطيق فى أعماق الاتحاد السوفيتى .

ان هجمة دوائر الاسلام والاستشراق نجحت فى تجميد حركة الوعى ولكن الأحداث التى يعيشها العالم اليوم اثبتت ان الاسلام اكبر من كل المؤامرات وان المسلمين رغم كل وسائل التعتيم والذل التى مورست لتحول بينهم وبين الاسلام قد فشلت جميعها حتى اضطر المراقبون الغربيون أن يعترفوا بهذه الحقيقة .

ان الخطيئة الكبرى التى ارتكبتها حركة القومية العربية انها قسمت الشعب الى شرفاء وخونة فاعتبرت كل الذين لاذوا بدينهم ورفضوا الانسلاخ عن أصولهم فى قائمة الخونة أما الهتافين والانتهازيين من الذين ركبوا موجة التقدمية فهم الاشراف .

ان عدم فهم الحركة التقدمية للاسلام وتجاهلها للشعوب الاسلامية قد أضاع منها فرصا كثيرة وحققلها خسارة فادحة فقد أثبتت الأيام أن المسلمين هم الرديف الطبيعى للعرب ، وان امتدادهم الثقافى والعسكرى واحترامهم الحقيقى هو فى الأرض الاسلامية فالقرآن الكريم حمل لغتهم الى مجاهل افريقيا ونشرها فى أقاصى الأرض وجند لها رجالا فى كل أصقاع الاسلام يخدمونها ويحافظون على وجودها فى اشد ظروف العرب انحطاطا وتخلفا احتراما القرآن واستجابة لتعاليم الاسلام .

ان الغربيين بالرغم من محاولات التخريب التى قام بها بطرس اليهودى وقسطنطين الوثنى لتشويه النصرانية فان الغربيين ظلوا على ولائهم المسيحية وانتمائهم الشديد لها وان نصت دساتيرهم على علمنة الدول .

* * *

(١١٣)

بالاسلام وحده

يقول باول شميتز : (الاسلام قوة الغد العالمية) :

« سيعيد التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق عودا على بدء من المنطقة التى قامت فيها القوة الاسلامية العالمية فى الصدر الأول الاسلام وستظهر هذه القوة التى تكمن فى تماسك الاسلام ووحدته العسكرية وستثبت هذه القوة وجودها اذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والعمل على الافادة منها وستنقلب موازين القوة لأن قوة الاسلام قائمة على أسس لا تتوفر فى غيرها من تيارات القوى العالمية » .

ولا ريب أن بعد نظر هذا الكاتب الغربى الذى قال هذا الكلام منذ خمسين عاما تبدو اليوم وكأنه من الحقائق .

يقول محمد اقبال : ان المسلم لا تعرف أرضه الحدود ولا يعرف افقه الثغور ولبست دجلة والنيل والدانوب الا أمواجا صغيرة فى بحره المتلاطم ، عصوره عجيبة ، وأخباره غريبة ، نسخ العهد العتيق ، وغير مجرى التاريخ ، هو فى كل عصر ساقى اهل الذوق وفى كل مكان فارس ميدان الشوق ، شرابه رحيق دائما وسيفه ماض فى كل معركة . وهذا الذى قاله محمد اقبال مضى عليه ايضا نصف قرن .

وفى السنوات الأخيرة جاءت الصور تترى لتكشف عن خيط واحد على الطريق الذى لم تنكشف ابعاده بعد ولكنه هو الطريق الذى لا ريب فيه .

معركة الجزائر : استمرت سبع سنوات من عنابة شرقا الى تلسان غربا — من جامع سيدى عبد الرحمن بحى القصبة مركز التعبئة الشعبية بالعاصمة الى تيزى

أوزو فى منطقة القبايل الرابعة معقل الكتيبة الأولى لهيئة المعركة :

(يا محمد مبروك عليك _ الجزائر رجعت اليك) .

المجاهدون الجزائريون الذين صمدوا سبع سنوات فى كهوف الجبـــال وعاشوا على الكفاف وقاومـوا الامبراطورية الفرنسية بجيوشها وطائراتها قالوا : ان كتاب الله الذى كان يحمله كل واحد منا أقوى من المدافع فى يد أعدائنا .

ثانيا : العاشر من رمضان على أرض سيناء شرقى القناة : هتاف الله أكبر وخروا ساجدين فوق رمالها ، الذين عبروا القناة وحطموا خط بارليف قالوا : قبــل التدريب الشاق والأسلحة الحديثة كان الايمان . كان هذا الأيمان مددا لقوة عجيبة ، كنا نشعر كأن جيوش الله عبرت قبلنا ومهدت طريقنا .

وعندما يتحدث التاريخ عن حقيقة هزيمـــة (٥ يونيو) سوف يقول أن من أسباب الكارثة أن بعضنا توهم أن التقــدمية انتظــار الله وأن الدين لا يتفق مع التكنولوجيا وان التمسك بالدين رجعية واقطاع .

عندما تنكرنا لله نسينا الله وفى ١٠ رمضان عندما عرفنا الله عرفنا النصر .

ثالثا : السادس من نوفمبر : المسيرة الخضراء .

مئات الألوف يحملون المصاحف فى أيديهم ، دخلوا الصحراء وسجدوا فيها باسم الله أكبر .

هذه بواكير النصر وعلامات الطريق والحذر الحذر من تغيير الهوية والانحراف عن الطريق فان العدو رأى فى هذه المواقف الثلاثة خطرا صاعقا على وجوده وكيانه فحاول أن يفسد الوجهة ولكن عندما تتسع كلمة الله اكبر ستحقق نصرا أكبر .

* * *

مصر والنفـــوذ الغـربى

* فتح مصر .
* دنلوب .
* نابليون فى مصر .
* مدرسة الحزب الوطنى .
* امتياز قناة السويس .
* من تقارير كرومر : فى التعليم .
* الجامعة الاسلامية والحركة الوطنية فى تقـــرير كرومر ١٩٠٦ .
* محمد على .
* بلنت : التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر .

(١١٤)

فتح مصر

ان العرب لم يفتحوا قطرا من الاقطار على صورة ايسر مما فتحوا مصر ، وقد كان للقوة الاولى التى جاءت الى مصر أثرها فى تكوين هذا الطابع العربى الفذ : عمرو بن العاص والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعمار بن ياسر وعبد الله بن عمرو وعبادة بن الصامت ومعاوية بن خديج وقيس بن أبى العاص وخارجة بن حذافة ومسلمة بن محمد الانصارى والمقداد بن الاسود ومحمد بن مسلمة الانصارى وأبو ذر جندى بن جنادة الغفارى وأبو الدرداء عويمر بن عامر وعقبة بن عامر والمغيرة بن شعبة وقد اندفعوا الى فتح افريقية وجزائر البحر الأبيض الذى كان يطلق عليه (بحـر الروم) فاصبح بحر العرب .

وكان أهل مصر قد كرهوا حكم الروم بعد أن ارهقوا بالمظالم والمغارم مدى اثنى عشر قرنا وكانوا يضطهدون كل من لا يشايع اهل دين الدولة الحاكمة ، فلما جاء عمرو بن العاص الى مصر كان اقباط مصر فى (الفـرما) أعوانا له وكتب أبو ميامين أسقف القبط فى الاسكندرية الى جماعته يعلمهم انه لا يكون للروم دولة وان ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقى عمرو بن العاص .

فلما وقعت فى يد عمرو ابنة المقوقس ردها الى والدها مكرمة كما اقر النصارى واليهود على ما بايديهم من أرض مصر يعمرونها ويؤدون خراجها كا ترك عمرو القبط وشأنهم فى كنائسهم واديارهم واعاد اليهم ما كان أخذه الروم منهم واطلق لهم الحرية فى أن يبنوا فيهـا ما طاب لهم .

يقول الاستاذ محمد كرد على : ان مصر ذكرت فى القرآن فى أربعة وعشرين موضعا منها ما هـو جماع اللفظ ومنها ما دلت عليه القرائن والتفاسير ولم يقعمثل هذا فيه لمصر من الامصار وقد عثر المتاجرون فى اللغة القديمة على الوف من الألفاظ العربية .

* * *

يقول دكتور انيس صايغ عن مصر والقوميـة العربية :

١ ــ انحاز الاقبـاط الى صف نابليون وزودوا جيشه بالرجال والعتاد وتجسسوا له على الثائرين عليه واقاموا جهازه واعدوا مشروع المعـلم يعقوب الذى يرمى الى استقلال مصر عن العثمانيين برعاية الغرب المسيحى .

٢ ــ المرتزقة القادمين من سوريا ولبنان الذين تعاونوا مع الاستعمار ومن قبـل تعاونوا مع نابليون والفرنسيين مثلما فعل الاقباط واحتفلوا بانتصـارات الفرنسى واثاروا الفتنة فى صفوف الشعوب وتجسسوا للسلطات الفرنسية (الجزء الثالث من الجبرتى) وقد حالفهم الحظ فى عهد محمد على الذى فضل السوريين عن غيرهم .

٣ ــ اطلق جمال الدين الافغانى على محمد على لقب الأمى الأكبر ، فقد عاش خمسين سنة فى مصر ولم يتكلم العربية بل كان يتكلم التركية .

* * *

كتب محمود سامى البارودى فى مذكرته : انه كان يهدف مع رفاقه الى تحويل مصر الى جمهورية كجمهورية سويسرا ، ولكنهم ادركوا منذ بدء الحركة أن شيـوخ الأزهر وعلماؤه لم يكونوا على استعداد لتقبل هـذه الفكرة حينذاك .

* * *

كتب كرومر فى كتابه (مصر الحديثة) : لو ترك عرابى وشأنه لما كان هناك شك فى نجاحه فعدم نجاحه راجع الى التدخل البريطانى .

كانت عبارة (مصر للمصريين) من الشعارات التى رفعها احمد عرابى فى مواجهة الشراكسة والأرمن والاتراك الذين استأثروا بالمناصب ولكن الاستعمار استخدم هذه الكلمة بعد ذلك فى هدف آخر ، ولما دخل الانجليز مصر رفعوا هذا الشعار ولكنهم كانوا يقصدون به شيئا آخر ، كانوا يزعمون ان بقاءهم فى مصر مؤقت وانهم سيجلون عنها قريبا بعد تثبيت عرش الخديو ، وكانوا يريدون بمصر المصريين ابعاد تركيا عن حكم مصر وقطع انتماء مصر العربى والاسلامى، وكان اتباعهم فى مصر ينادون بهذا الشعار ويدعون له وكان أرفعهم صوتا بذلك (أحمد لطفى السيد) الذى دعا الى (تمصير اللغة العربية) وكانت هذه الدعوة الى تمصير اللغة العربية مما اثار الريبة فى دعوة لطفى السيد عند الوطنيين من أبناء مصر فاندفعوا يحاربون هذه الدعوة التى كان قد أعلنها المبشر الانجليزى (ويلكوكس) فى صراحة واراد بها عامية لا عربية وقال الشاعر حافظ ابراهيم قصيدته المشهورة .

(محمد فهمى عبد اللطيف)

***

قال داود بركات رئيس تحرير الاهرام : ان الثورة العرابية غيرت ولا شك وجه السياسة العالمية فى الشرق واذا كانت ثورة فرنسا ١٧٩٧ لم تنته حتى اليوم بل هى فى نظر المؤرخين فى ابان شدتها كذلك الثورة العرابية لم تنته وأن تنتهى قريبا ولا نظن أن أثرها السياسى يصل الى حده فى القريب ، لذا كان حقا على السلالة السابقة العمل للسلالة الآتية ولا يتأتى ذلك اذا نحن فصلنا فى المعرفة والتقدير .

***

كتب (كرومر) ان الشىء الوحيد الذى يعوض المصريين عن الرابطة الاسلامية هو قيام حكومة صالحة تلتزم العدل المطلق والوطنية الخالصة ، وكان هو يشجع التيار الوطنى ليحل محل التيار الاسلامى ، وهو الذى اختار سعد زغلول وزيرا للمعارف ليدخله ميدان السياسة واختار أحمد غلوش وأوحى اليه بانشاء جمعية المسكرات .

***

اشترت حكومة بريطانيا نصيب الخديو اسماعيل فى أسهم قناة السويس ثم عادت فاشترت حصة مصر كلها .

***

(١١٥)

دنلوب (وجريدة الاهرام)

اجرت جريدة الأهرام حديثا مع دنلوب (١٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٠١) قال : أرى اللغة العربية لغة فقيرة لم يدون بها علم من العلوم الحديثة فاوقفت التلاميذ فيها عند حد الحاجة فقط فهم يتلقون بها العلوم الأولية التى تؤهلهم لفهم الكتب العربية ، أما العلوم الحديثة فلا واسطة اليها الا باتقان لغة أجنبية .

وقالت جريدة الاهرام : تراه يهددنا ايبقى بيننا طويلا ايذهب ببقية لغتنا بل بثمالة المجد العربى فلا يعود يحقق قلب مصر عواطف ، وقد حملت عليه الصحف بشأن كتاب التاريخ الانجليزى الذى به مساس بالنبى .

وكان المستر دنلوب قد اختار كتابا فى اللغة الانجليزية يقرأه طلبة التجهيزى فى المدارس المصرية ، وكان ذلك الكتاب متضمنا لشتم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما هو شأن اكثر المبشرين فى كتبهم التى ينشرونها لافساد عقائد النشء .

وكان مسيو بلتيه بك ناظرا للمدرسة التوفيقية وقد وزع هذا الكتاب على طلبة القسم التجهيزى بها ، فلما قرأ الطلبة الكتاب ووقفوا على ما فيه من الاقذاع فزعوا الى باتيه قائلين : ان توزيع هذا الكتاب اهانة لنا

***

وعندما تحقق بلتيه صدق قول الطلبة عمد الى الكتاب فجمعه من أيديهم وضم الى النسخ المجموعة ما كان فى مخزن المدرسة وقال لنظارة المعارف :
أنا لا أقبل أن يدرس هذا الكتاب لطلبة مدرستى .
وفى سنة ١٩٣٩ وزعت الجامعة المصرية كتابا لبرناردشو على طلبتها ليدرس لهم (كلية الاداب قسم اللغة الانجليزية) وفيه على لسان قسيس معاصر لجان دارك فى سب قبيح فى رسول الله صلى الله عليه وسلم واثار أعضاء مجلس النواب المسألة فى ٥ يونيو ١٩٣٩ ورأينا بعض النواب يدافعون عن الكتاب بطرق مختلفة يبررون بها شتم شو لرسول الاسلام
(عبد الوهاب النجار)

يقول كرومر فى تقريره عام ١٩٠٥ عن الاسلام :

ان الساعين لارجاع مجد الاسلام يحاولون أن

يحيوا فى القرن العشرين المبادىء التى تكونت قبل أكثر من الف سنة لقيادة أمة بدوية فى حالة الفطرة ، من تلك المبادىء ما تخالف الفكر العصرى ويناقضه مثل اباحة الاسترقاق وما جاء عن العلاقات بين الجنسين .

وقد رد عليه فريد وجدى (م ٧ ص ٢٩٣) من مجلة الحياة .

* * *

* * *

(١١٦)

مدرسة الحزب الوطنى

كانت مدرسة الحزب الوطنى هى القوة الأولى الحقيقية التى واجهت الاحتلال البريطانى بقيادة مصطفى كامل : وكان كتابها البارزين فى جريدتى اللواء والعلم والأخبار .. الخ .

عبد العزيز جاويش ، محمد فريد ، أمين الرافعى احمد حلمى ، احمد وفيق وقد احصى عدد اعلام مدرسة اللواء بأكثر من مائتين وسبعين وكان من اعظم مواقفهم:
موقفهم من دنلوب وكرومر ودنشواى ومشروع مد امتياز قناة السويس الذى قاده سعد زغلول وقد حرر أمين الرافعى فى اللواء ثم أصدر الشعب والأخبار (الشعب ١٧ أغسطس ١٩١٤ — الى ٢٧ نوفمبر ١٩١٤) واغلقها حتى لا ينشر اعلان الحماية على مصر الذى صدر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وكان على الصحف التى تصدر ان تنشر قرار الحماية كما كان منتظرا اصداره قبل اعلان الحماية فشق على نفس أمين الرافعى محرر الشعب اذ ذاك ورأى انه لا يجوز لجريدة هى لسان الحركة الوطنية ان تنشر هذه الاعلانات التى لا تتفق مع سمعة جريدته بالاحتجاب والانسحاب .

وبعد الحرب العالمية الأولى أصدر الاخبار (٢٢ فبراير ١٩٢٠) واتحدت اللواء والأخبار فى مايو ١٩٢٥.

ودام الاتحاد ثلاثة اشهر وعشرة ايام .

وفى ٢٢ اغسطس ١٩٢٥ أصدر العدد ١٦٧٤ بالاسم القديم (الاخبار) .

وبدا امين الرافعى يكتب ١٩٠٦ حتى توفى ١٩٢٧.

* * *

(١١٧)

مد امتياز قناة السويس

كشف الستار فى ٢٣ ديسمبر ١٩٠٨ عن مؤامرة مد امتياز قناة السويس لصالح فرنسا وبريطانيا واوربا لمدة اربعين عاما جديدة ، بحيث ينتهى عام ٢٠٠٨ بدلا من ١٧ نوفمبر ١٩٦٨ .

وقد جرى اغراء مصر بالتوقيع بأن تدفع لها ٤٠٪ من الأرباح عام ١٩٢٠ تزيد ٢ ٪ كل عام حتى تصل الى ١٢ ٪ عام ١٩٦١ .

وقد بدأت المفاوضات السرية مع الحكومة المصرية التى وافقت على المشروع واستطاع المجاهد الشريف : محمد فريد الحصول على وثائق المشروع فنشره فى اللواء وبذلك القى قنبلة فى محيط الاستعمار قال محمد فريد فى ٢٥ اكتوبر ١٩٠٨ : كيف يجوز لهذه الحكومة ان تتساهل فى اطالة امر الشركة مع علمها أن هذه القناة كانت السبب فى ضياع استقلال مصر .

وقال الشيخ على يوسف فى جريدة المؤيد : ان الذين يفكرون فى اتمام هذه المسألة لا يرون الا اعادة تمثيل الرواية التى بدأها اسماعيل باشا من قبل حيث باع المستقبل الباهر بالحاضر السىء .

وقد واجهت المعارضة الاتفاق وقررت الحكومة اعادة قانون المطبوعات القديم الذى يقضى بحق اغلاق الصحف .

وقامت جريدة اللواء بدور بارز فى كشف الاتفاق وكانت مقالات الشيخ عبد العزيز جاويش تلهب النفوس وتثير الهمم وطالب سعد زغلول بعرض المشروع على الجمعية العمومية .

وتصدت المعارضة للمشروع بحملة ضخمة قادها محمد فريد وعبد العزيز جاويش وأمين الرافعى وعبد السلام ذهنى وطلعت حرب ولطفى جمعه ودافع سعد زغلول عن الاتفاق ورفضته الجمعية العمومية بالاجماع ما عدا مرقص سميكة الذى راى قبوله مع التعديل وقد قتل فى هذه الفترة رئيس وزراء مصر (بطرس غالى) وعرف بأن سبب قتله الأمور التالية :

* امضى اتفاقية السودان ١٨٩٩ .

* رأس محكمة دنشواى .

* اعاد قانون المطبوعات .

* حاول مد امتياز قناة السويس .

* * *

خطب اللورد لويد المعتمد البريطانى فى مصر فى كلية فيكتوريا فى ٣٠ مارس ١٩٢٦ فقال: لقد وطد اللورد كرومر شركة بين بريطانيا العظمى ، ومصر هى مهما تغيرت اشكالها ضرورة واضحة لكلا الشريكين لابد من استمرارها ولكى تكون متلائمة ونافعة يجب تقوية ما لدينا من الوسائل لتبادل التفاهم وكلية فيكتوريا وسيلة الى هذا التفاهم .

* * *

القول بأن الثورة العرابية كانت نزاعا بين العرب المصريين وبين الاتراك داخل الجيش المصرى هى مقولة استعمارية انجليزية لان هذه المقولة اساس تمكين قدم بريطانيا ، وقليل من التأمل يجعلنا نشك فى هذه النظرة فسامى البارودى باشا وزير حربية الثورة العرابية وشاعر الثورة نفسها أكثر من أضير ماديا لأنه كان اغناهم وصودرت املاكه كان رجلا تركى الاصل وشريف باشا رئيس الوزراء الذى كان يرفضه العرابيون رجل تركى بل ان الضباط الاتراك والجراكسة حاربوا مع عرابى تحت قيادته فى أعماق السودان والحبشة وكلاهما كان يحارب رافعا علم تركيا فى هذه الاصقاع والسراى رغم أصولها التركية كانت حريصة منذ أيام محمد على على فصل تركيا عن مصر ومهاجمة تركيا نفسها فى عقر دارها .

* * *

قال اللورد ملنر : ان الهيئة المستحقة للاعتبار والمعروفة بالوفد والتى يرأسها سعد باشا زغلول والتى تتسلط على عقول المصريين تمام التسلط ولو فى هذا الحين على الاقل مؤلفة من اعضاء اكثرهم ليسوا من الغلاة المتطرفين بل اصلهم من حزب الأمة القديم الذى كان غرضه التقدم الدستورى تدريجيا بخلاف الحزب الوطنى الذى هو حزب الثورة ومعارضة بريطانيا .

وقال : نحن نعترف لكم شاكرين عظيم ما فعلتموه من هذا القبيل فى التأثير على الراى العام فى مصر حتى يستحسن التسوية على مبادىء مشروع ملنر .

* * *

صحافة الحزب الوطنى توقفت من ١٩١٤ — ١٩٢١ اللواء ، العلم ، الشعب هاجمت اللواء المصرى بعد صدورها (٢٣ اغسطس ١٩٢١) بعد الحرب الاولى وبعد سبع سنوات من توقف صحافة الحزب الوطنى (١٩١٤) (محمد حافظ رمضان ، على فهمى كامل ، يحيى احمد الدرديرى) ابرز ما تحذر منه :

* انجلترا تعمل من وراء ستار : احذروا الجنسية المؤسسة على رابطة الدم .

* بعث الانجليز من تحت الردم فى الوقت المناسب افراد حزبهم المدهور فجأة فى الوجود مرة أخرى .

* تنظيم حماية ١٩١٤ هو مشروع اللورد ملنر .

* كتبوا ان بقاء الحزب الوطنى خطر على الوحدة خطر على البلاد ، خطر على القضية العامة .

وهكذا ظل الحزب الوطنى حتى اخر لحظة ضد « العلمانية » التى كان أول من فرضها سعد زغلول بمفاهيم الجريدة وحزب الامة (لطفى السيد) وامتدادها فى الوفد (سعد زغلول) ومن بعد حيث دافع عن نظام مصطفى كمال اتاتورك .

***

(١١٨)

نابليون فى مصر

ترى المدرسة الوطنية لتفسير التاريخ أن (نابليون) كان مستعمرا وان حملته على مصر كانت فاتحة الهجوم الامبريالى على العالم الأسلامى وبداية لحملة التغريب التى ستعم الغرب الآن بقطف ثمارها . وترى المدرسة الاستعمارية أن احتلال نابليون لمصر كان عامل خير ونهضة وبركة لأنه نقل الى الشرق مبادىء الثورة الفرنسية . وان عصر النور قد جاء عام ١٧٩٨ عندما جاء نابليون وحطم ذلك السور العثمانى الذى حال دون اتصال مصر بأوربا ثلاثة قرون كاملة .

ويقول الاستاذ أبو عدنان عبد القادر أبو شيخى : هل حقا كانت مهمة نابليون حضارية ، وما هى بذور النهضة التى زرعها فى مصر أثناء احتلاله .

لقد استمر استغلال اليهود الثورة الفرنسية بعد أن حطموا أسس الدولة من نواحيها الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية وغذوا القوة الحقيقية التى ترهب الشعب الفرنسى تحت ستار الشعار المزيف للحرية والمساواة والاخاء وحين انتهت السلطة العليا فى فرنسا الى نابليون انتهزاليهود هذه الفرصة وشرعوافى الاتصال بهوالايحاء اليه عن طريق مستشاريه من اليهود ثم قدموا له مذكرة قالوا فيها انه ما من أمر من الأمور التى تلفت نظر العالم اليوم يستحق الاهتمام كالمصير الذى ستؤول اليه مصر ، فستجد كل انسان يتلهى فى اختراع المشاريع لمساعدة بونابرت وتثبيت هذه المستعمرة لفرنسا ومدى الفوائد التى سيجنيها نابليون من استغلاله أموال الصهيونية وخبرتهم فى التجسس والتغريب حتى قال : ان على فرنسا ان تمنح اليهود الأرض التى سيقيمون عليها وطنهم وجمهوريتهم ومصر هى على وجه التحديد هى التى اتجهت اليها آمال امنياتهم لتكون أرض عودتهم بعد تيههم الثانى وتقترح المذكرة على نابليون أن يستدعى اثنين أو ثلاثة من زعمائهم ويقول لهم : اتجهوا بأنظاركم الى مصر ، تلك الأراضى الجميلة بعدخلاصها من العثمانيين وبلغوا اقتراحاتنا الى اخوانكم التائهين فى الأرض وليجمعوا الأموال فيبتاعوا ذلك الربع من مصر الذى يجاور برزخ السويس والبحر الأحمر . أما الثمن الذى يقدمونه لنابليون — بعد الاموال — فهو أن يكونوا فى يده اداة تخريبواضطراب ، فاذا استطاعوا عن هذا الطريق الدخول الى عقر آسيا فانهم انما يحملون معهم الصناعة والفنون والعلوم الأوربية ، كما انهم يقدمون عنصرا استعماريا متينا ثابت الأركان قد يكون ضروريا كيما يقوم فى آسيا مقام الامبراطوريةالآخذةفى الانحلال : امبراطورية العثمانيين ويقدم لهم أهم الضمانات لبثالفوضى واشعال الفتن واحلال الأزمات للقضاء على الاتراك جملة واحدة (الأفعى اليهودية فى معاقل الاسلام : عبد الله التل) وعندما رفع (باراداس) المشروع الى نابليون استصوب الفكرة واستعان بعلماء اليهود وخاناتهم على صياغة النداء الذى تقول بأن الأمة الفرنسية تقدم لكم الآن على الرغم من كل العقبات مهد اسرائيل ، يا ورثة فلسطين الشرعيين ، ان فرنسا تناديكم الآن للعمل على اعادة احتلال وطنكم واسترجاع ما فقد منكم .

الهدف ان يمنحهم نابليون قسما من مصر يتخذونه قاعدة للوثوب الى فلسطين والمقابل هو المال وأن يكونوا فى يده اداة فوضى وتخريب وتثبت للاستعمار الفرنسى هذه هى مهمة الامبراطور العظيم حامل لواء الثورة الفرنسية وشعاراتها الانسانية ، ولما كان نابليون يعلم علم اليقين أن العدو اللدود الذى سيواجهه ليس جنود المماليك وانما (الاسلام) : ذلك الطور الراسخ والجبل

الأشم الشامخ الذى تكسرت عليه موجات الصليبيين وبقى الشرق شرقا .

ولذلك فان نابليون عندما قرر استعمار مصر كنقطة انطلاق لبناء امبراطوريته الشرقية ، بدأ بدراسة الاسلام وطالب القرآن وصنفه تحت قائمة الكتب السياسية .

ووصل به الأمر الى حد ادعاء الاسلام وذلك فى محاولة اتملق عواطف المسلمين وتنويم الشعور الدينى فقد أصدر الى المصريين منشورا جاء فيه : « لا اله الا الله ولا ولد له ولا شريك فى ملكه » من طرف الفرنساوية المبنى على الحرية والمساواة السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية أيها المصريون قد قيل لكم اننى ما نزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه ايها المشايخ ، والقضاة والأئمة واعيان البلد قولوا لأمتكم أن الفرنساوية أيضا مسلمون مخلصون .

وقد استعمل نابليون كل وسائل الترغيب والترهيب لجر شيوخ الازهر واستعمالهم اداة لكبح جماح الجماهير ولما لم يفلح ثار غضبه فأمر مدفعية القلعة المعززة بمدافع الهاونز والمورتار بأن تسدد المدافع الى الجامع الازهر وما حوله من احياء هى مركز الثورة ، وبدأ ضرب الازهر بالقنابل حوالى الظهر واستمر الى المساء وأصدر بونابرت أمرا الى الجنرال بون بأن يبيد كل من فى الجامع (وهونفس ماقاله التتار عندمااقتحموا مساجدبغداد)واخيرا حقق نابليون حلمه ودخلت خيله الأزهر مركز قيادة المصرية ورمز سيادتها . دخلوا وهم راكبون خيول وبينهم المشاة كالوعول ، وتفرقوا بصحنه ومقصورته وربطوا خيلهم بقبلته ، وعاثوا بالأروقة والحارات وكسروا القناديل والسهارات هشموا خزائن الطلبة والمجاورين ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأوانى والقصاع ودشتوا الكتب والمصاحف وعلى الأرض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها وكما فعل اليهود عندما دخلوا المسجد الأقصى .

واحدثوا فيه وتغوطوا وبالوا وتمخطوا وشربوا وكسروا الآنية . هذه هى بذر الحضارة (اقرا : ودخلت الخيل الازهر) و (الاستعمار أحقاد وأطماع) فستجد ما تستطيع تصديقه بسهولة وخاصة اذا كان ممن بهرتهم الدعاية الاستعمارية الصهيونية عن الثورة الفرنسية واثارها الحضارية فى الشرق والغرب ، فسيرى الجيش الذى فتح لنا نافذة على العصر الحديث كيف عامل النساء وكيف استخدم الوسائل الدنيئة فى اغتصاب الاموال وابزازها وانتهاك المحرمات والاعدام بالجملة وبدون محاكمات وكيف أن نابليون كان يصدر الأوامر بالاقتصاد فى الرصاص واستعمال السكاكين واسنة البنادق ، والاغراق فى النيل ، الى غير ذلك مما يندى له الجبين ويعتبر وصمة عار فى تاريخ الاستعمار ، وانطلقت قوات نابليون تنهب وتذبح العرب على طول الطريق من العريش الى عكا ولما دخلوا يافا اعملوا السيف فى نحو الفى جندى من الحامية كانوا يحاولون التسليم وراح الفرنسيون يقتلون اعداءهم كالمجانين فى طول ذلك المساء كله والليل كله . وما تزال الصفحات التى كتبها (مالو) فى وصف هذا المشهد البشع تتجاوب بشعور الفزع والخزى وفى يافا كان النهب والسلب وشق البطون وهتك أعراض البنات وهن وهن ما زلن فى احضان امهاتهن المائتات وبعد أن اعطى نابليون الأمان للحامية المستسلمة (ثلاثة آلاف جندى) حتى أمر بذبح كل الحامية المستسلمة .

ومن يتصفح كتب التاريخ والأدب التى يؤلفها انصار المدرسة الاستعمارية وبعض المخدوعين بتفسيرتها التاريخية يلاحظ التركيز على سنة ١٧٩٨ وكأنها بداية للتاريخ الاسلامى الحديث ففى هذا العام ومابعده هوجم رمز السيادة مركز القيادة الدينية والدينوية (الجامع الازهر) وكان الهدف هدم البيت كوسيلة للقضاء على القوة الروحية التى يستمد منها الشعب قوته . وقد انهزمت هذه القوة وأرغمت على الانسحاب .

عندما عاد نابليون الى فرنسا مهزوما وانكشفت له خطط اليهود الماكرة قال : ان الدنيا تساس من قبل جمعيات سرية فلا يجوز لنا أن نكتم هذه الحقيقة ونغش أنفسنا (الأفعى اليهودية فى معاقل الاسلام ص ٢٦) لقد صدق نابليون كانت فى بلاده جمعية سرية تسوس البلاد من خلف الستار ولما تحققت من فشله تخلت عنه وتركته يلقى مصيره المحتوم بعد معركة (واترلو) التى لعب فيها المال اليهودى لعبته المزدوجة ، اما الجمعية المشار اليها فهى الماسونية : وقد اكد الجنرال لودندروف عندما قال « ان الماسونية هى التى قضت على نابليون » .

والماسونية التى حطمت شبح نابليون هى التى نحتت تمثال مصطفى كمال بعد ما انتقل رأس الأفعى من باريس الى استانبول ، لقد فشل نابليون وكان الاسلام هو العامل الأساسى فى فشله .

يقول مؤرخ غربى : لم يوفق مستعمر أوربى

نابليون فى محاولاته لكسب الاهالى لصفه . فاذا كانت جهوده قد فشلت فشلا ذريعا ، فليس العيب فى سياسته التى كانت تستحق النجاح ، بل هو اولا وقبل كل شىء عيب استحالة المهمة التى كان عليـــه اداؤها ، كان الاسلام بالطبع هو الحائل الأكبر دون هذا الجو المنشود فى الثقة المتبادلة » .

لقد وقع ما كان محذورا وتحطمت الحملة الاستعمارية على جدران الأزهر ، ولم يكن الازهر اذ ذاك الا قلعة من قلاع الاسلام الحصينة .

أما قلبه النابض فكان يتمركز باستانبول عاصمة الخلافة الاسلامية ومقر عزها وسيادتها وهكذا ادركوا ان الطريق الى فلسطين لا ينفتح الا بهم أسوار الخلافة والقضاء على الصبغة الدينية للدولة العثمانية واستمرت مؤامراتهم ودسائسهم ضد الخلافة الاسلامية عقـــودا عديدة وبلغت ذروتها فى ايام الخليفة الشهم عبد الحميد حاولوا فى البداية استعمال سلاح المال فعرضوا عليـــه مبالغ مغرية لقاء سماحه لهم بالهجرة الى فلسطين ولكنه رفض ، وكان ثمن رفضه هو تنحيته عن الخلافة ، كما اعترف بذلك هو نفسه فى وثيقة اكتشفت (مجلة العربى ــ ديسمبر ١٩٧٢) وذلك بعد الثـــورة التى نظمتها الصهيونية بواسطة الجمعيات الماسونية وقام بتنفيذها مصطفى كمال .

* * *

(١١٩)

من تقارير كرومر : فى التعليم

(١)

لا اعتقد أن التعليم الذى يلقن فى المدارس يجعل المصريين اكثر كفاءة للحكم الذاتى التام ما لم يقرن ذلك ببعض الانقلاب والتغيير فى اخلاق الأمـــة وسجاياه ، وهذا الأمر لا بد أن يكون السير فيه بطيئا على ان ذلك ليس النقطة التى يجب أن نهتم بها فى الوقت الحاضر ، فانى أود فقط ان ابحث فى أمر نفقـــات التعليم وابين عـــدم الحكمة فى اتباع سياسة واســــعة فيه تقضى بفرض الضرائب الثقيلة :

ــ الغاء التعليم المجانى .

ــ التنسيق فى ميزانية التليم من ٨ر٧ فى المائة فى الميزانية الى ٤ر١ ٪ « ان ابطال التعايم المجانى وازدياد أجرة التعليم فى المدارس المتفرنجة ليس من دلائل التأخر ولا هما مضران بمصلحة البلاد الحقيقية بل هما بمثابة ابطال امتيازات استغرقت حتى الآن كل أموال نظارة المعارف وانفاقها على التعليم الموافق لمصلحة امانى امة عموما ثم أن التعليم المجانى وضع ليستفيد منه الفقير ولكن لم يستفد منـــه فعـــلا الا اهـــل الغنى والجاه ومحسوبوهم بواسطة نفوذهم ووسطائهم اما التلاميـــذ المحتاجون المستحقون المساعـــدة فكانوا مضطرين أن يدفعوا أجرة تعليمهم .

العلاج الناجح الشافى الطلبة الفقراء هو فرض مصاريف .

* * *

الجامعة الاسلامية والحركة الوطنية فى تقرير كرومر سنة ١٩٠٦

لا يخفى أن المصريين كانوا خاضعين لغيرهم اكثر زمانهم فقد حكمتهم دول الفرس فاليونان فالرومان فعرب جزيرة العرب وبغداد فالجراكسة فالترك آل عثمان فى الختـــام .

ان الجامعة الوطنية المصرية لا تزال الى يومنا هذا من قبيل الناميات من الخارج لا من الناميات من الداخل فهى انما نتجت عن مخالطة مصر لأوربا التى اشار اليها نوبار باشا بفم الخديوى الذى قال ان مصر لم تبق جزء من أفريقية ، ثم انها تولدت فى الاذهان من تأثير الفوائد التى فاضت عليها بسرعة لم يكد يسبق لهـــا نظـــير فى التاريخ بادخال التمدن الغربى اليها على يد أمة غريبة عنهـــا .

احذر الباحثين فى أمور مصر من السرعة فى التعميم وتجريد الاحكام الكلية فى ابحاثهم فانهم ينسون ان الهيئة الاجتماعية المصرية مقسومة اقساما عديدة تبعا للمصالح والاراء المختلفة بل المتباينة كما يشاهد فى كل هيئـــة اجتماعية أوربية .

اذا قلنا أن الحركة المصرية الحالية ليست الا حركة الجامعة الاسلامية لم يطابق قولنا الواقع من كل وجه ولكن لا ريب فى كون هذه الحركة مصبوغة صبغا شديدا بصبغة الجامعة الاسلامية .

ولو سلم الانسان بأن الدين اعظم قوة محركة فى الشرق ، وان الشرقيين لا تخلو لهم حكومة كالحكومـــة الثيوقراطية .

انى لا زلت مقتنعا أن الميل الى الجامعة الاسلامية متأصل كثيرا فى الهيئة الأجتماعية المصرية ، بل انى واثق انه لو كان المصريون يعتقدون امكان اخراج الاراء المتعلقة بتلك الجامعة من القوة الى الفعل لانقلب الرأى العام عليها انقلابا عظيما سريعا .

اتضح أن الجامعة الاسلامية عنصر من عنـــاصر الحالة المصرية التى يجب حفظها فى البال فلذلك يحسن بنا فهم المقصود منها .

والمقصود من الجامعة الاسلامية بوجـــه الاجمال اجتماع المسلمين فى العالم كله على تحدى قوات الدول المسيحية ومقاومتها فاذا نظر اليها من هذه الوجهة وجب على كل الامم الأوربيةالتى لها مصالح سياسية فى الشرق أن تراقب هذه الحركة مراقبة دقيقة لأنها يمكن أن تؤدى الى حوادث متفرقة فتضرم فيها نيران التعصب الدينى فى جهات مختلفة من العالم ، وقد أوشكت هذه النيران أن تضطرم فى مصر فى الربيع الماضى .

هاجوا من قراءة المقالات التى كانت تصـــدر فى الجرائد الاسلامية طافحة بالاغراء والكذب هيجانا شديدا دفعة واحدة .

ولا ريب عندى أن البلاد كانت عرضة لخطـــر حقيقى برهة من الزمن فقد جاءتنى اخبار وتقارير عديدة عن تهـــدد المسيحيين والأوربيين ، حتى تولى الرعب الأوربيين الساكنين فى القطـــر فجعلوا يتقاطرون من القرى الى المدن .

انى أن كنت لا أصدق أن الجامعة الاسلامية تتيح غير اضطرام نيران التعصب فى أمكنة متفرقة فذلك لأنى لا أصدق أن المسلمين يتحدون معا ويتعاونون متىخرجت المسألة من القول الى الفعل ، وثانيا لأنى واثق من قوة أوربا واقتدارها عند الاقتضاء على تلافى هذه الحركة من الجهة المادية وان تكن غير قادرة على ذلك من الوجهة الروحية .

والجامعة الاسلامية عبارة عن معان اخرى غـــير معناها الأصلى : هذه المعانى اهم بالنظر الى ما نحن فيه من المعنى الأعم فمنها أولا فى مصر الخضوع للسلطان وترويج مقاصده وهذا يدل على دخول عنصر جديد فى حالة مصر السياسية فقد كانت الحركة الوطنية دائرة على مضادة الترك الى عهـــد قريب اذ الثورة العربية كانت فى الأصل على تركيا والترك .

ثانيا : أن الجامعـــة الاسلامية تستلزم بالضرورة تهييج الاحقاد والجنسية والدينية الا ما ندر فلا شك أن

كثيرين من أنصارها ينصرونها عن حرارة دينية حقيقية وآخرين يودون لو امكنهم أن فرقوا بين القضايا السياسية والدينية وبينها وبين الجنسية أيضا . اما لأن مبالاتهم بالدين قد قلت حتى أوشكوا أن يحاكوا اللاأدريين أو تكون اغراضهم سياسية او لكونهم يقصدون تحين الفرصة للانتفاع بها او لكونهم اتبعوا الآراء الحديثة عن وجوب التسامح فى الدين .

ثالثا : ان الجامعة الاسلامية تستلزم تقريبا السعى فى اصلاح أمر الأسلام على النهج الاسلامى ، السعى فى القرن العشرين فى اعادة مبادىء وضعت من الف سنة هدى لهيئة اجتماعية فى حالة الفطرة أو السذاجة ، هذه المبادىء منها ما يجيز الرق ومنها ما يتضمن سننا وشرائع عن علاقات الرجال بالنساء مناقضة لآراء هذا العصر ، ومنها ما يتضمن أمرا أهم من ذلك ، وهو افراغ القوانين المدنية والجنائية والمالية فى قالب واحد لا يقبل تغييرا ولا تحويرا وهذا ما وقف تقدم البلدان التى دان أهلها بالاسلام .

لهذه الأسباب لا يجد المهتمون باصلاح مصر بدا من استنكار الدعوة الى الجامعة الاسلامية ويجب أيضا بذل أقصى العناية فى السهر على كل ميل طبيعى جائز الى الجامعة الوطنية لكى لا يحتذيه على غير انتباه من صاحبة هذه الحركة (حركة الجامعة الاسلامية) التى هى أعظم الحركات المتقهقرة فلا تستحق أن يميل أحد اليها . لأنه قد يعسر على الانسان أن يميز شبح الجامعة الاسلامية اذا تجلبب بجلباب الجامعة الوطنية .

بجانب حركة الجامعة الاسلامية حركة أخرى يصح أن تسمى بالحركة الوطنية ، اذ الحركتان تمتزجان حيث لا يسهل على الانسان . . الذين يسمون الحزب الوطنى لا يكاد يكون شك فى انهم لا ينوبون عن السواد الأعظم من الأمة فى رغائبها وأمانيها .

ولا ريب ان ابناء هذا الزمان آخذون فى نسيان المساوىء التى كانت فى الماضى ، ثم ان التعليم والتهذيب اثار اطماعا كانت كافية لا ريب ان أحداث المصريين يبدئون يصيحون للحصول على نصيب اعظم فى حكومة بلادهم او ادارتها .

ليس فى الناس أقل حكمة ممن يمتنع فى بدء هذه الحركة عن ارشاد من يريد الاصغاء الى حكم العقل الى الحدود التى يجب قصر تلك الأمانى عليها وعدم تعديها فى الوقت الحاضر .

انى صديق للمصريين اصدق من أن أتملقهم أو أغشهم فلذلك أسأل نفسى قائلا: ما الذى يرومه الاحداث المصريون على ما يستفاد من الآراء التى ينوب الحزب الوطنى عنهم فيها .

فماذا لا يرجون أن يرتقوا الى مناصب الحكومة العامة التى يتقلدها الأوربيون الآن وليس عندى كلمة ضد هذه الأمنية .

أى انسان صحيح العقل يعتقد أن البلاد التى قضت القرون الطوال وحكامها من الفراعنة الى الباشوات يسومونها أشد الظلم والعسف فى الحكم وأهلها أميون تطفر طفرة واحدة حتى تصبح قادرة على استعمال حقوق استقلالها : ان ذلك هو المحال بعينه .

يحسن بكل أمة ، بل برجال السياسة العملية ان يضعوا نصب عيونهم غاية ذهنية ويرموا الى ادراكها ، ولو كان ادراكها بعيدا فلذلك أعرض الآن لكل القاطنين فى القطر المصرى بصرف النظر عن محلهم ومالهم وأصلهم وفصلهم .

بقى أن اقول ان فى مصر عدا أولئك المصريين الذين انتحلوا لقب (الحزب الوطنى) فئة صغيرة متزايدة من المصريين الذى لم يسمع غير القليل عنهم فرجال هذه الفئة يستحقون ذلك اللقب قدر ما يستحقه مناظروهم الذين يختلفون عنهم فى آرائهم وأفعالهم وهم رجال الحزب الذى اسميهم حبا بالاختصار اتباع المرحوم المفتى السابق الشيخ محمد عبده فقد اشرت مرارا فى تقاريرى السابقة الى آرائهم المشابهة لآراء المرحوم السيد احمد خان مؤسس مدرسة عليكرة فى الهند ومقصدهم الأساسى أن يصلحوا معالم الاسلام من غير أن يزعزعوا أركان الدين الاسلامى فهم وطنيون صادقون بمعنى انهم يرومون ترقية مصالح أبناء بلادهم وأبناء ملتهم ولكنهم مجردون من صبغة الجامعة الاسلامية .

وبيان مقاصدهم ومطالبهم اذا أصاب فهمى له لا يتضمن معارضة الأوربيين فى ادخال تمدن الغربيين الى بلادهم بل معاونتهم فى ذلك فرجاء الجامعة الوطنية المصرية بمعناها الحقيقى الذى يقوم عليه معقود بهذا الحزب على ما أرى ، فتعين فى هذه الأيام رجل من أشهرهم وهو سعادة زغلول باشا النظارة خلافا لما زعم قوم ولا الرغبة فى تفسير أمر جوهرى فى سياسته ناظرا المعارف العمومية والسبب فى تعيينه (ليس عدم الرضا

عن ادارة تلك التعليم الذى جرت النظارة عليه لهــــذا العهد) .

بل الرغبة فى اشرمك رجــــل كفء بارع ومصرى مستنير الذهن من رجال هذه الفئة فى عمل الاصــــلاح المصرى . وانما تعيينه تجربة ، وهذه التجربة ستراقب بمزيد الاهتمام فاذا صحت كما هــــو املى واعتقادى شددت العزيمة خطوة اخرى فى هذا السبيل واذا لم تصح فلا غنى عن ابقاء مقاليد الاصلاح الى الأوربيين وخصوصا البريطانيين اكثر مما كان فى المــاضى ، لكن التقهقر ممتنع فى الحالين اذ ادخال تمدن الغربيين الى مصر جار فى كل ديوان .

* * *

من تقرير كرومر ١٩٠٥

أما مريدو الشيخ محمد عبده واتباعــه الصادقون فموصوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون ، وهم بالنظر الى النهضـــــة المالية بمنزلة الجروندست فى الثـورة الفرنسية فالمسلمون المتطعون المحافظون على كل امر قديم يرمونهم بالضلال والخروج على الصراط المستقيم والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق منهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة فهم وسط بين طرفين ولا يدرى الا الله ما يكون من أمر هذه الفئة ما اذا كانت آراءها تتخلل الهيئـــة الاجتماعيـــة المصرية أولا وعسى الهيئة الاجتماعية أن تقبل آراءها على توالى الأيام .

ولا ريب عندى ان السبيل القويم الذى أرشد له محمد عبده هو السبيل الذى لو قال رجال الاصلاح من المسلمين الخبر فيه لبنى ملتهم اذا ساروا فيه فاتبـــاع الشيخ حفيون بكل عطف وميل وتنشيط من الأوربيين . الشيخ محمد عبده خير مرشد لنا فيما يتعلق بالشريعة الاسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجــــع اليه كثيرا للتزود من صائب آرائه والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراءه على الدوام فى المسائل الدينية و الشبيهة بالدين سديدة صادرة عن سعة فى الفكر وكثيرا ما كانت اكبر معوان لمساعدة النظارة فى عملها .

(راجع تقارير كرومر بدار الكتب المصرية)

* * *

(١٢١)

محمــــد على

كتب الشيخ محمد عبده فى المنار ١٩٠٢/١٣٢٢ هـ بمناسبة مرور مائة سنة على تأسيس ملك هذه الأسرة . قال :

ان لمحمد على ثلاثة اعمال كبيرة كان كل منهاموضع خلاف كان نافعا أو ضارا بالمسلمين فى سياستهم العامة :

١ ــ تأسيس حكومة مدنية فى مصر (اى علمانية) كان مقدمة لاحتلال الأجانب له .

٢ ــ قتاله للدولة العثمانية بما اظهر به للعالم كله ولدول أوربا خاصــــة ضعفها وعجــزها وجراهم على التدخل فى امور سياستها .

٣ ــ مقاتلة الوهابية والقضاء على ما نهضوا به من الاصلاح الدينى فى جزيرة العرب مهد الاســــلام ومعقله .

وكتب الشيخ محمد عبده فى العدد التالى مقـــالة بامضاء مؤرخ قال :

هذا يعنى أن محمد عبــده ومدرسته لا ينسون مساوىء محمد على فى نسخ الأحكام الشرعية واعلانه ــ العلمانية ــ فى مصر وهو اول من تجرأ فى العــــالم الاسلامى على استبدال القوانين الأوربية بالشريعـــة الاسلامية ولا ينسون قتاله لخليفة المسلمين مما يعــد حرابه ولا ينسون قضاءه على دولة السعوديين العربية المسلمة الصالحة السلفية ، ولا ينسون أن (توفيقا) هو الذى تآمر على ثورة عرابى واستدعى الانجليز لاحتلال مصر واحتمى بجيشهم بعد أن عاهد (جمال الدين) على تطبيق حكم الشورى بمصر ثم نفــاه وزعم أنه رئيس عصابة من المفسدين .

* * *

(١٢٢)

بلنت : التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر ١٩١٠

قال الكاتب البريطانى فى مقدمة كتابه : احذروا منا فاننا لا نريد لكم شيئا من الخير ، ولن تنالوا منا الدستور ولا حرية التعليم ولا الحرية الشخصية ، وما دمنا فى مصر فالغرض الذى نسعى اليه من البقاء فيها هو أن نستغلها لمصلحة صناعتنا القطنية فى مانشستر ، وأن نستخدم أموالكم لتنميـــة مملكتنا الافريقية فى السودان ، وان نستمر بأقل حياء من الماضى فى تنمية مشروعاتنـــا المالية الانجليزية الصهيونية فى بلادكم ، وان نقيد أيديكم وأرجلكم لنجعلكم هدفا لأطماعنا الاقتصادية . لم يبق لكم عذر ، اذ أنتم انخدعتم فى نياتنا بعد ان وضح الأمر فيها وضوحا تاما ، فاحذروا أن تنساقوا الى الرضا باستعباد بلادكم ودمارها ، ثابروا على أن تعارضونا معارضـــة جهرية جريئة كل يوم ، اطلبوا بلسان واحد ، وفى كل فرصة أن يوضع حد لما تتألمون منه وأن نعود نحن الى حظيرة القانون وأن نسحب جنودنا من بلادكم وان نكف عن التدخـــــل فى شؤونكم . اطلبوا ذلك فانكم بطلبه لا تخسرون شيئا ، اذ نحن غرباء فى بلادكم ، ومن حقكم أن تطالبونا بتركك وذكرونا دائما وبكل وسائل الاعلان بأن لا حق لانجلترا أن تتصرف قبلكم تصرف السيد وانكم لا تريدوننا حامين لكم ولا مستشارين ولا منظمين لادارتكم ولا تتركوا لنا عذرا نعتذر به لندعى لأنفسنا شيئا من ذلك . اظهروا معاداتكم لنا بصراحة ولكن لا تظهروها بثورات سابقة للاوان لا تفيدكم شيئا بل بتلك الوسائل التى تستطيعها كل الشعوب التى تمنى بالأجنبى وهى مقاطعته فى معاملته التجارية والرسمية وفى عـــلاقات الأفراد بعضهم ببعض وفى اليوم الذى يفهم فيه ذهن جمهورنا الثقيل أن الفائدة من احتلال بلادكم لا توازى المتاعب والأخطار التى تسببها لنا نرى أنكم محقون ونترك بلادكم وثقوا اننا لن نتركها قبل ذلك بلحظة واحدة .

***

الدولة العثمـــانيـــة

* دراسة تاريخ العثمانيين .
* الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد .
* اسقاط الخلافة الاسلامية .
* شارة السلطان عبد الحميد .
* تركيا الاسلامية .
* الاتحاديون والدعوة الطورانية .
* رابطة العرب والترك حطمها الاتحاديون .
* الارساليات التبشيرية : الموارنة والكاثوليك .
* المؤامرة على الدولة العثمانية .
* القنبلة الكمالية تصيب كبد الاسلام .
* خطة اتاتورك .
* ارنولد توينبى وتجربة تركيا الكمالية .
* تركيا بعد اتاتورك .
* الانقلاب التركى ١٩٨٠ .
* محاولات العودة الى الاسلام .
* مؤتمر السيرة النبوية فى تركيا .
* ماذا فعل اتاتورك باللغة التركية .

دراسة تاريخ الدولة العثمانية

يجب ملاحظة ما يلى فى دراسة تاريخ العثمانيين :

أولا : التفرقة الواضحة بين عهد السلطان عبد الحميد (حتى ١٩٠٩) وبين عصر الاتحاديين (الذى بدا بعد ذلك) .

ثانيا : كذب الادعاء بأن الدولة العثمانية احتلت البلاد العربية .

ثالثا : التأكد من ان الهدف من اسقاط الخلافة هو تمزيق الرابطة العضوية بين العروبة والاسلام .

رابعا : تزكية الخطة البارعة التى قادها السلطان عبد الحميد فى مواجهة المؤامرة الصهيونية .

خامسا : كشف خطة الصهيونية فى انشاء محافل الماسونية فى سالونيك واستيعاب جمعية الاتحاد والترقى

ركزت الحملة الاستعمارية على الدولة العثمانية فى اتهامات كثيرة :

أولا : ركزت على اظهار هذا الوجود العثمانى بأنه استعمار ولا بد من الثورة عليه من داخل فكرة قومية العرب واتحاد الدولة العربية الكبرى مع ان الحقيقة التاريخية هى أن العرب قد قبلوا طواعية الاتحـــاد مع الدولة العثمانية للوقوف فى وجه المؤامرات الاستعمارية التى كانت تعمل على اجتياحهم .

هذا فضلاً عن ان العثمانيين كانوا السبب المباشر فى توقف المعارك الصليبية فى الشرق العربى حيث قاموا بنقل ميدانها الى أوربا نفسها عندما توجهت بالجيوش العثمانية تستولى على أمـــلاك الدولة البيزنطيـــة وامبراطوريتى النمسا والمجر ويمكن القول انه لولا قدوم العثمانيين الى مصر ١٩١٧ لما ظلت فلسـطين عربية اســـلامية حتى عام ١٩١٧ وكان على الاستعمار الغربى والصهيونية لكى يصلوا الى فلسطين أن يقضيا على هذا الوجود العثمانى واقصر طريق لذلك هو احداث وقيعة بين العرب والترك كما حرضت بريطانيا العرب على الثورة ضد الاتراك وقد حاول اليهود والاستعمار التهويل فى اخطاء الدولة العثمانية والتنكر اشد التنكر للخليفة (السلطان عبد الحميد) فاعلنوا شيئا فى صور اكبر من الحقيقة بكثير وقد تأثر العرب والترك بالدعاية التى غذتها الصهيونية والاســتعمار حتى اكلت الفتن العرب والدولة العثمانية وحقق اليهود هدفهم بتنحية السلطان عبد الحميد وتسليم السلطة الى جمعية الاتحاد والترقى وتوجيهها الوجهة الطورانية .

* * *

ان البلاد العربية قد قبلت طواعية سيطرة العثمانيين والتشدد السنى خاصة وأن الفتح العثمانى تزامن مع الخطر البرتغالى والانفجار الشيعى فى ايران على يد الشاه اسماعيل الصفوى ، وآثر العثمانيون أن يحمـــوا أملاكهم من الخطر الأوربى الاستعمارى عن طريق عزلها عن أوربا فى الوقت الذى ابتعد فيه الأوربيون انفسهم عن مواصلة الاحتكاك التقليدى بالشرق الأدنى وبخاصة فى المجال التجارى بحكم انهم اثروا الاتجـــــاه الى الشرق بالدوران حول افريقيا .

والعثمانيون ليسوا وحدهم المسئولون عن عزلة العالم العربى بحكم أن الغربيين اداتهم قد ابتعدوا عنه جريا وراء الارباح الضـــخمة التى كانت تدرها عليهم الطرق التجارية الجديدة .

وكان من دوافع الكشوف الجغرافية تطويق دار الاسلام وحصارها وضرب الاحتكار التجارى الذى فرضه مماليك مصر والشام المتحالفين مع جمهورية البندقية .

والعثمانيون لكونهم محاربين من الطـــراز الأول تدفعهم الحماسة الدينية الى متابعة الجهاد الاسلامى قد وقفوا وحدهم فى وجه أوربا وصدوا امتداد الاستعمار الأوربى الى قلب الوطن العربى وحموا قيمه وتقاليـــده وثروته والا لاغتصبه المستعمرون الأوربيون منذ بداية العصر الحديث وفعلوا فيه ما فعلوه فى سكان الامريكيين الأصليين واكتسحوا بنيانه ودمروا قوته الذاتية وهكذا حين أحس العرب بالتحدى الأوربى فى القرن التاســـع عشر كانت لديهم القاعدة الاساسية للانطلاق نحـــو المقاومة ، وكذلك اقطار المغرب العربى التى صـــدت

الصليبية الأوربية قبل سقوط غرناطة وبعدها ودخلت (باستثناء مراكش) فى اطار الدولة العثمانية رغبة منها فى تنسيق الجهود ضد الغزو الأوربى وكافحت الاستعمار الأوربى من متطلعات اسلامية سواء فى المغرب أو الجزائر أو تونس أو ليبيا دون ان يبدو لدى مفكريها التحامل على الدولة العثمانية الذى تلمسه فى الشرق العربى (احمد عبد الرحيم مصطفى)

* * *

كانت الوحدة الاسلامية العثمانية هى الحامية من سقوط البلاد العربية فى قبضة الاستعمار أربع قرون كاملة ، فقد تلقى الترك عن الاسلام والمسلمين ضربات أوربا مجتمعة من بريطانيا الى روسيا ومن النمسا الى البرتغال ، ضربات أوربا الاستعمارية التى استخدمت فيها كل أساليب التآمر وشراء الذمم والغزو المسلح .

كما أن المرابطين والموحدين والمرينيين أجلوا سقوط الأندلس فى قبضة الاسلام طيلة أربعة قرون .

* * *

كان دخول العرب فى الدولة العثمانية فى القرن السادس عشر ضرورة تاريخية حتمت انتقال السلطة فى الوطن الاسلامى وخاصة فى آسيا الغربية وفى شمال افريقيا الى أكبر قوة عسكرية من أبناء الاسلام لصد خطر الافناء الصليبى الذى صاحب نهضة الافرنج واكتشاف رأس الرجاء الصالح وبداية عصر الكشف الاستعمارى ، دخلت الجزائر باختيارها وكذلك امراء لبنان وشريف مكة ولم يكن هذا مفهوم الاستعمار الذى جاء بعد مرافقا للاستعمار الغربى . واستطاع الترك أن يصدوا الخطر على العالم الاسلامى وأخروا احتلاله مابين ثلاثة واربعة قرون (الجزائر ١٨٣٠ المشرق العربى ١٩١٦) ولهم بذلك فى ذمة الاسلام والمسلمين دين لا ينقصه ولا يشوهه ، صدت المدافع التركية سفن المستعمرين الجدد وطاردهم الأسطول التركى (٢٠٠ سفينة) فانطلقت سفنهم تعيث فسادا بعيدا عن نيران الاتراك فنهبت وابادت شواطىء افريقيا الغربية والجنوبية وسلبت الشرق الاقصى من الحكم الاسيوى (الهند واندونيسيا والفلبين والملايو) والولايات الاسلامية ما بين روسيا والصين وايران .

(جلال كشك)

فى الدولة العثمانية كانت الشريعة الاسلامية هى شريعة البلاد الأولى ، القانون المدنى الذى طبق بهاتحت اسم المجلة عام ١٨٦٩ عبارة عن تقنين لأحكام تلك الشريعة أخذا بمذهب الامام أبو حنيفة . كان تطبيق الاحكام على جميع رعايا الامراطورية العثمانية سواء كانوا من المسلمين أو غير المسلمين .

* * *

ان التسامح الأسلامى والايمان بالمساواة هو الذى مكن القوميات البلقانية من النمو والتطور الى حد امتشاق السلاح والانفصال بمعونة الكنيسة الروسية وجيوش وأموال القيصر وبما استطاع الاستبداد الروسى أن يقصم ظهر الولايات الاسلامية ويمتص منها كل حيوية وهى أعرق ثقافة وأكثر تحضرا من شعوب البلقان .

لقد تألف الاتراك جميع الاقليات فى ظل تسامح دينى وجنسى نادر بينما حرمت الشعوب المسلمة فى روسيا القيصرية من كافة الحقوق .

خدعة أخرى خدع بها المسلمون انهم سمحوا للاقليات بحرية الحركة .

* * *

كيف قضى الأتراك على دولتهم بنقص قوانين الاسلام ؟

يقول باول شمتر فى كتابه قوة الغد العالمية ، ان أخطر ذلك هو منح الامتيازات للدول الأجنبية والسماح لكل مذهب بحرية ممارسة طقوسه وعبادته ، واعلان حرية الأديان واعطاء كل طائفة الحق فى انشاء مدارس خاصة بها وبهذا انهارت الجسور الأخيرة التى ضمت المملكة العثمانية مع الطوفان الثقافى الذى ظهر فى الغرب ودفع على هيئة تيارات قوية عبر الممالك التى منحتها أوربا الى الشرق لقد بدأت حقيقة تاريخية تنساب منها الموجات ذات الأثر الفعال الذى سيقرر مصير العالم الاسلامى بالنسبة لاستمرار التطور فلأول مرة فى تاريخ الاسلام يسوى بين المسيحى والمسلم فى قانون مدنى فى دولة اسلامية ، قصد الباب العالى بهذه التسوية ١٨٥٦ أن يلعب بها دوره فى الأرجوحة السياسية فى عالم الصراع من القوى الكبرى غير انها كلفته كثيرا فقد انتقصت من سلطاته المطلقة واضعفت هيبته داخل المملكة وفى أواسط المواطنين المسلمين ودفعتهم الى التحرك وتحت ضغط القوى الغربية اندفع فيضان التجديد الى أبعد من هذا ففى أواخر العقد الخامس فوجىء

الشعب باصلاحات فى القضاء وفى اجهزة الدولة المالية ولم يتوقف عن هذا الحد بل واصل تقدمه لحصول لبنان على نظام جديد منح المسيحيين امتيازات جعلت كفتهم راجحة على كفة غيرهم . ان العقبل الاوربى الذى استعانت تركيا بمساعدها على تنفيذ البرامج الاصلاحية كى تستطيع الدفاع عن نفسها وتتمكن من الوقوف ضد الهجوم عليها لايستطيع احد التخلص منه ابدا فقد أعطى الامتيازات ونال من الفرص ما مكنه من ان يثبت اقدامه فوق هذه الأرض . لقد ضمنت الحكومة لكل الطوائف حرية ممارسة شعائرهم ومزاولة طقوسهم ، حرية النشر وحرية التعليم ، ولم تلق هذه الاصلاحات اى صدى لدى المواطنين بل فتحت ابوابا اخرى أمام قوى البلاد الأجنبية نفذت من خلالها (البرلمان ١٦٦ منهم ٤٠ مسيحيا) تعثر سير النموذج الأوربى لعدم فهمه فلم يستمر سوى سنتين فقط ، كانت الاصلاحات مدفوعة بمحاكاة النظم الاوربية .

* * *

ان قمع الحركات الانفصالية والمذابح العامة لليونان والبلغار والأرمن لم يكن اجراء دينيا بل كان أمرا عسكريا سياسيا للقضاء على حركات انفصالية هددت أمن الدولة الخارجى والداخلى وكانت دول اوربا تقف وراء رعايا الدولة غير المسلمين تحرضهم على الثورة ضد الحكم الشرعى وهو السلطان ولاتثريب عليه اذا لجأ الى مثل هذا الأجراء من أجل المحافظة على تماسك ولايات الدولة .

* * *

القضاء على الانكشارية

أول من فتح باب الأصلاح فى الأخذ بالنموذج الغربى هى تركيا فى القرن التاسع عشر :

١ ــ الغاء الانكشارية (السلطان سليم الثالث) وانشاء نظام جديد ثم جاء (محمود الثانى) واستطاع ان يواجه الانكشارية فى معركة فاصلة وقضى معهم على فرق البكتاشية التى كانت تساندهم والذى حدث ان استطاعت روسيا الاستيلاء على العديد من المناطق والاقاليم واجبرت السلطان على توقيع صلح ١٢٨٧ واتفاق تنفتح به الدولة العثمانية امام الروس من ناحيتى القوقاز والدانوب .

٢ ــ وفى ١٨٢٧ وقعت كارثة نفارين باليونان وتحقق بها ضرب القوة البحرية للدولة العثمانية واضطر السلطان لقبول طلبات الأوربيين بشأن استقلال اليونان

٣ ــ بدأ محمد على حملة على بلاد الشام ١٨٣٠ واحتلت الجزائر ١٨٣٠ قال المؤرخون الأوربيون ان ضرب الانكشارية والبكتاشية أزال الحواجز امام دخول الخبراء الأوربيين واتصالهم الحر لاحداث تغيير جذرى فى الدولة .

٤ ــ ان ضرب الانكشارية وان كان حرر السلطان من قيده منذ حرر الأوربين من الرهبة من الدولة العثمانية فبدت امامهم شبه عارية .

قال كرامور ان فعلة محمود كانت أقرب الى التخريب منها للتعمير ، قال السلطان عبد الحميد الثانى : ان الخطأ الكبير حقيقة يأتى من أيام جدى محمد الثانى الآن : لقد قضينا على الانكشارية ولكننا لم نقض على الاسباب التى افسدت الانكشارية .

هذا مثل لما يمكن ان يترتب عليه اجراء اريد به الأصلاح وضرب ما يعتبر قديما باليا يقف عقبة فى وجه الإصلاح لما يمكن أن يترتب على ذلك من صدع فى بنية الدولة أو المجتمع والمحاذير الاصلاح تحت خط النار وليس تدمير القديم مما يقضى تلقائيا الى فتح الطريق للاصلاح والنهوض المرموقين .

وتظل العبرة فى فاعلية الأجراء المتخذ كمقياس اثره فى السياق السياسى او الأجتماعى او الاقتصادى القائم .

وقد جرى سعى أوربا للتدخل فى شئون الدولة العثمانية عقد مؤتمر الاستانة (اكتوبر ــ ١٨٧٦) باسم معالجة المشاكل القائمة فى البلقان للتآمر على الدولة باسم حماية الاقليات المضطهدة بها ، كذلك فان الدستور قيد سلطة السلطان وفتح الطريق الى الاقليات والى سيطرة الغرب على البلاد .

(طارق البشرى)

* * *

ان ظهور العثمانيين قد ملأ فراغا فى التاريخ والجغرافيا الاسلامية اذ انه قد تزامن مع ظهور وانتصار القوى الصليبية فى غرب العالم الاسلامى حيث سقطت الاندلس وكادت أن تتبعها بقية دول المغرب العربى ولكن

فى الوقت الذى سقطت فيه حواضر المسلمين فى الاندلس فتحت القسطنطينية وفى الوقت الذى اندفع فيه صليبيو أسبانيا نحو العالم الاسلامى من الغرب اندفع فيـــه الفاتحون العثمانيون نحو أوربا من الشرق وهكذا اندفعت دماء جديدة فى الشرايين الاسلامية وبفضلها بقى الشمال الافريقى على الاقل عربيا مسلما حتى الآن .

وبسبب من الاطماع الاستعمارية كانت المخططات الاوربية للقضاء على الدولة العثمانية على مدى قرنين من الزمن وأخذت أوربا تغذى النزعات الانفصالية من الداخل حتى ارهقت الدولة العثمانية واستنزفت طاقتهـــا فكان طبيعيا أن تنهار فى أول مواجهة شاملة فى الحرب العالمية الاولى .

نزعة الطورانية التى استبدت برجال الاتحـــــاد والترقى والتى سوغت بالمقابل ظهور النظرات العنصرية لدى الاقوام الأخرى فكانت النتيجـــة انهيار تلك الدولة وتفتيتها بشكل لا يزال المسلمون يعانون من اثاره حتى الآن .

***

الطريق الى فهم الحكم العثمانى يبدأ بفهم العثمانيين ولكى تنجح يجب أن تتوفر للباحث ثلاث عناصر :

١ ــ نشر وثائق الدولة العثمانيـــة وهى مكتوبة بعدة لغات (العربية والتركية واللاتينية) ومحفوظة فى عدة دور حكومية ممتدة فى أوربا وافريقيـــا ، وفى دور المخطوطات فى استانبول وحدها ١٥٠ مليون وثيقة لم تدرس ولم تصنف منها الا عدد لا يفصح عن نفسه خجلا .

٢ ــ نشر المخطوطات ورحلات العثمانيين ورحلات الضباط العثمانيين فى السودان واليمن والحجاز وليبيا وتقارير المخابرات العثمانية فى بعض المسائل الهامة .

٣ ــ نشر القوانين العثمانية ففيها القاء الضـــوء الساطع الذى يكشف التـــاريخ الاقتصـــادى العربى فى العهد العثمانى قبل الحديث عن اثقال العثمانيين للعرب بالضرائب .

٤ ــ فهم العثمانيون تشـــكيلا ونظما وحضارة ، وفهم طبيعة العثمانيين فطبيعة الدولة العثمانية عسكريا جهـــادية كما يعرفها المؤرخون فقد بدأت امارة ثغر ثم تحولت الى سلطة ثم الى خلافة وسلطة . بدأ التاريخ العثمانى فى الربع الاول من القرن الثالث عشر الميلادى ، وكانت تسود البلاد وقتئذ رهبة وذعر من الامبراطورية المغولية التى اقامها جنكيز خان وكان هذا قد استولى على شمال الصين ثم بدأ زحفه نحو تركستان ، المغول على دين الشامانية وكان سكان تركستان اتراكا مسلمين فى ذلك الوقت .

واتجهت عشيرة قابى الى الاناضول (٤٠٠ خيمة) ٤ آلاف شخص وفى الاناضول ساعدت هذه العشيرة السلطان علاء الدين السلجوقى حاكم قونية فى احـــدى معاركه مع طوران شاه جلال الدين فاقطعها الاخير قطعة من الأرض على حدوده مع بيزنطة ، أميرها فخر الدين بن عثمان الذى سميت الدولة العثمانية باسمه .

امارة الثغر هذه امارة عسكرية جهادية ، استطاع الامير عثمان ان يوسع ثغره على حساب القوى البيزنطية الى مسافة ، تولى أورخان بن عثمان الذى أرسى حضارة عثمانية اســـتمدت عناصرها من التراث السلجوقى وحضارة السلاجقة والسلاجقة اتراك مسلمون ، تولى مراد فاتح صوفيا عاصمة بلغاريا اليوم ، اتحدت ضده كل الجيوش الأوربية ، والكنيسة ، ولكنه اندفع فى سرعة الانتشار مع الصمود فى وجه أوربا المتحـــــدة بايزيد الصاعقة ، جـــاء تيمور لنك وحارب بايزيد فى موقعـــة انقرة ١٤٠٢ وهزم بايزيد واسر ثم مات فى الاسر ، وبدأ محمد جلبى الأول فى جمع شمل دولة انفرط عقــدها ، (محمد الأول) أول سلطان عثمانى يرسل الصرة الى الحجاز ثم تولى مراد الذى حاصر بلغراد ستة اشهر كاملة وفتحها العثمانيون بعد ذلك ١٥٢١ م ، تولى محمد الفاتح ــ بايزيد الثانى ــ الذى كان معاصرا لمحنـــة المسلمين فى الاندلس ثم جاء سليم الأول : الفاتح العثمانى للبلاد العربية ــ أول خليفة عثمانى وعندما مات سليم الأول كانت دولة الخلافة العثمانية موزعـــة فى أوربا وآسيا وافريقيا وخطب لسليم الأول فى جوامع دمشق والقاهرة باعتباره خليفة ، تولى ســـليمان القانونى ، وتعاقب من بعده السلاطين والخلفاء .

قامت امارة الثغر العثمانية ١٢٩٩ وانتهت السلطة ١٩٢٢ وبدأت الخلافة العثمانية ١٥١٧ وانتهت ١٩٢٤ .

واستطاع العثمانيون ان يحافظوا على وجودهم ستة قرون وربع قرن فهل يعقل أن تحافظ هؤلاء على وجودهم هذا الزمن بدون حضارة قال لورد كيروس :

ان الامبراطورية العثمانية كانت في ضخامة الامبراطورية الرومانية حيث كانت تساويها تقريبا من حيث المساحة ولكن الامبراطورية العثمانية حافظت علي وجودها في ضعف المدة التى احتاجتها الأمبراطورية الرومانية في هذا الشـأن .

ليس في قصـور العثمانيين ما يضارع قصر ملك أوربى في حينه كان القصر الهمايونى (السـلطانى) ينقسم الى ثلاث اقسام :

١ ــ الحرم (عائلة السلطان وهو مستقل) .

٢ ــ بدون همايون ، اندون همـايون واندون همايون عبارة عن جامعة خاصة داخل القصر ظلت اربعة قرون كمدرسة فنية تمد الدولة العثمانية بكبار الموظفين من العسكريين والمـدنيين مدرسة تعنى الجامعة لتدريب أصحاب الرتب على ادارة الدولة ويتلقون دراسات خاصة في العلوم العسكرية والعلمية والدينية ويدربون على السباحة والرماية والفروسية حتى عهد السلطان محمود الثانى ١٨٣٣ عندما تبنى الطريقة الاوربية في اعداد الوزراء .

وحتى ١٧٠٠ م كانت المدفعية العثمانية اقـوى مدفعية في العالم وكانت الطوبخانة التركية ومصـنع المدافع المتحرك ، ينقل على ١٢ الف جمل ويتحرك من استانبول الى البانيا ، يصبب مدافعه المواقع البعيدة والسلطان سليم أول من استخدم المدافع غير ثابتة الاتجاه أما الاسطول العثمانى فقد كان حتى ١٨٦٨ الاسطول الثالث في العالم قوة بعد الاسطولين الانجليزى والفرنسى وتشهد ترسانة السويس على دقة التنظيم العثمانى في تنظيم اعداد الأسطول وسرعة تحركه من السويس الى مختلف الأماكن ، وكان له تحركة الى البحرين لانقـاذ المسلمين من البرتغاليين يقول الجنرال النمساوى كونت فارسكل الذى أمضى حياته في محاربة العثمانيين وصل التنظيم الاقتصادى العثمانى الى درجة عالية بحيث لم يكن يعادلها نظير في الحكومات المسيحية .

كما عرفت براعـة العثمانيين في الاستحكامات العسكرية وقد سيطر الفكر الاسلامى على مسار الدولة العثمانية بعد الفتح وأصبحت (استانبول) هى مركز الثقل في الدولة بشكلها الجديد فانتقلت مجموعات من العلماء والمتخصصين في الميادين المختلفة الى استانبول ، ونقل سليم الأول المعماريين المصريين أصحاب الخبرة الى استانبول للافادة منهم ، ومن رابغ الى مكة ، ومن الاسكندرية الى القاهرة ، ومن وهران الى الجـزائر العاصمة ، بل اننا نجد اليوم من يهاجر من بيروت أو دمشق الى القاهرة لابراز موهبة فنية يتصورها او هى بالفعل موجودة فيه .

وكان للعثمانيين من الثقافة الراقية والأدب الأخاذ ما جعل الترجمة منها الى اللغات الأوربية ملحوظة ، وكانت اللغة العربية قبل الفتح للبلاد العربية او بعده لغة الثقافة والأدب والعلوم عند العثمانيين كتبوا بها كل شيء من كتب الفقه والفتاوى والدين واصطلاحات العلوم للعثمانية كانت كلها عربية كما كتبوا بها التراجم مثل الشقائق النعمانية لكاشيرى زاده أو كتبوا بها التاريخ مثل جامع الدول لمنحم ناشى .

وقرر العثمانيون (اللغة العربية) لغة أولى في جميع المعاهد التعليمية ودرسوا بها كافة العلوم واهمل الأتراك العثمانيون لغتهم التركية حتى وقت انهيـار الدولة العثمانية كان العالم العربى والعالم الاسلامى متعاطفا مع العثمانيين اطلقوا اسـماء أبطالهم على اطفالهم : عبد الحميد وعثمان وانور وطلعت .

وقد جمع رئيس جمهورية بخارى للشعب التركى ١٩١٨ خمسة ملايين جنيه ذهبا (مائة مليون روبل) صادر منها لينين عشرة ملايين وارسلت الهند الى انقرة نصف مليون جنيه ذهبا وارسلت مصر الى انقرة في عهد الخديو عباس حلمى ٩٠٠ الف جنيه ذهبا .

كل هذا يكذب دعاوى اعداء الاسلام الذين قالوا ان حضارة العثمانيين هى حضارة عصور العثمانيين ، أو حضارة الحريم وهى قصة ابتدعها الاوربيون .

(محمد حرب عبد الحميد)

دعوة لفتح ملف الدولة العثمانية

من الأحكام الشائعة أن تخلف الوطن العربى في العصر الحديث مرتبط بالسيطرة العثمانية على معظمه منذ أوائل القرن السادس عشر ، وهذا الحكم يتضمن كثيرا من الاسقاط النفسى والهروب من مواجهة الواقع جريا وراء دوافع شعورية ولا شعورية تستند الى نوع من الرضي السلبى عن النفس والمحافظـة على احترام الذات ، ولو حاولنا ان نناقش هذه المقولة على اساس المنظور التاريخى لوجدنا أن عوامل الضعف قد زحفت المجتمعات العربية والاسلامية قبل الفتح العثمانى بوقت

طويل فهى ترتبط أساسا بعاملين رئيسيين : هما الحكم الاستبدادى وما اقترن به من اقفال باب الاجتهاد (اى تعطيل العقل) مما ادى الى تسلط الفكر المحافظ والجمود ونتج عن ذلك أن اصيب الاسلام بمثل ما اصيبت به المسيحية فى العصور الوسطى من تلبيس الدين عقيدة غير عقائده ونسبة الآراء الدينية الجافة اليه وهو منها براء .

نحن نجد أن العثمانيين لكونهم محاربين من الطراز الأول تدفعهم الحماسة الدينية الى متابعة الجهاد الاسلامى قد وقفوا وحدهم فى وجه أوربا وصدوا امتداد الاستعمار الاوربى الى قلب الوطن وحمو قيمه وتقاليده وتراثه والا لاغتصبه المستعمرون الأوربيون فى بداية العصر الحديث .

وهكذا حين احس العرب بالتحدى الأوربى فى القرن التاسع عشر كانت لديهم القاعدة الاساسية للانطلاق نحو المقاومة وتطوير أوضاعهم بما يوائم العصر الحديث وارجاع تخلف العرب الى العصر العثمانى انما هو حكم سياسى فى المحل الأول يستهدف الاقتناع لا الوصف . فرؤية العالم كما يجب أن يكون لا كما هو كائن بالفعل هي هدف هذا التحليل والكبرياء والحساسية يوفران فى كثير من الأحيان اغراء اضافيا بتزييف الحقائق بطريقة غير شعورية .

(دكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى)

وصية بطرس الاكبر

اشتهرت وصية بطرس الأكبر الذى أسندت اليه القيصرية (الروسية) ١٦٨٢ ــ ١٧٢٥ وقد وصفت فى السنوات الأخيرة بانها مزيفة وشكك فيها بعض المؤرخين .

وجاء فى نصها ما يلى : ان من واجبنا ان نتوسع باستمرار على طول بحر بلطيق وشواطىء البحر الأسود اذ علينا ان ننتهز كل الفرص والتى تمكننا من الزحف صوب القسطنطينية (استانبول) والهند فمن يستطيع الاستيلاء على تلك النقاط يمكنه ان يتحكم بالفعل فى مصير العالم .

يقول الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى : كانت هذه الوصية كفيلة بتفجر الحرب العالمية الثانية ومن الثابت أن الدعاية الفرنسية هى التى اختلقت هذه الوصية لاستعمالها سلاحا ضد روسيا قبل حملة نابليون الشهيرة على هذه البلاد عام ١٩١٢ ومنذ ذلك الوقت ترددت اخبار الوصية فى مناسبات عدة للتحذير من الخطر الروسى سواء فى العهد العنصرى أو فى عهد السوفيت خاصة وان الدولة الروسية التى اصبحت احدى دول العالم العظمى تمثل اكبر بلد فى العالم ثلاثة أضعاف مساحة الولايات المتحدة وتشغل سدس مساحة الكرة الارضية على حين قدر سكانها عام ١٩٦٦ بما يزيد عن مائتين واربعة وثلاثين مليونا .

* * *

(١٢٤)

الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد

جرت المحاولات منذ وقت بعيد لتمزيق الروابط بين العرب والترك مما اثمر معه ذلك التمزق الذى سقطت به الدولة العثمانية ووقع الخلاف بين العرب والترك وتعمق فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية ثم تبين للعرب كما تبين للترك أن المؤامرة هى التى فصلت بينهما وان الاسلام هو عامل الترابط والوحدة .

وفى السنوات الأخيرة تجددت المحاولات لاثارة الأحقادمرة أخرى عندما أصدر دكتور الهان ارسيل كتابه تحت اسم القومية العربية والأتراك ملئه باحقاد وسموم ضد النبى محمد صلى الله عليه وسلم وعلاقات الترك والعرب وقد كشف يوسف هاشم الرفاعى هذه المحاولة واعلن ان هذه الآراء الحاقدة الهادفة ترمى الى تهديم الاخوة العربية التركية بعد أن مزقها الاتحاديون القدماء من أعداء الاسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم واليوم يقوم الاتحاديون جدد تحت أسماء مختلفة وبوسائل مختلفة بنفس المحاولات والأساليب المسمومة الخبيثة لتمزيق الأخوة الاسلامية والرابطة المحمدية بين الشعبين المسلمين التركى والعربى الذين سجل لهما تاريخ الحضارة والفتوحات الاسلامية اروع سجل فى سبيل نشر الاسلام وبث ثورة للبشرية جمعاء . اما علماء المسلمين

فيجمعون على أن المساس بشخص النبى صلى الله عليه وسلم من أعمال الكفر والارتداد عن الدين والعالم به عدو لله ولرسوله وللمسلمين .

وقد تساءل الكثيرون لماذا شوهــوا تاريخ الدولة العثمانية ، والاجابة ان آل عثمان تولوا أمر الدفاع عن الاسلام ورفع راية الحق ولأنهم حملوا القرآن وانطلقوا به ولا يزعج هؤلاء سوى هذا القرآن فتقدموا يفتحون الامصار ليصبوا هذا النور فى قلوبهم وكلما فتحت مدينة فتحت قلوب أهلها فاذا هم جند ينضمون الى صفوف هذا الجيش الفاتح .

ان السلطان الذى شوهو صورته هو القائد المتقدم وهو الشهيد ، وارجعوا الى صفحات تاريخ الدولة الأول لتجدوا عددا من الشهداء السلاطين، اقرءوا تاريخ السلاطين فى مراجعه الأصلية لا من كتابات الخصوم ، ستجد فى تاريخهم اسلاما حيا نابضا فمن النادر أن لاتجد الخليفة يتقدم جيشه ويحمل سيفه .

ولقد حاولت هذه المؤامرات التركيز على السلطان عبد الحميد ، فحورب كما لم يحارب خليفة فى زمنه أو حاكم فى مدة عهده لأنه ورث دولة دب فيهــا الضعف فاشتد أزره ليقوم بالنهضة الواسعة فصرف المال من جيبه الخاص ليحصن الدولة بعد أن اشتد نزاع المتناحرين فى أوربا ورسم خطة يضرب بها كل أطراف النزاع لتبقى الدولة الاسلامية عزيزة الجانب مرهوبة من قبل أعدائها ولكن اليهود كانوا يخططون وكان أتباعهم من ضعفاء الضمائر قد اتفقوا على نصرة يهود الدونمــة وقطف الثمار يهودى . فلما لم تواته الفرصة نقم نقمة حول بها وجهه هذا البلد الى الوجهة المضادة للاسلام عندما اعلن الجمهورية واسقط الخلافة والغى كل مظاهر الاســلام ونقل تركيا نقلة بعيدة لتتعلق بركاب أوربا التى احتقرتها ولا تزال تزدرى بها .

واليوم وبعد نصف قرن من هذه المؤامرة الخطيرة يبرهن الشعب التركى المسلم على ان الارهاب الذى حل بدولة الخلافة لم يكن الا عارضا سيزول باذن الله ويعود الحق الى نصابه .

***

(١٢٥)

اســقاط الخلافة الاســلامية

بعد فشل الحروب الصليبية ايقن الغرب المسيحى أن هذا الأسلوب القهرى لم يعد مجديا فوضعت الخطط المتعددة للسيطرة على بلادنا والحاق الهزيمــة بالمسلمين حتى لا يقوم لهم قائمة تهدد الغرب من جديد . احدى هذه الخطط هى ضرورة الاطاحة بالخلافة الاسلامية التى تردت أحوال المسلمين فى آخر عهدها واخذ المسلمون فى كل مكان ينادون بالأصــلاح ولم يكن المسلمون الحقيقيون يريدون الانفصال أو الاطاحة بالخــلافة وانما ارادوا الاصلاح .

وفى هذه الاثناء حانت الفرصــة أمام النصارى العرب حتى يبدأوا أول مراحل المؤامرة فراحوا ينادون بما يدعى بالقومية العربية لكى يتخلصوا من الحــكم الاسلامى .

يذكر الدكتور مجيد خورى فى كتابه « الاتجاهات السياسية فى العالم العربى » : كان رعايا السلطان المسيحيون أول من استجاب لدعــــوة القومية وكان المفكرون العرب المسيحيون أول من نادى بالقومية العربية دون ربطها بالاسلام ، ثم تشرب العرب هــذه الأفكار المسيحية دون أن يدركوا ما وراءها فانفصلوا عن الدولة العثمانية وساعدوا الانجليز فى الحرب فتمت المرحــلة الأولى من الخطة . ولما كانت المرحلة الثانية تهدف الى المزيد من التقسيم والتغيير جاءت خطط التقسيم بعــد الحرب فوضعوا الحدود الزائفة بين الأشقاء وقسموا الدولة الواحدة الى دويلات ووضعوا بانقسهم حكاما بعض هذه الدويلات واقاموا الانتداب على بعضها الآخر حتى تكمل السيطرة والهيمنة عليها وسرت روح الاقليميــة البغيضــة : الفرعــونية والفينيقية ونســوا تاريخهم الاسلامى الحقيقى .

المرحلة الأولى: تمزيق العالم الاسلامى : (القومية)

المرحلة الثانية : تمزيق العرب : (الاقليمية) .

المرحلة الثالثة : تمزيق كل قطر (الطائفية) .

الاقباط فى مصر ، الموارنة فى لبنـــان ، الدروز والنصرانية فى الشام ، السنة والشيعة فى العراق .

ظـــل مؤرخونا المزورون يقــولون : « الثورة العربية الكبرى » ويرددونها للصغير والكبير وهى فى الحقيقة الثأر العربى الأكبر الذى انتهى بفصل الحجاز واليمن والعراق والشام عن الخلافة . ثم قسمت الشام الى سوريا ولبنان والأردن وفلسطين ، ثم اعطاء فلسطين لليهود واقامة اسرائيل وكأن هذه الثورة العربية لم تتم الا لخدمة الصهيونية (كما ان الجامعة العربية لم تقم الا لتقسيم فلسطين) ويقولون أنها عربية مع أن زعيمها لورنس وقبل ذلك كانت حركات المبشرين : الشوام : بطرس البشتانى واليــازجى الداعى الى تحطيم دول الاسلام تحت شعار اقامة قومية عربية لأنه لا يجــوز للعرب ان يخضعوا للترك بل يجب أن تكون لهم دولة مستقلة عن الترك .

وانتشر تلاميذ هؤلاء المبشرين فى كافـــة انحاء المشرق يصدرون صحفا ومجلات لا تزال قائمة حتى اليوم وتصرف عن سعة وتجعل من مكاتب تحريرها منتدى الحكام والقادة ، هكذا نجحوا فى انشاء دين جديد هو القومية العربية ليحل محل الاســلام كرابطة سياسية وكانت تجمع كافة العناصر المسلمة تركية كانت او كردية او البانية او باكستانية او زنجية او أوربية .

واستطاعت هذه الجامعة العربية أن تمنع قيام روابط سياسية بين العرب وبين الترك ومسلمى الصين والفيلبين وروسيا وافريقيا واوربا وأمريكا وقد فشلت الجامعة العربية فى زحزحة اسرائيل .

كان قيام هذه الجامعة خدعة للقضاء على الرابطة المتينة التى اوجدها الاسلام بين المسلمين فى شتى أنحاء العالم لتحل محلها ثم القضاء على الاسلام اذا استطاعوا لتحل محـــل نظم سياسية كان شراكسة الماركسية والليبنية والعلمانية الغربية المتحللة ثم لتكون تلك مقدمة لادخال التاديانية والبهائية ثم اخضاعها .

وبمقدار ما فشل فى ايجاد وحدة عربية فعلية نجح فى ابعاد الرابطة الاسلامية التى ظلت قائمة أكثر من الف عام ولم يعد فى الاسلام شىء الا أسلام الفرد دون أسلام المجتمع ولقد أوصت بريطانيا بالجامعة العربية كبديل للمجتمع الاسلامى او الوحدة الاسلامية وان بريطانيا هى التىصنعت ما اسمته الثورة العربية الكبرى بفصل عرب الجزيرة والشام والعراق عن الخــلافة الاسلامية وبريطانيا هى التى فصلت آسيا عن افريقيا بقيام حاجز بشرى من جنس غريب .

* * *

(١٢٦)

شارة السلطان عبد الحميد

ان خطاب السلطان عبد الحميد الى هرتزل يعد وثيقة تاريخية خطيرة يجب ان تكون تحت يد كل باحث ومثقف . فقد عرض هرتزل على السلطان عبد الحميد ان يسمح اليهود بالدخول الى القدس وعرض عليـــه عروضا مختلفة فى سبيل ذلك منها اعطاء الدولةالعثمانية ٥٠ مليون من الجنيهات الذهبية .

قال السلطان فى خطابه : انصحوا الدكتور هرتزل بالا يتخذ خطوات جديدة فى هذا الموضوع (التوطن فى فلسطين) فانى لست مستعدا لان أتخلى عن شبرواحد من هذه البلاد لتذهب الى الغير . فالبلاد ليست ملك يمينى بل هى ملك شعبى روى ترابها بدمه ، فاتحتفظ اليهود بملايينهممن الذهب فاذامزقت امبراطوريتى فلعلهم يستطيعون آنذاك ان يأخذوا فلســطين بلا ثمن ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق فى جثتنا فانى لا اســتطيع الموافقة على تشريح اجسادنا ونحن على قيد الحياة .

وقال السلطان عبد الحميـــد : ان ديون الدولة ليست عارا لأن غيرها من الدول هى الأخرى مدينة مثل فرنسا وان بيت المقدس قد افتتحها الاســلام اول مرة سيدنا عمر بن الخطاب ولست مستعدا ان اتحمل فى التاريخ وصمة بيعه لليهود وليحتفظ اليهــود بأموالهم فالدولة العلية لايمكن ان تحتمى وراء حصون بنيت بأموال أعداء الاسلام .

* * *

(١٢٧)

تركيا الاسلامية

قامت الامبراطورية العثمانية عام ١٢٨٨ فى آسيا الصغرى مؤسسها عثمان الأول ابن أرطغرل زعيم اتراك الاناضول ، توسعت حتى شملت آسيا الصغرى واقليم تراقيا عام ١٣٥٤ ثم استولوا على الدردنيل عام ١٣٦١ واستولوا على صربيا وبلغاريا ثم القسطنطينية عام ١٤٥٣ وبلغت ذروتها فى القوة ١٥٢٠ — ١٥٦٦ فى عهد سليمان القانونى اذ شملت جنوب روسيا وآسيا الصغرى والعراق والخليج الفارسى وشمال افريقيا كله حتى حدود مراكش ، وصلوا مرتين الى فينا داخل أوربا ١٥٢٩ ، ١٦٨٣ .

أثار نجاح العثمانيين وتوسعهم حفيظة أوربا المسيحية ، ودبر البابا حملات صليبية مدمرة ضد الخلافة العثمانية بغية تعويقها وارتداد المسلمين عن عقائدهم وخاصة مسلمى أوربا فى بلغاريا والمجر واليونان والبانيا وبدأت هزيمتهم فى ليبانتو ١٥٧١ واستغل الروس ضعفهم فكالوا لهم الضربات طوال القرنين ١٧ ، ١٩ مما يسمى تاريخيا بالحروب (الروسية التركية) أو (المسألة الشرقية) ثم كان الانقلاب الذى قام به الاتحاديون ثم الكماليون . واسقطت الخلافة عام ١٩٢٤ .

* * *

(١٢٨)

الاتحاديون والدعوة الطورانية

١ — انشأت جمعية الاتحاد والترقى ١٨٩١ انشأها أحمد رضا فى باريس ثم انتقل نشاطها بعد خمسة عشر عاما الى داخل الامبراطورية العثمانية ١٩٠٦ وكانت سالونيك هى المركز الأساسى ، حيث انتشرت الدعوة الطورانية والمدرسة الفلسفية التى تبشر بها بقلم جون البى فيلسوف الحركة ومبشرها الأكبر والتى أتمها مصطفى كمال . ظهرت الجامعة الطورانية بعد أن شاعت بين الترك مباحث الأجناس واللغات التى بدأت فى القرن ١٩ . البحث عن الماضى المتصل بقبائل المغول . وقد تولى الاتحاديون السلطة ١٩٠٨ — ١٩١٨ منهم أنور وطلعت وجمال وأعلنوا انحلال حزبهم بعد الهدنة ، وعادوا واصدروا صحيفة (طنين) فى الاستانة واندمجوا فى الحركة الكمالية واستولوا على مراكز مهمة وقيل لا فرق بين الاتحاد والترقى والكمالية وأن مصطفى كمال كان من أكبر الاتحاديين .

٢ — خدع الاتحاديون البلاد العربية قبل وبعد اسقاط عبد الحميد فقد أخذ الاتحاديون فى انتهاج سياسة ديكتاتورية متسلطة وتنكروا لجميع الشعوب التى تعيش فى داخل الامبراطورية وحاولوا (علمنة) باقى الشعوب بما فى ذلك العرب بعد ان نبذوا دعوة الجامعة الاسلامية ونشطت الدعوة الى القومية العربية مرة أخرى (المنتدى العربى — حزب اللامركزية — الجمعية القحطانية — مؤتمر باريس ١٩١٣) .

٣ — ويقول تقرير آخر أن عدد الماسون الأتراك المسلمين قد أصبحوا عام ١٨٨٢ نحو عشرة آلاف منهم الوزراء والنواب وقادة الجيش وكبار المسئولين ومن هنا تسللت فكرة الانقلاب العثمانى استجابة للاصلاح والاصلاح هو التجاوب مع مطالب هرتزل وقد قررمحفل سالونيك اليهودى الماسونى التركى اعلان الدستور فتجاوب مع اخوانه الماسون المنبثون فى جسم الدولة ثم خلع عبد الحميد .

وقد كانت الماسونية ولم تزل مدخلا للتآمر اليهودى وقد خشى السلطان عبد الحميد من سريتها وصمم على اخضاعها لمراقبته ، ولكن التجائها للمستعمرين ولا سيما انجلترا كان يخفف من قيود المراقبة .

ورث الماسون عرش عبد الحميد وأصبح (قراصو) سفيرا لتركيا بالولايات المتحدة ثم تقمص حاخاما بمصر باسم حاييم ناحوم فأنشأ بمصر عشرات المحافل ، وفى عهده أصبح قطاوى باشا اليهودى وزيرا لمالية مصر ، وهكذا جمع من ماسونى مصر ثان ملايين جنيه ساعد بها يهود فلسطين .

٤ — قال احسان الجابرى : شهدت انقلاب ١٩٠٨ (انقلاب الدستور العثمانى) الذى قام به أنور ونيازى

وطلعت وعزيز علي واليهودي «قراصو» يطالبون باعادة دستور ١٢٩٣ الذي عطله عبد الحميد ثلاثين سنة .

وجلس حزب الاتحاد في الحكم ، كانت الثورة تؤيدها الجمعيات العربية لكي تخلصنا من استبداد السلطان ولكن الثورة انحرفت عن الطريق وثار الشعب على الاتحاديين وتزعم الثورة (درويش حركي) وطالب بالعمل بأحكام الشريعة ، وحرض جنود الجيش التركي .

وقاد الضابط العراقي محمود شوكت جيشا من الروملي (تركياالاوربية) الياستانبول . اجتمع في سان استفانوا بأعضاء مجلس النواب وقرروا خلع السلطان عبد الحميد ودخل الجيش استانبول ونصب ١٢ مشنقة في الشوارع وشكل ٣ دواوين حرب وحاكم اتباع درويش وحكم عليهم بالاعدام .

٥ ــ حين جاء حزب تركيا الفتاة (المتفرع من حزب الاتحاد والترقي) بالسلطان (محمد رشاد) بعد اسقاط عبد الحميد كان لا حول له ولا قوة وعجز عن مواجهة حرب البلقان وايطاليا وفي عام ١٩١٣ سيطرت جماعة الاتحاد والترقي على الحكم وبقي محمد رشاد رمزا اسميا فقط واستمر في الخلافة الى عام ١٩١٨ حيث خلفه (محمد السادس) الذي نفي وجيء بعبد الحميد (الثالث) آخر الخلفاء العثمانيين والذي غادر استانبول بعد اعلان الجمهورية بزعامة مصطفى كامل (٧ مارس ١٩٢٣) وتوفي في باريس خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٤٤ .

٦ ــ لعب اليهود المتمسلمون في تركيا ادوارا خطيرة في الدولة العثمانية وتسللوا الى جهاز الدولة وحطموا كيانها بمشاركة المنافقين وعباد الشهوات من حثالة الأمة وعقب هزيمة الأتراك في البلقان عام ١٩١٤ (تراقيا ومكدونيا) كانوا يرقصون في شوارع المدن مرحبين بطغاة وقتلة البلغاريين .

٧ ــ وزارة الاتحاد والترقي كان من ضمنها اربعة وزراء من اليهود هيمنوا على بقية الوزراء الاتراك وضموهم تحت أجنحتهم بقرض مالي سهلوا لهم الحصول عليه من بنك المليونير اليهودي روتشلد . وقبل أن يتسلم جماعة الاتحاد والترقي الحكم كانوا يبذلون الوعود الجزيلة لزعماء العرب في ديار الشام ويمنوهم بالانصاف والعدل ولكنهم حين استتب لهم الأمر تنكروا لهم وبداوا في سياسة تتريك البلاد العربية ونشر الارهاب ، وكان انور باشا وزير الحربية هو الرجل القوي في جماعة الاتحاد والترقي الذين يحكمون الامبراطورية العثمانية وقد أثبتت المعلومات أن وزير المالية جاويد باشا الوزير اليهودي الدونمي الذي كان متظاهرا بالاسلام هو الذي دعمصهره جمالباشا (السفاح) حاكمالشام ليهيء لضرب رءوس العرب في دمشق وتنفيذ مؤامرة حكماء صهيون في اثارة العداوة الضارية وقطع شعره معاوية . وكانيصل الى حيفا ويافا حيث يقضي أياما مع عشيقته مدام سارينا اليهودية المهاجرة من مدينة منسك الروسية وكانت سارينا جاسوسة انجليزية وكان جمال السفاح يبدي عناية كبيرة بالأرمن المبعدين عن تركيا وعلى علاقة وثيقة مع زعمائهم وقد فاوض الاعداء ضد دولته اثناء الحرب. وقدحاول الشريف حسين التفاهممع جمال ومعالاتحاديين واوفد لهم من يتصل بهم ولكن محاولاته باءت بالفشلبعد أن تبينت نوايا جمال باشا وسياسته الدموية .

وفي ١٤ تموز ١٩١٥ بعث الشريف حسن مذكرته التاريخية الى (مكماهون) .

* * *

(١٢٩)

رابطة العرب والترك حطمها الاتحاديون

يقرر الدكتور زين نور الدين زين مجموعة من الحقائق في كتابه (نشوء القومية العربية) .

ان جميع التعاميم والعبارات الجارفة التي صدرت في النصف الثاني من القرن التاسع من أولئك الذين يعنون بهذا الأمر والتي تتعلق بالكراهية والشحناء التي كانت تتميز بها العلاقات بين هذين الشعبين : التركي والعربي يقول أحدهم مثلا : « ان العرب يبغضون الاتراك ولا يثقون بهم كما أن الأتراك كانوا يبغضون العرب ولا يثقون بهم » وهذا مبالغ فيه كثيرا فضلا عن أن مثل

هذه الاقوال الجارفة لم تكن لتنطبق على واقع العلاقات كما كانت عليه فى القرون الأولى للحكم التركى فان معظم الذين القوا فى التاريخ التركى لم يكونوا يجهلون وفرة الوثائق التاريخية التى يجب أن يطلع عليها الباحث فى هذا الحقل ، وحسب وانما كانوا بصورة عامة على كثير من التحيز والتعصب . وقد وصف هارولد بودن قول هؤلاء القائلين بأنه نوع من التعصب الذى كان يخفى الحقيقة عن أبصارهم .

قال : هاملتون ، هارولد بوون فى مقدمة كتابه «المجتمع الاسلامى والغرب» ان كثيرا من الآراء الشائعة فيما يتعلق بتاريخ تركيا ومصر فى القرن الثامن عشر هى آراء خاطئة ، آراء كنا نحن ايضا نأخذ بها عندما اقدمنا على كتابة هذا البحث لذا نرى أن واجبنا الأول هو عرض الوثائق والمعطيات التى جعلتنا نبدل راينا فى هذا الأمر بعد ثلاث مائة سنة .

لم يحاول الاتراك تتريك الاعراق البشرية التى دخلت فى نطاق امبراطوريتهم وقد كان العرب أكثر عددا والواقع أن الأتراك ظلوا غرباء فى المناطق العربية التى أصبحت جزءا من امبراطوريتهم والذين توطنوا منهم فى الولايات المتحدة كانوا قلة وانما كان الاتراك الموظفون فى الحكومة التركية يرسلون الى الأجزاء العربية ولكن الى مدد قصيرة من الزمن .

آثار : ج . و . ف (ستر بيلنغ) .

ظاهرة ان الدمج العنصرى فى ظروف كهذه لم يكن بالأمر الميسور .

أولا : العثمانيون لم ينتزعوا البلدان العربية من أيدى العرب أنفسهم بل من أيدى المماليك فقد كانت الامبراطورية العربية والخلافة العباسية فى حالةضعف ووهن حتى ليصح القول بأن الحكم العثمانى حمى الأقطار العربية والاسلامية من التعدى الخارجى قرابة أربع مئة سنة .

ثانيا : كان العثمانيون يمنحون المقاطعات العربية شيئا من الاستقلال الذاتى وبالرغم من أن غالبية الترك لم يتعلموا العربية اطلاقا فان عددا كبيرا من المفردات العربية دخلت اللغة التركية فضلا عن الصلاة وقراءة القرآن فى جوامع القسطنطينية وفى سائر المدن التركية التى كانت دوما باللغة العربية .

ثالثا : كان للعرب اليد الطولى فى وضع النظام القضائى للامبراطورية العثمانية ولم يكن للشريعة الاسلامية المقدسة وهى بمثابة السلسلة الفقرية للحكومة العثمانية ان تبقى بدون معرفة اللغة العربية .

رابعا : من الدلائل العديدة التى طبعت الامبراطورية العثمانية بطابعها الاسلامى ان جميع أسماء السلاطين كانت عربية ماعدا اورخان ، واختامهم عربية، والمساجد فى الاستانة كانت جدرانها وسقوفها آيات قرآنية . كما أن لوحات أسماء السفن والبواخر العثمانية باللغة العربية .

وقد كان الاسلام أهم عامل يجمع العرب والأتراك فى رابطة متينة طيلة اربعة قرون .

فقد كان العثمانيون الأتراك مسلمين وكان السلطان يلقب بالغازى (المجاهد فى سبيل الله) وقد وجد العرب انفسهم جزء من اعظم واقوى امبراطورية اسلامية عرفت منذ ظهور الاسلام واصبح الخلفاء ورثاء الخلافة مدة اربعمائة سنة واصبحوا حماة الحرمين ، اذن فان كون الامبراطورية العثمانية امبراطورية تركية لم يكن فى نظر العرب والمسلمين حتى مطلع القرن العشرين (حتى ظهور القوميات) امرا ذا بال . ان الاتراك وغالبية العرب الساحقة كانوا يشعرون انهم اعضاء فى أمة اسلامية عظيمة يربط بينهم دين واحد وولاء لحاكم مسلم هو السلطان العثمانى .

وقد استبدل اسم عاصمة الامبراطورية القسطنطينية باسم آخر (اسلامبول) عوضا عن استانبول التى ربما كانت كلمة اغريقية .

ليس صوابا القول أن العرب المسلمين ظلوا أربعمائة سنة أمة مستضعفة تحت نير الأتراك أو أن البلدان العربية نهبت خيراتها وخيم عليها الفقر ، وليس صوابا القول أن العرب المسلمين لم يكن يسمح لهم أن يتقلدوا سلاحا أو ينضووا تحت العلم العثمانى الخدمةالعسكرية ذلك لأن جيوشا عربية وضباطا عربا من ذوى المراكز العسكرية العالية كانوا يعملون فى الجيش العثمانى وقد برهنوا على قدرة ومهارة فى المعارك الحربية معارك غاليبولى ، يلقنا ، أرغوستولى .

كما شغل العرب وظائف عالية حساسة فى الامبراطورية العثمانية .

« وكان العرب كمسلمين يعتبرون شركاء للاتراك، كانوا يشتركون معهم فى الحقوق والواجبات دون تمييز عنصرى ، وكان للعرب ممثلون فى مجلس البرلمـــان العثمانى » .

يقولون عن العرب « قوم نجيب » وينظرون اليهم نظرة اكرام ، لم ينظروا بها الى سائر الولايات التى دخلت امبراطورية السلطان بسبب واضح هـو انهم يتكلمون اللغة العربية : لغة القرآن الكريم .

ان الخلاف بين العرب والترك جاء نتيجة التحدى المباشر الذى قامت به جمعية الاتحاد والترقى .

لقد فصل العالم العربى عن السلطنة العثمانية (محمد على — ١٨٣٠ — ١٨٤١) عندما احتل سوريا ليس هناك من ادلة تاريخية قاطعـة على ان هـذه الحركة كانت حركة وطنية عربية ، ذلك أن قيام حركة عربية عرقية فى مصر وسوريا قبل مائة كان أمرا يتنافى مع التيار الفكرى الشرقى فى تلك الأيام ، عصر الدين ، كان بعض النواب الفرنسيين يرغب فى أن يجعل محمد على العوبة لكى تنشطر الامبراطورية الى شطرين شـطر عربى وشطر تركى .

ليس هناك من دليل تاريخى على صحة ما يشاع بأن الترك وحدهم المسئولون عن التخلف وعن التأخر الحضارى الذى الم بالأفكار العرقية طوال أربع مئة سنة بل افادت الولايات العربية من الرابطة التركية .

من الانصاف القول بأن الاتراك لم يحاولوا قط دمج العنصر العربى او تتريكه الا بعد استيلاء جمعية الاتحاد والترقى على مقاليد الحكم ١٩٠٨ .

(عن جب وبوون)

يقول برنارد لويس : كانت الامبراطورية العثمانية منذ تأسيسها حتى زمن سقوطها تكرس قواها فى سبيل دعم شوكة الاسلام وحمايته ضد أى اعتداء خارجى ، لقد ظل العثمانيون طوال ستة قرون تقـريبا فى حـرب مستمرة ضد الغرب المسيحى اولا لمحاولة فرض حكم اسلامى على جزء كبير من أوربا (وهى محاولة رافقها النجاح) وثانيا يشيد حرب دفاعية تاخيرية مديدة تقف فى وجه الهجوم المعاكس الذى قام به العـرب وكانت الامبراطورية العثمانية فى نظر الرجل العثمانى التركى بمثابة الاسلام ذاته . وكانت الشعوب التى تتألف منها الامبراطورية العثمانية ذاتها أولا وآخرا شعوبا اسلامية وكان لفظة عثمانية تعنى اسم السـلالة المالكة . لم يصطنع لفظة (عثمانية) بصيغة قومية ذات مدلول قومى الا فى القرن التاسع عشر وذلك تحت تاثير الفكر الليبرالية الأوربية .

* * *

(١٣٠)

الارساليات التبشيرية : الموارنة والكاثوليك

عندما بدأت الدولة العثمانية تضعف بدا ضغط الدول المتحالفة عليها ، كانت هذه الدول فى صراعها حـول (الدولة العثمانية) تعد العدة لاستيلاء كل منها على القطر الذى تطمع فيه مستعينة بقناصلها وارسالياتها الدينية والثقافية .

وكانت علاقات الموارنة فى لبنان بفرنسا اقدم من القرن السابع عشر ، وهم يرونها الى عام ١٢٥٠ (كتاب من لويس التاسع فى عكا شكرهم خـلال الحروب الصليبية على ارسالهم خمسة وعشرين الف مقاتل بقيادة سمعان ويقول : ان هـذه الطائفة التى تنتسب الى القديس مارون هى جزء من الأمة الفرنسية ولمـا كان لفرنسا هدف بعيد فى حماية الطـوائف الكاثوليكية فى الشرق الأدنى قد شفعت هذه الحماية بارسال البعثات التبشيرية اليها ولا سيما الى لبنان وهو طريق فلسطين فاتخذت اكثر هذه البعثات التعليم والتدريس التبشيرى وسيلة لادراك الهدف المنشود .

قال هنرى لافتليه فى كتابه تاريخ تركيا (ج ٢) :

ان ارساليات التبشير الى ارتادت الشرق الأدنى تألفت بانتظام من قبل هنرى الثالث وترعرعت ونمت فى

عهد هنرى الرابع ولويس الثالث وبلغت ذروة الانتشار فى حكم لويس الرابع عشر ١٦٦٠/١٧١٥ الذى القى على عاتق الجزويت هذه المهمة ، فألقى على عاتقهم مهـــام سياسية خطيرة ، ذلك انه كان عليهم لقاء ادراك الخطوة الا يقتصروا على التبشير فحسب بل كان عليهم أن ينقلوا اليه المعلومات عن عادات البــلاد ولغاتها ومحاصيلها وتجارتها وتاريخها . كما انهم كانوا يتلقون منه الأوامر والتوجيهات ولا سيما من وزارة الخارجيـــة التى كانوا يواصلونها بالتقارير والخطط .

ولمـــا انتهت الحروب الصليبية بانسحاب الصليبيين من سوريا كتب البابا اسكندر الرابع رسالة الى البطريرك سمعان (أو شمعون) ١٢٤٥ يوصيه فيها خيرا بالفرنج المهزومين فى انطاكية الذين فروا الى لبنان وأن يرعاهم ويحميهم .

ولما عادت فكرة استرداد بيت المقدس الى الاوساط الأوربية خلال القرن ١٧ فى اعقاب الانكسارات التى منيت بها والسلطنة العثمانية نشط الكرسى الرسولى فى العمل فى هذا الميدان نشاطه فى تلك الحروب الصليبية وولى وجهه شطر لبنان وكان مدار مخططه بالاتفاق مع فرنسا استغلال نفوذهما الكبير لتنصير الدروز فى جباله ابتداء من أمرائهم على أمل الا يبقى فى أهله قوة معارضـــة متى سنحت الفرصة للاحتلال .

* * *

(٣١)

المؤامرة على الدولة العثمانية

(١)

صـــدر عام ١٩٣٠ كتاب « مائة مشروع لتقسيم تركيا تأليف الوزير الرومانى » دجوفارا ، واورد الامير شكسبير ارسلان ملخصا له فى كتاب « حاضر العـــــالم الاسلامى » يكشف عن أن مائة مشروع حاولت أوربا انفاذها من اجل تمزيق الدولة العثمانية فى الفترة التى تلت ظهور هذه الدولة وتوســـعها فى أوربا عام ١٣٥٦ بعبورهم مضيق الدرنيل سنة ١٣٦٠ وهى تدعو الى مقاتلة المسلمين والاتراك بالسيف والتجارة وتدعو الى تجمعات وخطط غزو تبدأ من البحـــر المتوسط أو من الحبشة أو من غيرها وتركز كلها على استعادة بيت المقدس .

* * *

(٢)

كتاب تاريخ الترك والمغول فى آسيا من بدء نشأتهم الى عام ١٤٠٥ : ظهر عام ١٨٩٦ من تأليف لتونى كاهون وفى عام ١٩١٦ أعلن المجلس العلمى الفرنسى اهتمامه بهذا الكتاب ونوه به ولفت النظر اليه فى تركيز بالغ ، وكان ذلك مقترنا بالحركة الطورانية فى الدولة العثمانية. وكانت الفكرة الطورانية قد انشأها المستشرق المجـــرى اليهودى (فامبرى) بين ١٨٦٨ ــ ١٨٧٤ ثم تبنـــاها الانجليز فعملوا على تكوين كتلة عنصرية من الاتراك العثمانيين واتراك الشرق ليحطموا بها النفـــوذ الروسى المتزايد فى آسيا الوسطى ثم غير الانجليز ســياستهم وايدوا سيطرة الروس على اتراك آسيا وهكذا كانت فكرة الجامعة التركية (الطورانية) وافدة من الخارج وصعبة التحقيق ، لانعدام الوحدة الجغرافية والاجتماعية فى مواطن الترك .

كانت الطورانية التى دافع عنها بعض الترك وعلى رأسهم ضيا كوك الب أجنبية النشأة وكانت ترمى الى تعميق الخط القومى التركى مستقلا عن الاسلام ، وهى القاعدة القديمة التى وصفها فمبرى المستشرق المجرى اليهودية وهى أن « لا وطن فى الاسلام » .

(٣)

قدم (حسونة الدغبس الطرابلسى) عام ١٨٤٧ تقريرا الى رجال الدولة العثمانية فى استانبول ينبه الى الاخطار التى تحدق بهم من جاء الغرب الذى يتلاعب بهم فضلا عن تعدد السائحين الغربيين المنتمين لعدد من الفرق والشيع كالانسانيين والمبشرين والأدباء والماسونين وغيرهم .

(٤)

قال السلطان عبد الحميد فى رده على « هرتزل » :
انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة فى هذا الموضوع ، انى لا أستطيع ان اتخلى عن شبر واحدمن الأرض فهىليست ملك يمينى بل ملك شعبى ،لقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمه ، فلتحتفظ اليهود بملايينهم ، اذا مزقت امبراطوريتى فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزق فى جثتنا فانى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة .

(٥)

خطاب من اليهودى (بلفور) الى وزير الدولة الامريكى فى ١٨ آيار ١٩١٧ « لا شك أن القضاء على الامبراطورية العثمانية قضاءا تماما هو من أهدافنا التى نريد تحقيقها ، وقد يظل الشعب التركى — ونأمل أن يظل — مستقلا أو شبه مستقل فى آسيا الصغرى فاذا نجحنا فلا شك ان تركيا ستفقد كل الأجزاء التى يطلق عادة اسم البلاد العربية وستفقد كذلك أهم المناطق فى وادى الفرات ودجلة كما انها ستفقد استانبول » .

(٦)

قرر مؤتمر لوزان ١٩٢٣ فى شروط الصلح الذىعقده الحلفاء مع تركيا هذه الشروط المعروفة بشروط كرزن .
١ — قطع كل صلة بالاسلام .
٢ — الغاء الخلافة .
٣ — اخراج انصار الخلافة والفكرة الاسلامية من البلاد .
٤ — ايجاد دستور مدنى بدلا من دستور تركيا القديم الاسلامى .

(٧)

عندما اعلن الدستور ١٩٠٨ واصبحت جمعية الاتحادوالترقى هى الحاكم الفعلى للدولة تطلعت القوميات المختلفة الى عهد تسوده الحرية . لكن الوعود لم تتحقق ولم تكن سوى سراب لأن اعضاء الجمعية الثلاثة لم يكونوا متفقين على سياسة مشتركة :

طلعت باشا : العثمانية .

أنور باشا : الجامعة الاسلامية .

جمال باشا : القومية التركية .

وقد قسموا عهود الدولة العثمانية الى ثلاث مراحل :

تركيا الاتحادية ١٩٠٨ — ١٩١٤ .

تركيا الطورانية ١٩١٥ — ١٩٠٨ .

تركيا اللائكية ١٩٢٣ الى الآن .

انضم الاتحاديون الى جانب المانيا ١٩١٤ وانقلبوا من حماة الطورانية الى دعاة للاتحاد الاسلامى ، ومد جمال باشا يده الى العرب فى الشام ، وبعد أن اطمأن جمال الى نتيجة الحرب وتوهم أن النصر مضمون للدولة كشف عن حقده ، وساق رجال العرب الى المشانق فى بيروت ودمشق ١٩١٥/١٩١٦ .

بعد أن أحكم مصطفى أتاتورك قبضته على تركيا، بدأ يصبغها بالصبغة الأوربية ، بجنون واندفاع غريب ، وماذا كان يهدف أتاتورك من نشر الحضارة فى هذا البلد أى التحكم فى مصائر العالم لاربعمائة سنة .

يمكننا ان نفهم هدف الخطة الكمالية من الاسلام الذى أطلق عليها غرب أو غزو : الى المسيرة نحـــو الغرب ، لقـــد كان ذلك شـــعار تركيا فى تلك السنين الحزينة (التىتم فيها خلع الاسلام من شعب حل رايته)

وكانت المسيرة نحو الغرب هامة جدا لدرجة أن أتاتورك لم يتورع فى اعدام مئات الالوف من مواطنيـــه وكأنهم خونة مجرمون بينما لم تكن جريمتهم سوى عدم تقبلهم الحروف اللاتينية وارتداء البرنيطة ولم ينشر بين مواطنيه غير الأعمال الغربية من شعر ونثر وقصة ، أما العلوم والكتنولوجيا التى هى سر نهضة الغـــرب فلم يحاولوا نشرها بين مواطنيهم . ولم نر بين بطولات كمال أتاتورك كليات للعلوم والهندسة رغم انه أقام تركيـــا واقعدها ليجعل منها قطعة أوربية .

ان سيد أحمد خان وأتاتورك : ركزا جهودهما على انشاء جماعة من المسلمين تمتاز باستيعابها الحضـــارة الغربية وآدابها .

ان البلاد الاسلامية التى رأى موجهوها تعلم لغات وحضارة أوربا عجزت عن الصلاحية الفنية التى تمكنهامن استخراج بترولها ولا يزال الغرب هو الذى يدير هذه الكنوز .

ان العقلية التى دفعت أوربا على اكتشاف علومنا كانت تطالب بتعلم فنون المسلمين لالحاق الهزيمة بهم عن طريق استخدام تلك الفنون .

لقد تعلمت الشعوب الأوربية علوم المسلمين ولكنها لم تلمس حضارة المسلمين وثقافتهم ، لقد نظرت أوربا الى علومنا كمصدر للطاقة العصرية ولذلك استخدمتها لالحاق الهزيمة بأعدائها لم يسموا كفاحهم هذا باسم تقليد الشرق أو محاكاة حضارة المسلمين ولكن سموها: الحروب الصليبية الروحية .

كان ذلك يعنى أنهم يحاولون كسب الحرب التى خسروها ولكن بأسلوب جديد ، لذلك استطاعوا الوصول الى غايتهم فى نهاية الأمر ، وحين يتم لهم ذلك لم يقولوا انهم اقتبسوا تلك العلوم من المسلمين بل سموها بالنهضة وربطوها بتراثهم وحضارتهم اليونانية القديمة . لقـــد اقتبست أوربا هذه العلوم من المسلمين ولكنها حذفت حلقة الوسط وربطت نهضتها بحلقة البداية ، أما نحن فأخفقنا فى ذلك . لقد كانت أوربا تفرض علينـــا نفس العلوم التى اقتبستها منا مع اضافات جديدة هامة ، لكن المسلمين اقبلوا على هـــذه العلوم بعقلية المقلدين المبهورين . وكان عليهم تقليد الغرب لدى سيد احمد خان وكأن المسيرة نحو الغرب لدى أتاتورك . وكانت النتيجة الحتمية للاختلاف بين العقليتين أن أصبح الأوربيـــون ســـادتنا بعد اكتساب علومنا بينما ظللنا نحن محض مقلدين .

***

الاتنبلة الكمالية تصيب كبير الاسلام

كتب الأستاذ عبد العزيز جاويش بعد اعلان قرار الغاء الخلافة العثمانية وعزل الخليفة وفصل الخلافة عن السلطنة فى (٣ مارس ١٩٢٤) :

طمح الغازى ذات يوم أن يكون الخليفة كما علمت من هبوطى انقرة فلم يمنعه من ذلك سوى خشيته أن يحدث اضطراب داخلى يهدد المملكة قبل تمام الصلح . والذين يزينون لمصطفى ما فعل انما هم فئة من التتار التى دستها روسيا القيصرية بين الترك لتقطع ما يصلهم بالاسلام .

جاء هؤلاء المفسدون الى الأستانة قبل الدستور العثمانى فزينو للاتحاديين مسألة العنصرية والتباعد عن الاسلام. ووسوسوا للاتحاديين أن سبب تألب أوربة على تركيا انما هو الأسلام وقيام الخلافة فيها ثم أخذوا يزينون لهم ان تعتبر غير البلاد التركية من الامبراطورية العثمانية مستعمرات محكومة وأن يكون للعنصر التركى وحده حق الحكم غير مشارك . ساقوهم الى الطورانية وزينوا لهم أن ذلك يمكنهم من ضم عشرات الملايين من الاتراك القاطنين فى أزربيجان والتركستان . كما استدرجهم الى محاربة اللغة العربية بعد أن حازت نحو ٧٠ فى المائة من اللغة العثمانية .

وخاضوا مسألة الشريعة ومسألة المراة وحرضوا الترك على الفساد واعلان الالحاد . كانت تنجح هذه الفئة الضالة زمن الاتحاديين لولا (سعيد حليم وانور باشا) فان امتلاء قلوب هذين الرجلين بالاسلام ووفرة محصولهما التاريخى ويقينهما ان سلام تركية لا يتحقق الا بارتباطها بالعالم الاسلامى وأن عظمتها لاتقوم الا على دعائم الخلافة . كل ذلك حمل الرجلين العظيمين على القيام فى وجه أولئك الهاوين . ذهب الناس فقد حرمت المملكة العثمانية المصلحين المفكرين وخلا الجو لذلك النفر من التتار المارقين فما لبثوا أن بطشوا بيد مصطفى بطشهم بالاسلام وبتركية جميعا اما تركية فقد مادت بها انقرة مبدأ هدم أركان عظمتها وهبوطها فى الدول السياسية .

هبطت انقرة ١٧ من ديسمبر ١٩٢٢ وبعد بضعة أيام ذهبت الى دار المجلس الوطنى الكبير لزيارة مصطفى كمال باشا وقد كنت عاهدت نفسى الا اتكلم معه فى أمر الخلافة لما اتصل بى من نيته تجاه البيت الشاهانى ، ولم نكد نأخذ مجلسنا فى حضرته حتى قال :

— ما رأيك يا فلان فى أمر الخلافة وفصلها عن سياسة الدولة فاستبقيته الجواب معتذرا بأن فى المجلس الوطنى الكبير من العلماء وذوى الراى ما يغنونه عن رايى ولكنه اصر على أن أبسط ما لدى ، وعلمت من بعد انه ما كان يريد من استماعى الوقوف على خطابه ذلك الأمر الخطير من المحاذير والأخطاء أو العلم بما جاء فى الشريعة من احكام الخلافة والخلفاء ولكن كان كل همه أن يسير غورى ويعرف جرى فكرى ولذلك الح فى سؤالى .

اجبت : ليس فى الاسلام خلافة بلا قوة كما انه ليس فى الاسلام خلافة مستبدة .

قال : اذن بم تفسر ما فعله عبد الحميد وغيره من الخلفاء والى م تعزو ما اصاب الدولة من النكبات والآراء او ليس أولئك الخلفاء هم الذين كانوا مصدر شقائنا وبلاءنا ، أو ليسو هم الذين ساقونا الى تلك الحرب الطاحنة وضاعفوا مصابنا بما أصدروا من فتوى الجهاد وامثالها .

قلت : ان الخلفاء الذين اقاموا فى السنوات الدستورية لم تطلق ايديهم فى تدبير البلاد ولا كانوا مستبدين بأمرهم بل كانت تجرى الأمور فى المملكة لا يحيطون بها علما . اذا كان لهؤلاء الخلفاء فى زمن الدستور شىء من الامتيازات القانونية فما ذلك الا لكون الدستور جعلهم خلفاء على الأصول الرومانية لا خلفاء وفق الشريعة الاسلامية .

قال : كيف ذلك .

قلت : ان الاسلام انكر الفروق الطائفية وامتياز الطبقات والأفراد بعضها عن بعض فى الاحكام والتكاليف الشرعية بل اقام سائر العوالم البشرية فى مستوى من تكاليفه تتحاذى فيه الأقدام والرءوس فلا يمتاز فى أحكام دين الاسلام رجل عن امراة ولا أمير عن سوقة ولا فقير عن عزيز ، بل كلهم خاضعون للقانون السماوى .

« ليس بأمانيكم ولا بأمانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولن تجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ».

وبذلك سوى الاسلام بين الرعاة والرعايا فى سائر الأحكام والتكاليف وقضى بمجازاة من يعدون حدود الله بلا تفرقة ولا تفاوت فاذا أصاب أمير أو سلطان او خليفة اى فرد بأذى كان عليه من الجزاء مثل ما على غيره من عامة الناس سواء كان ذلك الأذى عدوانا على نفس أو جارحة أو عرض أو مال .

فليس فى دين الاسلام فوق الشرائع والأحكام أمير ولا خليفة ولا سلطان ولكن تركية التى قلدت أوربا اقتبست من القوانين الرومانية قاعدة أن الخلفاء فوق القانون والشرائع فأصبح الخلفاء بهذا خلفاء رومانيين لا خلفاء اسلاميين .

ولو عقل رجال النهضة الدستورية اذ ذاك ادركوا ذلك الفرق البعيد بين دين يقول « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » ويقول « ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين » ويقول « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وبين شرائع قامت فى اقوام كانت تعبد الملوك والأباطرة وتعتبرهم مصدر الاشتراك والحكم فرفعتهم الى مستوى الأله الحق الذى هو وحده عليم ولا معقب لحكمه . أوجب دين الاسلام طاعة أولى الأمر ولكن على شريطة الا يأمروا بما يخالف الخالق الله ثم أبان لنا انه اذا وقع تنازع بين الراعى والرعية وجب ان يتحاكموا الى كتاب الله وسنة رسوله فلم يبح لأحد منهم مهما بلغ سلطانه وصولته أن يحكم الناس بما تهـــواه نفسه وتستطيعه شهوته حتى لقد أجاز الناس الخروج على غير القلائل الذين لا يقفون عند حدود الله من السلاطين والأمراء مبيحا لولى الأمر مقاتلتهم بل ومنعهم . ولقـــد قبلت طائفة من المسلمين اجتهادا منهم الخليفة عثمان بن عفان ومنزلته فى الدين وبلاؤه فى نصرة الرســـول على ما نعلم . كذلك الزم الناس على بن أبى طالب أن يقبل التحكيم عندما رفعت المصاحف على أسنة الرماح وطلب خصومه التحاكم الى كتاب الله فلم يسعه وهو يعلم أن ذلك خدعة منهم دبروها لبلوغ حاجاتهم لم يسعه الا أن ينزل على ما طلبوا من الرجوع الى كتاب الله ليفصل فيما شجر بينهم ، ولم يغنه ان كان خليفة رسول الله وزوج ابنته وصاحب الحق فى ذلك المقام .

فلما سمع ذلك هم بالوقـــوف ايذانا بالانصراف فانصرفت .

وأوعز الغازى الى فرقة فى المجلس ان تدعونى ذات يوم للاستقبال رسميا . جاءنى خطاب من جلال نورى أن اكون بمركزها يوم ٢ يناير ١٩٠٣ فقلت : ان سبب شقاء الترك وتأخرهم لم يكن دين الاسلام ولا قيام الخلافة فى بلادهم كما يزين لهم التتار الواغاون ويتوهمه الرهط المارقون ولكنها الأمراض الاجتماعيـــة والجهالة الفاشية الفاعلة فيهم ما تعجز عنه الأوبئة الفتاكة .

وتساءلت : ما هى الخلافة : هـــل هى ضرورية للمسلمين .

اذا كانت واجبة فما فائدتها وما حكم فصل الخلافة عن السياسة شرعيا أو لا يجوز أن يكون الخلافة فى طائفة من الناس كالمجلس الوطنى ، ماذا افادت الخلافة الترك منذ تولاها السلطان سليم . الم يكن سببا فى تقديس الخليفة فى داخل المملكة وتألب دول اوربة على تركية حتى حرموها الراحة والطمأنينة . فماذا كانت عاقبة اعلان الجهاد خلال الحرب العامة .

هل ظاهرنا المسلمين على أعدائنا . أفلم يمكنوا بسلاحهم لانجلترا وفرنسا من أرضـــنا وأجلونا عن فلسطين وسوريا والعراق والحجاز .

ان النصر الذى احرزته تركيا حديثا لم يتم الا بسلاحها الحاد وفنها القوى وتدبيرها المحكم وما كان لأحد من المسلمين فيه علما .

* تتكلمون عن الرئاسة الروحانية والرئاســة السياسية كأنى فى طائفة من الكاثوليك يشكون سلطان البابا وخلفائه من القساوسة ويألمون لمـــا أصابهم من تصرف هذه الطائفة فى عقولهم ووجدانهم . كيف ينتظر من قوم نبتوا فى الاسلام ودانوا به أن لايدركوا ما بين الدينين من الفروق الواسعة . لقد أوجب الاسلام طاعة أولى الأمر ما استقاموا على السنة ليس فى الخلافة ولا فى الاسلام ما توهمتم من العيب ولكن « كيفما تكونوا يولى عليكم » لقد كانت قيام الاحكام باسم الله الحكم العدل حتى دب فى مقلده الغرب من المســلمين دبيب الوثنية الرومانية فصاروا فيما يسمونه بعصر المدنية التى اتبعوا فيها أوربا شبرا بشبر وذراعا بذراع ، صاروا يستهلونها بأسماء خلفائهم وسلاطينهم وهم أهل دين التوحيد الكامل ما جاءهم عن الرومان الذين كانوا يعبـــدون الأوثان ويشركون ملوكهم بتلك الآلهية بل الذين كانوا يعتبرون فى براطرتهم صورة العلم الكبير الذى لا يسأل عما يفعل .

لقد محا الاسلام ما كان بين طبقات الحكام وشعوبهم من الفروق فى الأحكام والشرائع كمـــا حارب الطوائف الروحانية بما انحى الانسانية من شرورهم ومفاسدهم ، ابطل دين الاسلام عقيدة أرث الخطيئة وازال الحجب والحواجز التى كانت أقيمت بين الله وبين خلقه فاتحا مصراعى باب القدس لكل مستفتح ومانحا رضوانه وجنته لكل طالب .

بهذه الأحكام الرشيدة انقذ الاسلام اتباعـــه من شرور رجال الدين الذين كانوا يحاولون الحيلولة بين الله وبين خلائقه ليلجئوهم أن يتخذوا منهم شـفعاء ، ووسطاء ، حتى اذا ملكوا معاقد قلوبهم ساموهم العذاب وأرهقوهم بالمغارم وحجروا على أفكارهم أن تتحرك .

يقص علينا تاريخ القرون الوسطى من هـــول سلطان الكنيسة ما تقشعر له الأبدان فمن حرمان من الايمان الى فادح من المغارم الى احراق بالنـــار الى استئثار بالغفران الى استباحة للاغراض الى افراط فى الشهوات .

أقامت الكنيسة محاكم التفتيش فسلبت الناس الامن والراحة والسكينة حتى ضاقت عليهم الأرض وضاقت عليهم انفسهم ولم يكن المسيحيون فى ذلك الســلطان الدينى القاهر بدعا من الأمم والمال ، فقد فعل اليهود من قبلهم شيئا من ذلك ، كان أن كهذا البراهمة فى الهنـــد لا سيما فى القرن ٦ و ٥ قبل المسيح ، بلغوا من الاستبداد بالأمر فى العامة ما أمكنهم من رقابهم وأموالهم واعرافهم ، الى أن ضجت الانسانية وبرز المصلحون .

من ذلك السلطان الروحى (كما يدعونه) جاء الاسلام لتخليص القبائل والشـــعوب ويحرر النفوس البشرية وما كان لدين جاء لهذه الغاية أن يغسل الدم بالدم ويمحو الاستبداد بالاستبداد وينسخ الجور بالجور .

ان الخلافة — نيابة عن النبوة — فى حراسة الدين وسياسة الدنيا وأن مقام النبوة الجليل كان يتجلى فى ثلاث صفات (الافتاء والقضاء والأمانة) وعليه فالتعرف فى الأحكام الشرعية على ثلاثة أوجه :

١ — بالافتاء هو تصرف فى تعليم الأحكام وبيـــان العبادات .

٢ — بالقضـــاء وهو تصرف فى رفع النزاع بين الناس .

٣ — بالأمانة وهى تصرف فى ادارة المصالح العامة .

فالتصرف فى الأمور العامة هو الوصف المقـــوم الخلافة .

وهكذا فند ما زعمه البعض (شكرى أفندى) من ان الخلافة كالبابوية الكاثوليكية وانتقل منها الى ايضاح معنى الأحكام الالهية وانها لا يقتصر على الأحـــكام المنصوص عليها فى القرآن وحديث ، بل ان الأحكام التى تستنبطها علماء الشريعة بناء على القواعد الكلية المدونة فى كتب الأصول والأنظمة والقوانين التى تسنها الامم بناء على قاعدة الاجماع والقاعدة الشرعية التى توجب تقرير الاحكام الملائمة لمقتضيات الزمان والمكان .

(الأخبار — ٦ مارس ١٩٢٤ وما بعدها)

* * *

(١٣٣)

خطـة اتاتورك

اقر مصطفى كمال اتاتورك مبادىء ستة تبلور الفكر الكمالى :

الجمهورية :

القومية : التى لا تعتمد على الدين أو الجنس .

الشعبية : بمعنى الديمقراطية والمساواة .

الدولية : بمعنى اشراف الدولة .

العلمانية : بمعنى لا دينية الدولة .

الشـورية : بمعنى التصميم على التخاص من كل

ما هو قديم وتقليدى اذا لم يكن فى خدمة الاهــــداف القومية .

وغاية الخطة: القضاء على فكرة الوحدة الاسلامية مع تحميلها كل أسباب تخلف تركيا وضعفها بل راى فى دعواها مصدرا مستمرا للاحتكاك بالغرب .

جاء فى خطاب اسكى شهر : لم يكن هناك حــد فاصل بين الدولة وبين الحرب .

فى سبيل تحقيق ذلك قامت بعديد من الانقلابات الثقافية : الثورة اللغوية ، الثورة التاريخيـــة ، التى قصد بها تدعيم فكره القومى والوصول به الى عقول الجماهير وخاصة الأجيال الشابة .

* ان مفهوم الوطن عند العثمانيين المسلمين هو كل ارض عاش عليها أناس من العرق التركى المسلم أما القوميون فكانوا يرون غير ذلك ويفكرون ان وطنهم هو مابقى لهم من أرض داخل حدود قومية حددتها المعاهدات والاتفاقات الدولية .

* محاولة تجنب المجتمع وتخليصه من الشعور بالنقص تجاه أوربا عن طريق البحث التـــاريخى ، ويصلون من ذلك الى أن الاتراك كانوا اول من أسس مدينة كبرى فى آسيا الوسطى ثم هاجرت تلك المدينة وانتشرت فى أماكن متعددة من العالم وكان هدف الاتراك من التغريب هو عودتهم الى مدنهم مرة أخرى واذا كان للترك حضارة فعلية فى الماضى فانهم يمكن ان يؤسسوا حضارة عظيمة فى المستقبل ولذلك فليس ثم مبرر للشعور للنقص تجاه الأوربيين فالتغريب يعنى الاقتناع من جديد بمدنية هى فى الأصل جزء من مدنيهم المهاجرة ، ركزت الابحاث على المدنيـــات التى أسسها الترك فى آســـيا الصغرى على مر العصور ، المدنية الحيثية ، المدنية السومارية وهم فى نفس الوقت يحجبون مدنية السلاحقة ضد اتجاه الطورانية ، السلاحقة والعثمانيين تظهــر روابط القربى بين الترك والمســلمين . وكان الأتراك يهدفون من الابحاث اظهار ملكيتهم لتاريخ طــويل فى الأناضول . ورغم أن المؤرخين من الاتراك يرون أن تلك الابحاث خروج على الحقائق التاريخية وتجاوز لحدود البحث العلمى الأمين الا انهم يرون أن ذلك يمكن أن يغتفر فى سبيل ما كانت تصبو اليه الدولة من غرس مبادئها القومية وابعاد شبح الشعور بالنقص .

(فتحى عبد المعطى التكلاوى)

* * *

(٢)

شق اتاتورك بالقومية المدخولة العرب عن الترك ونفذ لما دعاه فصل الدين عن الدولة وفرض العلمانية وجعل خمسين الف مسجد فى تركيا عديمة الأثر فى الواقع لقد نسى المخدوعون باتاتورك الدارجون من مدارسة ان ربط تركيا بعجلة الغــــرب لا يعنى انها ضــد الشرق الشيوعى. ان اتاتورك ولينين يجلسان فى زاوية ماسونية واحدة ، هى ليست شرقا بل مشرقان وان سارا فى خطين متغايرين فهما يلتقيان فى خدمـــة أهداف الماســونية والتصميم على هزال الاسلام .

* * *

(٣)

ليس بصحيح كون مصطفى كمـــال هو الذى حرر تركيا فالذين حرروا تركيا هم عصابة كان مصطفى كمال واحدمنهم وقد عضدهم الشعب التركى باسره وكان نهوض كاظم باشا قره بكير وجمـــاعة من قواد الجيش وعقدهم المجامع فى ارضروم وسيواس وقرارهم على المقاومة قبل التحاق مصطفى كمال بهم ببضعة اشهر ولكن مصطفى كمـــال منذ دخــل الحركة الوطنية التركية كان يضمر فى اعماقه الاستئثار بالأمر ، كان المجلس الكبير الذى تعاقد على مقاومة الاتراك لجيش اليونان فى أزمـــير بقيادة كاظم بكير وعلى احسان ونور الدين وعمر فوزى قبل ان ينضم اليهم مصطفى كمال .

(راجع ابراهيم شريف : الشرق الأوسط ١١٩/١٠٤)

ثم لم يكد توافى الظروف مصطفى كمال وتظهره على بعض رفاقه الذين سعى الى طمس أخبارهم وبطولاتهم من أول يوم ويأخذ ميثاقا فى لوزان حتى مكن الدونمة من نفسه وللماسون من سياسة الغاء الخلافة .

* * *

(٤)

أصبحت تركيا من الناحية الدستورية دولة علمانية لا دخل للاسلام فى تحديد سياستها الداخلية والخارجية وان هذه « العلمانية » قد فرضتها على الدول المنتصرة فى الحرب العالمية الأولى بموجب معاهدتى سيفر ولوزان لقاء الأعتراف بها كجمهورية قائمة على انقاض الخلافة لا يتعدى سلطانها حدود الاناضول .

وان الذين فرضوا عليها هـــذه « العلمانية » لايزالون حريصين على دوامها تحقيقا لاهدافهما اصطلحوا على تسميته بالمسألة الشرقية وهى مســألة لا تخص الاتراك وحدهم بل تخص المسلمين جميعــا لأنها تعنى القضاء على الدولة التى كانت قائمة آنذاك وتعطيل نظام الاسلام وتفتيت العالم الاسلامى واقتسامه مناطق نفوذ بين الدول الأوربية والابقاء على هذه الاوضاع الا أن هذه القوى المعادية للاسلام قد ركزت على ابعاد الاسلام عن تركيا ابعادا تاما قدر الامكان .

ثم كان اعتراف تركيا باسرائيل ١٩٤٧ .

وبعد حوالى نصف قرن مرت على تركيـــا بدأت العلمانية تشهر افلاسها وتترنح أمام صـمود الشعب التركى على اسلامه واخذ الاسلام فى تركيا يزحف الى قواعده من جديد . أن الذين فرضوا العلمانية على تركيا ما كانوا يبتغون مصلحتها وانما كانوا يريدون الانتقـــام منها واذلالها وذلك يرجع الى حقد لئيم دفين يرجع الى أيام خيبر وفتح الاندلس والقسطنطينية ومعركة حطين .

(١٣٤)

ارنولد توينبى وتجربة تركيا الكمالية

بدلا من أن تنحصر الثورة التركية فى ميدان واحد كما هى الحال فى ثوراتنا الاقتصادية والسياسية راحت تجتاح جميع الميادين دفعة واحدة وتقلب حياة الشـــعب التركى رأسا على عقب من أعلى نشاطاتها وتجاربها الاجتماعية الى قاعها الادنى . ولم يكتف الاتراك بتغيير دستورهم فقد خلعت هذه الجمهورية حامى الاســلام والغت خلافته وأزالت حجاب المرأة ونبذت جميـــع مقتضياته وابطلت الوقف اسلامى وحلت الزوايا والخانقات وحملت الرجال على الاختـــلاط بغير المؤمنين اذ فرضت عليهم مجاراة هؤلاء بلبس القبعات ذات الحواشى التى تمنعهم من ممارسة التصعيد الاسلامى القاضى بأن تمس جباه المصلين أرض المسجد ، وخنقت السريعة الاسلامية بترجمها القانون المدنى السويسرى الى التركيز الملائم المكيف من قانون الجزاء الايطالى ثم جعلها هذه القوانين المقتبسة سارية المفعــول بقرار اجازه المجلس النيابى بالتصويت ، ولقد استبدلت خــلال هذه الثورة الأحرف اللاتينية بالأحرف العربية مما أدى الى اطراح القســم الاكبر من التراث الادبى العثمانى القديم .

ان الاتراك كانوا ولا شك يحاولون أن يقلبوا شعبهم وبلادهم الى شيء ، ما فتئنا فى اللقاء بين الاسلام والغرب يتهمهم بمنافاته لطبيعتهم ، لقد كانوا يحاولون ومن هنا هذا التأخر فى الميعاد أن ينشئوا فى وطنهم نسخة من أمة غربية وبلد غربى .

أقل ما يقال فى انتقاداتنا هذه المواجهة الى الاتراك انها جافية وبامكان الضحية التى تسلط عليها رقابتنا أن تفحمنا بقولها انها مهما فعلت فلن يستقيم عملها فى أعيننا وبامكانها أن تستشهد ضدنا ، غير أن هذا لا يعنى ان انتقاداتنا على قساوتها كلها اقــرار ، اذ ماذا سيضاف بالتالى الى التراث الحضارى فيما لو ثبت أن هذا الجهد لم يكن عبثا . هنا تتجلى ناحيتا الضعف . (الأولى) : تمكن فى أن تقلد على الأصل ولا تبدع فهى تفعل ذلك الى درجة أنها حتى فى مجال نجاحها لا تقدر على اكثر من أن تزيد مقدار الانتاج الآلى للمجتمع الذى تقلده بدلا من أن تتحرر فى النفوس البشرية طاقات خلاقة جديدة ، وناحية الضعف الثانية هى أن هذا النجاح المحدود وهو خير ما يستطيع أن يحققه ، لا يستطيع أن يهب الخلاص لغير

اقلية ضئيلة من هذه الجماعة ، اما الباقون وهم يشكلون الأكثرية فانهم لا يستطيعون ان يأملوا فى أن يصبحوا حتى اعضاء سلبيين فى المدينة المقلدة . وهذه الشعوب غير الغربية حتى ولو قدر لها أن تحول بلادانها الى دول حديثة سيدة مستقلة بواسطة انقلاب بطولى .

ان اقصى ما يمكنهم تحقيقه لا يخرج عن النجاح الشعبى فى مجال البقاء المادى أن الذى ينجو من الافناء يستحيل الى راسب حضارى متحجر منقرض من حيث طاقته الحيوية .

الحق انه لا يقدر أن يشاركنا مشاركة خلاقة فى زيادة انماء هذه الحضارة الحية .

* * *

(١٣٥)

تركيا بعد اتاتورك

عقب نجاح عدنان مندريس ١٩٥٠ بدأت مرحلة جديدة فى تركيا وبدأت العودة الى الاسلام فى مجال التعليم والدعوة واولت الحكومة عنايتها للمسلمين ومشاعرهم الروحية فعاد الآذان للصلاة والاقامة باللغة العربية واحييت مدارس القرآن الكريم ورخص للناس افتتاح مدارس القرآن بعد أن ظلت مغلقة مدة ثلاثين عاما كما فتحت معاهد الأئمة والخطباء مما مكن لظهور شباب يحملون رسالة الدعوة الى الاسلام وتعليمه للناس .

وهناك خمس وثلاثون مدرسة على المستوى الثانوى لتخريج الأئمة والخطباء يدرس بها حوالى خمسة وسبعون الف طالب وخمس معاهد اسلامية عالية (٦ آلاف طالب) وكليتان للشريعة فى انقرة (الف طالب) وفى تركيا ستة وثمانون الف مسجد ترعاها الدولة من جملة ١٤٠ الف مسجد .

لقد انتصر عدنان مندريس على العلمانيةعام ١٩٥٠ وتفتحت الآفاق للاتجاه الاسلامى ، اعادة الآذان ، ورفع الحواجز عن رجال الدين ، السماح بتعلم اللغة العربية ودراسة القرآن ، وفتح المساجد التى اغلقت .

ثم بدأت القوى اليهودية السرية التخطيط لاسقاط مندريس فى انقلاب ١٩٦٠ الذى قام به جمال جورسيل واعدم مندريس واثنين معه ١٩٦١ بتهمة خرق الدستور الذى وضعه أتاتورك .

فقد كان الجيش التركى — ولا زال — يعمل على حماية مبادىء اتاتورك بعد ان كان جيشا مجاهدا فى سبيل الله .

وبتعدد اسباب الاضطراب الداخلى التركى ومنذلك العلمانيةومنها الطائفية (اقلية علويةفى لواء الاسكندرونة ٢ مليون شخص تعذى هذه كردى يشكلون احتياطيا هائلا للاضطراب) وتتزعم روسيا الحركة الشيوعية فى تركيا بالمال والسلاح وهناك مشاكل اليونان والأرمن والبلغار الذين يديرون الاضطرابات الداخلية فى تركيا .

* * *

(٢)

يقول الدكتور سليمان اتش (أستاذ بجامعة انقرة) ان الشباب فى تركيا الآن يعتقد ان فى الدنيا ثلاثة طرق : طريق الراسمالية ، وطريق الشيوعية ، وطريق الاسلام وقد جربت الدنيا الطريقتين الأولين فما وجدت فيها أية سعادة .

فالمعتقد أن سعادة المسلمين فى تطبيق أحكامه .

ويقول لا يمكن أن تذوب الرابطة التى جمعتنا كمسلمين عشرة قرون وقال ان الكتب الاسلامية منتشرة فى اوساط الشباب ، والمساجد تمتلىء بالمصلين ، وهناك

اقبال على المعاهد الاسلامية ، وهناك دور طباعة كثيرة فى تركيا تتسابق على نشر الكتاب الاسلامى (وخاصة كتب المودودى وابو زهرة وقطب) .

ويقول أن من عوامل الهزيمة « تعريب قضية فلسطين » وعزلها عن مسلمى العالم فالعالم الاسلامى يرغب فى التطوع للمشاركة فى قضية فلسطين والعرب يرفضون العون ويصرون على العزلة . لقد حرص الحكام العرب على ابعاد العنصر الاسلامى ومحو الصبغة الدينية عن القضية ، فى الوقت الذى اعتبر اليهود أن الدين هو صميم قضيتهم وعصبها ، وبذلك حطم هؤلاء الحكام العامل المشترك الذى يربط الشعوب العربية مع شعوب القارة الافريقية وآسيا واجزاء من اوربا وساعدوا على عزل الأمة العربية عن أكبر رصيد دولى كان يمكن أن يقف معها بل ذهبوا الى التهجم على الاسلام ومحاربته .

وهناك الحكام القوميون الذين كانوا يحلمون بامبراطورية عربية تكون طوع بنانهم خصوصا فيما يتعلق بخطهم السياسى تجاه القضية الفلسطينية خشية أن تهزم مخططاتهم وسياساتهم امام المبادىء الاسلامية الواضحة وهناك الماركسيون الذين ازداد نفوذهم فى حكومات الهزيمة وهؤلاء كانوا يخشون اى وحدةاسلامية لا تقوم على الأممية الشيوعية او المنظومة الاشتراكية الدائرة فى فلك المعسكر السوفيتى ، وهناك الغربوعملاء الغرب وهؤلاء يفضلون دمار العالم الاسلامى حتى الحضيض دون أن يشهدوا مسيرة العملاق الاسلامى .

* * *

(٣)

فى عام ١٩٧٣ برز حزب السلامة الوطنى بقيادة الدكتور نجم الدين اربكان وتوالت انتصاراته فعاد الهتاف فى تركيا « الله اكبر » وعاد هتاف النشيد الوطنى للجيش العثمانى المسلم : جيش محمد الفاتح فاتح استانبول .

ورفع العلم الأخضر ذو الأهلة الثلاثة ، علم العالم الاسلامى الموحد بينما انفجرت العيون حزنا على ما تقد املا بالنصر القريب .

قال : اننا قمنا بفتح أبر عدد من المدارس الدينية ومراكز تحفيظ القرآن فى تركيا . ان مفتاح تشكيل الحكومات فى تركيا سيبقى باذن الله فى يد المسلمين الى الابد وكان عقد مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى فى استانبول بمثابة نقطة انطلاق .

انحزب السلام الوطنى يناصر الشعوب الاسلامية المضطهدة تحت السيطرة الشيوعية خاصة الأقليات التركية التى تعيش فى بلغاريا وفى اليونان ، ويرى اربكان أن قضية فلسطين قضية اسلامية أولا وآخرا والعرب المنسلخون عن الاسلام اقل واذل من أن يحرروا فلسطين .

وبدت تركيا وكأنها قد نزعت نفسها من الأمر الذى فرضه عليها اتاتورك واخذت طريق الأصالة ، وسارت بخطى سريعة فى طريق التحول ودعا اربكان الى وحدة اسلامية . « على العالم الاسلامى أن يتعاون من اجل استخدام قوته الاقتصادية فى تحقيق تنميته الخاصة » أن هناك خمسين دولة اسلامية تبلغ تعداد سكانها حوالى مليار نسمة ولكن اجمالى الناتج القومى لديها قليل للأسف رغم ان الدول الاسلامية هى التى تمتلك القوة الاقتصادية الحقيقية المثلة فى التسويق .

* * *

(١٣٦)

الانقلاب التركى ١٩٨٠

وقع الانقلاب التركى ١٩٨٠ فى مواجهة المنطقة الاسلامية ، وكانت ثورة الاسلامية قد عبرت عن احتجاجها بمظاهرة ضخمة معادية لاسرائيل ، دعا اليها حزب السلامة الوطنى واحرقت فيها اعلام اسرائيل وأمريكا وروسيا والقى نجم الدين اربكان خطابا حماسيا ندد فيه باسرائيل واتهم الحكومة التركية بالسير فى ركاب أمريكا والغرب .

ثم وقعت أحداث قونية عاصمة الأناضول الواقعة فى قلب المنطقة المسماة « تركيا الأسلامية » فعلى مر السنوات كانت هذه المدينة بمثابة العاصمة الاسلامية لتركيا يؤمها الأتراك الذين يصرون على أن تركيا مازالت رسميا دولة اسلامية وأصبح قبر مولانا . . قبلة يحج اليها الآلاف سنويا لمجرد انه مكان مقدس دفن فيه العالم الصوفى الشهيد مؤسس طائفة الدراويش وكانت المدينة دائما تحت سيطرة حزب السلامة الوطنى وزعيمه نجم الدين اربكان وهو الحزب الذى ينادى بتطبيق مبادىء الاسلام وتعاليمه مرة اخرى فى تركيا .

وكان البحث يدور بين العسكريين الاتراك والأمريكيين حول صلاحية السماح للاحزاب الاسلامية بتولى الحكم فالنظرية الأمريكية فى ذاك الوقت كانت تؤمن أن الدين خير رادع لانتشار الشيوعية وان تشجيع الأحزاب الدينية حتى ولو كانت متطرفة هو من أفضل السبل لانشاء حزام واحد حول العالم الشيوعى يمنع من انتشار نظرياته خارج حدود الدول الدائرة فى فلك موسكو . وكان العسكر الأتراك ضد هذه النظرية على خط مستقيم ، وكانوا يرون أن تسلم السلطة للاحزاب الدينية يعنى تقويض دعائم الدولة الأتاتوركية وجاءت احداث ايران لتدعم موقف العسكريين الأتراك فى جدالهم مع الامريكيين .

وفى المظاهرة : خرج المتظاهرون بالطربوش الذى حرم أتاتورك ارتدائه منذ عام ١٩٣٤ ، وتعالت هتافاتهم عاشت تركيا اسلامية : لا حكم الا للقرآن ، يسقط الالحاد الموت لأعداء الاسلام ولليهود ، كان انزعاج العسكريين يفوق قلقهم على انهيار الأمن وقام أتباع حزب السلام (الخلاص) بافتتاح مسجد صغير فى قلب القسطنطينية على الجانب المقابل من نافورة احمد الثالث . المسجد كان ملتصقا بجامع أيا صوفيا الذى أصبح رمزا لمدينة القسطنطينية وتركيا الحديثة ففى عام ١٤٥٣ حول السلطان محمد الثانى الكنيسة البيزنطية المعروفة باسم القديسة صوفيا الى أحد أكبر مساجد الامبراطورية العثمانية وعلى مدى ٤٥ عاما حولت أيا صوفيا الى متحف وحرمت فيه الصلاة والتعبد .

وادرك الجنرال افرين أن تركيا مقبلة على ثورة اسلامية لا محالة .

* * *

(١٣٧)

محاولات العودة الى الاسلام

كان مشروع شاتيلى الموضوع عام ٦٦٠٦ ينص على ضرورة احتواء الأتراك من اقاصى آسيا الصغرى وحملهم على الديانة الكاثوليكية ثم يقسم المشروع الامبراطورية التركية الى عدة أقسام فيخصص قسط لبريطانيا وقسم لفرنسا وثالثا لأسبانيا وربما لايطاليا ايضا وهو ما حدث بعد ذلك بثلاثة قرون .

وكان الغرب لا يقبل أن تبقى قطعة من أوربا تدين بالاسلام ويعتبر الغرب قارة مسيحية ويجب أن تبقى مسيحية ، وكانت الدولة العثمانية تعتبر عدوة المسيحية الأولى وكان التحالف الاسلامى يهدف الى قضاء مصالحه بالقضاء على أكبر امبراطورية فى العالم .

وقد كتب نابليون وهو فى منفاه بجزيرة القديسة هيلانة قائلا :

« تذاكرت مرارا مع الروس فى أمر قسمة السلطنة العثمانية وكان ذلك ممكنا لولا (القسطنطينية) التى كانت دائما سببا لمنع الاتفاق ، فقد كان الروس يريدونها ولم أكن أرضى باستيلائهم عليها فان القسطنطينية مملكة ومن ملكها يمكنه أن يسود كل الدنيا .

وجاء القرن العشرون ليقع الحديث عن (الرجل المريض) وما مرضه الا نتيجة التآمرات التى استمرت طوال القرون ، ولقد صارت الدولة تضعف وتضعف وصار يسيطر عليها الآونة بعد الأخرى بعض الذين لا خلاق لهم ، فثارت المنازعات من حولها وانفتحت شهية الطامعين الحاقدين وزادت المشاكل تعقيدا وتأكد الجميع أن هذه المشاكل لا تنتهى الا بحرب عالمية قد تأتى على الأخضر واليابس وأتت حرب ١٩١٤ لينفذ البرنامج المقرر وليقضى نهائيا على الخلافة الاسلامية فى تركيا ولقد استعملت كل الوسائل لمحو الوجود الاسلامى من تلك الأراضى ، فلقد ادعو بأن أسباب ضعف هذه الدولة العظيمة هو التزامها بالاسلام وخلط شئون الدين بشئون الدنيا والاستمرار فى تسيير شئون الدولة طبق شرائع سماوية وأن لا علاج الا بفصل شئون الدين عن شئون الدولة والأخذ بقوانين اجنبية عصرية وان وجود هذه الدولة فى القارة الأوربية يحتم عليها أن تسير فى النهج الأوربى ويتبع التقاليد الغربية الاوربية .

لقد آمن بعض المسئولين الأتراك بنظرية الغربيين وظنوا أن تقدمهم فى ميدان الحضارة وكأنهم بالركب الأوربى يتطلبان نبذ الاسلام والتنكر لمبادئه فطفقوا يعملون جاهدين على ابعاد الاسلام عن معركة الحياة وأزالوا من الدستور الفقرة التى تنص على أن دين الدولة الرسمى هو الاسلام وقالوا انهم سينشئون الدولة التركية الحديثة التى تسير فى الاتجاه الغربى العلمانى ويباعد عن كل اتصال وحنو الى الماضى (الجاهلى) وهكذا حققوا ما كان يتوق اليه الاستعمار طوال قرون ولم يستطع الوصول اليه .

مضت خمسون سنة كاملة ، على السير فى هذه التخطيطات ، ولكن جذوة الاسلام فى الشعب التركى لم تخمد ، وشعلة الايمان لم تنطفىء ، فما أن رجعت عنه يد القهر ، حتى رجع لحقيقته التى آمن بها وها نحن نرى بوادر نهضة دينيـة تنبعث فى تركيا ، وها هو كثير من الشباب المتعلم يحس بضرورة الاستجابة لرغبات الشعب التركى المؤمن ، فيطالب بالرجوع الى حقيقة الاسلام الحنيف ، ويدعو الى ربط عجلة تركيا بالأمة الاسلامية .

يوجد الآن مائتان وخمسون مدرسة لتكوين وتثقيف الأئمة والخطباء وعدد طلبتها مائتان وخمسة وسبعون الف طالب وتوجد كليتان اسلاميتان (فى أنقرة والأخرى فى أرض الروم) واللغة العربية أساسية فى كلتا الكليتين (١١٠٠ طالب) .

وتوجد كلية الاختصاص فى اللغة العربية والعلوم الاسلامية باسطنبول والدراسة فيها بالعربية .

عدد الوعاظ فى تركيا ٦٤١ واعظا وعدد المقيمين (٦٣٢) مدرسوا القرآن ١٥٤٣ مدرسا الأئمة والخطباء ٣٣ الفا .

(أبو بكر القادرى)

* * *

(٢)

ان المتتبع للأحداث التى جرت بتركيا ابتداء من الانقلاب الذى قام به الزعيم مصطفى كمال سنة ١٩٢٣ والذى اصبحت فيه تركيا — بعدما ألغت الخلافة — جمهورية علمانية متجهة اتجاها أوربيا غربيا ، يلاحظ ان تغييرات أصبحت تدخل على المفاهيم التى فرضها أتاتورك على تلك البلاد بقوة السلطة والعنف الشديدين ، فقد قرر أن يصبغ الدولة التركية بالصبغة اللادينية ويمحو كل ارتباط لها بالاسلام وبالعالم الاسلامى وهكذا استبدل التشريعات الاسلامية بقوانين سويسرية وايطالية وفرنسية وقضى بعنف على كل من اعترض أو أراد الوقوف فى طريقه ، لقد ألغى وزارة الأوقاف الاسلامية وأقفل عددا من المساجد ولم يترك الا البعض منها وتدخل فى خطب الجمعة يوجه الخطباء كما يريد ومنع الآذان باللغة العربية وزاد فألزم الشعب برفض لبس الطربوش واستبداله بالقبعة الأجنبية كما فرض اللباس الأوربى على الأتراك وأمر باستبدال الحروف اللاتينية فى الكتابة وألزم المرأة التركية بالسفور ودعا الى الاعتزاز بالقومية الطورانية بدل الانتماء الى المجموعة الاسلامية الى آخر

ماقام به من أعمال أثارت السخط الكبير فى العالم الاسلامى ومن جملة ما قام به (أتاتورك) تأسيسه لحزب الشعب الجمهورى ١٩٢٣م والذى تزعمه بعد وفاته ١٩٣٨ السيد عصمت اينونو .

لقد أراد حزب الشعب تحت قيادة مصطفى كمال ان يقطع كل صلة له بالماضى العثمانى كما أراد ان يركز نظرية جديدة مؤداها ان الأتراك من العرق التركى الأصل وليس لهم ارتباط بالعرق السامى الشرقى .

ولذلك فمن واجبهم التحرر النهائى من أى ارتباط بالشرق، ومن أى تدخل دينى كيفما كان نوعه وحاول فى نفس الوقت انتهاج سياسة اقتصادية خاصة ، تتسم ببعض جوانب الاشتراكية وتصفى العناصر الدخيلة فى البلاد ، خصوصا تلك التى تستنزف خيراتها وامكانياتها الاقتصادية ، وهكذا قام ببعض الاصلاحات فى الميدان الاقتصادى . لقد سار حزب الشعب فى سياسة رئيسه مدة من الزمان ولكن مع مرور الأيام صارت تدخله عدة تيارات فيها المعتدل وفيها المتطرف فام يستطع أن يدخل تغييرات جذرية اصلاحية على البنيان الاقتصادى رغم ما كان يصرح به زعماؤه .

أما حزب العدالة والحزب الديمقراطى فانه لم يتأسس الا سنة ١٩٦١ وهو مختلف كثيرا عن حزب الشعب الجمهورى ، فلقد زاد عن ربط عجلة تركيا بالغرب ففتح الأبواب للأموال الاجنبية تدخل الى البلاد بقصد الاستثمار وأيد الأحلاف العسكرية مع الغرب وارتمى فى أحضان السوق الأوربية المشتركة ورغما من أنه بقى وفيا لمبدأ علمنة الدولة فانه أفسح المجال للقيام ببعض الاصلاحات الدينية فى البلاد .

ثم تأسس حزب السلامة ١٩٧٠ الذى يتزعمه نجم الدين أربكان وقد دخل فى انتخاب ١٩٧٧ وحصل على مليون و ١٨٩ الف . انه ينطلق من ضرورة ارتباط تركيا بالمجموعة الاسلامية ارتباطا صحيحا سواء فى الميدان السياسى أو الميدان الاقتصادى ، وهو يرفض الرفض النهائى كل تحالف غربى أو شرقى ، ويقول بعدم التبعية لأى من المعسكرين وهو يقاوم الدخول فى السوق الأوربية المشتركة ، ويعتبر السير معها تكبيلا للاقتصاد التركى وهو يدعو الى الاهتمام بتصنيع تركيا تصنيعا حقيقيا خصوصا الصناعة الثقيلة .

وقد تولى السيد نجم الدين أربكان منصب نائب رئيس الحكومة ولقد قام بالفعل بوضع حجر الأساس لكثير من المصانع فى عدة ولايات فى تركيا اذ من رأيه تعميم التصنيع فى كثير من الولايات .

هذا كله ان دل على شىء فهو يدل على أن مرور نصف قرن وزيادة ، لم يمكن مطلقا أن يبعد الحقيقة الاسلامية عن ضمير الشعب التركى المتشبث بدينه والمتطلع الى استرجاع شخصيته الاسلامية وذلك مما يعمل له كل المخلصين الأتراك .

(ابو بكر القادرى — العلم ٩ يوليو ١٩٧٧

* * *

(١٣٨)

مؤتمر السيرة النبوية فى تركيا

(٣٠ يونيو ١٩٧٧)

أعد السيد نجم الدين أربكان فى نهاية مؤتمر السيرة والسنة المنعقد فى تركيا صورة اتفاق على هيئة تعهد التزم به ووقعه المسئولون عن الصحافة الاسلامية التى شاركت فى المؤتمر مع بقاء الباب مفتوحا لمن يريد الانضمام الى هذه الفئة العاملة على الدفاع عن قضايا أمتها :

١ — المحاربة لجميع أنواع الانحراف والفساد والشرور كيفما كان نوعها ومن اى جهة كان مصدرها . ان الاسلام يدعو الى تثبت الأخوة الاسلامية ومحاربة كل فكرة عنصرية أو سلالية ولذلك فان الصحافة الاسلامية تلتزم بالعمل لتبث فكرة الاخوة بين مختلف الشعوب الاسلامية حتى تصبح أخوتها حقيقة وتعاونها صادقا ، فتتحقق الأمة الاسلامية الموحدة ، التى دعا اليها الاسلام ، ومثل لها سيد الأنام :

(مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

ونظرا الى الظروف التى يختارها العالم الاسلامى فى العصر الحاضر ، تتسم بكثير من الظلم والحيف والتسلط والمنكر والاستعمار : هذه الشرور المنجلبة خصوصا فى الامبريالية والصهيونية والمتعاونين معهما فان واجب الصحافة الاسلامية أن تكافح الامبريالية والصهيونية وتحاربهما وتكشف خبثهما وتآمرهما على العالم الانسانى بما فيه العالم الاسلامى وان الدعوات المادية والافكار الالحادية البارزين فى المذاهب الشيوعية وما شاكلها من الدعوات الالحادية أصبحت تجد رواجا حتى فى بعض المجتمعات الاسلامية ، خصوصا فى الأوساط البعيدة عن التكوين الاسلامى الصحيح ودفعا لخطر هذه الدعوات فان رجال الصحافة المسلمين مطالبون بفضح حقيقتها وتوضيح اخطارها على العقيدة الاسلامية ومحاربة كل النزعات المادية والأخطار العلمانية التى لا تتلاءم مطلقا مع الخط الاسلامى الذى يدعو الى التمسك بالعقيدة والعمل على اسعاد المجتمعات الانسانية وتحقيق العدل فيها . ان حرية الانسان شىء مقدس فى نظر الاسلام وان المجتمعات الانسانية ومقاومة العادات السيئة والانحلال الخلقى أمور تلتزم بها الصحافة الاسلامية وتجعلها فى طليعة الأهداف التى تناضل فى سبيلها .

وقد لاحظ الصحفيون المسلمون ان المسلمين فى كثير من انحاء الأرض يعانون الأهوال والمحن والشدائد ، فتسلط عليهم الحروب ويذوقون كثيرا من انواع البلاء فالمسلمون فى اريتريا والفيليبين وقبرص وغيرها يعانون محنا متتالية وأهوالا شتى لذلك فان واجبهم أن يفضحوا كل انواع التآمر الذى يقوم الامبريالية والاستعمار والصهيونية ضدهم وان يشدوا من ازرهم ويساندوهم حتى يحققوا الانعتاق والتحرر وتحقيق الحياة السعيدة .

* * *

(١٣٩)

ماذا فعل اتاتورك باللغة التركية حين أبعد الحروف العربية ؟

بقلم : عبد القادر القادرى

وجه مجلس مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر فى يناير ١٩٧٤ نداء الى شعوب الأمة الاسلامية فى شأن خطورة كتابة لغات المسلمين غير العربية بالحروف اللاتينية .

وبمناسبة هذا النداء احببنا أن ننبه الى الخطأ الذى وقع فيه مصطفى كمال أتاتورك باستبداله الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، هذا الاستبدال الذى أوحى اليه به صديقه اليهودى التركى ظيا صفت .

« ان انقلاب الحروف — يقول العلامة التركى محمد عزت دروزة فى بحث له — كان من أهم الخطوات الانقلابية فى تركيا الحديثة وأشدها خطورة واثرا لانه بدل صورة راسخة فى الشعب التركى متصلة بحياته الثقافية والدينية والأدبية والرسمية منذ اكثر من الف سنة بصورة جديدة كل الجدة وقطع او أضعف ضعفا شديدا رابطة هذا الشعب المسلم بثقافة الأمة العربية بل ولعله لا يكون تجاوزا أن يقال بالدين الاسلامى الذى كانت الحروف العربية وما زالت من أهم مظاهره باعتبارها صور حروف القرآن الذى هو أس الاسلام .

هذا وقد كانت الخطوة الأولى العملية فى سبيل هذه الحركة الانقلابية فى صيف عام ١٩٢٨ حيث استصدر قانون الحروف فى اول جلسة عقدها المجلس الكبير نص فيه على ابطال الحروف العربية وتعويضها بالحروف اللاتينية .

فحرف (س) هو مقابل «ج» وباضافة اشارة تحية يصبح جيما شبيهة «ج» وحرف الشين يرمز اليه بحرف اس مضافا اليه اشارة تحية اس لأحرف أى للغين الشديدة ويضاف اليها اشارة فوقية جيه فتكون عينا خفيفة بين الغين والكاف ولم يؤخذ حرف جيه واكتفى بحرف كيه الكلمات التى فيها كاف مع مساعدة حرف (جيه) .

كما لم يؤخذ حرف (x) لانه ليس له صوت فى اللغة التركية ومع بقاء حرف الصوتى فبالنقطة جعل الى جانبه شكل مثله بدون نقطة ومع ابقاء حرفى (أوه) و (يو) الصوتين اضيف شكلان مثلهما وعليها نقطتان (ة) (ت) .

وهكذا صار فى الحروف الجديدة بما فيه حروف صوتية لكل منهما صوت خاص واستعيض بذلك عن التركيب الحرفى الصوتى فى اللغات الأوربية الذى يكون لكل منها صوت خاص به بتركيب حرفين أو اكثر من الحروف الصوتية ومن يجعل للحروف العربية التى ليس لها فى اللغة التركية أو اللغات الاوربية مقابل تام مثل الضاد والحاء والثاء والحاء والذال والطاء والظاء والعين والصاد والكاف المتوسطة بين قاف والكاف بالرغم من ان هناك مفردات عربية كثيرة جدا امتزجت فى التركية تحتوى هذه الحروف « انظر ما هو مكتوب تحت عنوان جريدة ازمير التركية : اى صباحية اى سياسية .

وقد اوجب القانون اعتبار الحروف الجديدة اجبارية منذ أول يناير ١٩٢٩ ولقد كان من جراء التبديل أن اكثر الكلمات العربية التى ما زالت كثيرة الى الان فى اللغة التركية رغما عن الجهود الجبارة فى التنقية والتصفية والاستبدال قد مسخت كتابة كما كانت تمسخ لفظا حتى ليصح أن يقال أن معالمها زالت أو هى فى طريق الزوال وانه يصعب ردها الى اصلها فى حين أن هذه المعالم كانت على الأقل قائمة بالحروف العربية فالعين والضاد والخاء والتاء والذال والطاء قد زالت فكل ضاد دال وكل طاء تاء وكل خاء هاء وكل ذال زاى وكل ثاء وظاء سين الخ .. والعين قد زالت بالمرة وصارت رنة الألفاظ العربية التى فيها هذه الحروف متوائمة مع الرنة التركية وهذا مقصد من مقاصد الاستبدال الجوهرية .

والطريقة التى يبدو أنهم اختاروها واعتبروها المثلى بعدما قطعوا الشوط الكبير الذى قطعوه تقوم على أساس استبقاء المفردات والمصطلحات العربية وغيرها بقدر الحاجة وما دام الاستغناء عنها صعبا مع اخضاعها فى نفس الوقت فى حركة التنقيب والصقل والاستبدال فى غير تعجل (انتهى بلفظة) ولاخفاء ان الدول العربية قامت بتعريب المفردات والمصطلحات الاوربية ونجحت فى ذلك ايما نجاح بخلاف مصطفى كمال اتاتورك فانه عندما هاجم الكلمات العربية التى كانت تمتلىء بها اللغة التركية لم يحمل معه كلمات تركية وانما عوضها بمفردات فرنسية وايطالية وانجليزية والمانيا .

وعندما هاجم الحروف العربية لم يبتكر حروفا تركية وانما نقل الحروف اللاتينية التى حلت محل الحروف العربية ليمنع الاجيال التركية الجديدة من قراءة تاريخها وثقافتها المكتوبة بالعربية ويفصل حاضر تركيا عن ماضيها فصلا أبديا وتوجد اليوم بتركيا ملايين الكتب التركية المطبوعة بالحروف العربية ولا يوجد من يقرأها من الشباب التركى الذى تعلم لغته بالحروف اللاتينية .

وقال لى أحد اصدقائى الاتراك وهو يناولنى جريدة ازمير التركية وعيناه تفيض من الدمع مما عرف من الحق .

ان مصطفى كمال اتاتورك ظلم الحروف العربية لانها اثبتت طوال الف عام صلاحيتها لتصوير الاصوات اللغوية المطلوبة فى اللغة التركية .

وكل ما فى الأمر أن اتاتورك أراد بعمله هذا أن يجعل من بلاده نسخة غير مطابقة للاصل من الدول الاوربية وكان هذا العمل فى نظره المثل الاعلى الذى يمكن نيطمح اليه زعيم تركى .

* * *

إيران الإسلامية



(١٤٠)

المؤامرة على ايران

كرميت روزفلت : فى كتابه (المؤامرة على ثورة ايران بقيادة مصدق) .

ذكر الأسماء والأشخاص والاماكن ومقادير النقود والخطط التى وضعت فى الخارجية الامريكية باشراف اكبر الرؤساء فى الولايات المتحدة لقلب حكومة الدكتور مصدق الوطنية زعيم الشعب الايرانى .

لقد استرد الشاه السلطة بارادة امريكية . ولم يلبث أن انشأ وسائل الحكم الدكتاتورى : وكالة أمن (السافاك) ١٩٥٧ لتعزيز سلطاته الملكية بمساعدة أمريكا وقد اكتسبت شهرة واسعة بالوحشية والقمع : حيث استمر الخلاف بين الشاه والمعارضة . قام الشاه بتعيين الدكتور على أمينى وعمل عملية استصلاح الاراضى ولم تثق المعارضة ببرنامجه ، شن الجيش غارة على المعارضة واعتقل عددا . فشل الشاه فى مواجهة العلماء اعتقل ونفى آية الله الخومينى ، كافح الشاه لوضع حكم الشرعية ١٩٧١ من خلال احتفالات ٢٥٠٠ سنة على الملكية الايرانية ، وعندما قامت الحرب بين مصر واسرائيل ارتفعت أسعار النفط وقع الشاه اتفاقات عسكرية ٧٠ الف مليون دولار وقال أن ايران ستصبح القوة الثالثة فى العالم فى الثمانينات وانشأ حزبا جديدا هو حزب النهضة وتبددت ثروة ايران الواسعة فى بناء القوة العسكرية .

وكان الشاه قد أقام فى مدينة (برسبوليس ١٩٧١ احتفالا بمرور ٢٥ قرنا على تأسيس الامبراطورية الفارسية تحت اسم مهرجان الطاووس عودة الى الاحتفال بالامبراطور قورش الوثنى الذى سمح لليهود بالعودة الى القدس وان يدخلوا ايران ويتكاثروا فيها حتى أصبحوا ثمانين الفا) .

وكان ذلك مقدمة لتحول ايران الى دولة آرية فارسية عنصرية .

واكدت تقارير المراقبين أن الشاه لم يقدم لايران شيئا ايجابيا طوال مدة حكمه ، وأن هناك اخطاء استراتيجية وسياسية كانت غير ملائمة ، وهى التى أحاطت بالاثار الطبيعية لاصلاحاته المتمثلة فى الثورة البيضاء ومحاولة تصنيع ايران .

***

(١٤١)

كتب : جيرارى فيلين بعد دراسته لايران والشاه قال الشاه :

انى لم أحسن التقدير واخطأت فى اعتمادى على الامريكيين وكنت اعمى اعمى اعمى ، وانى حاولت أن افقد شعبى بدلا من أن أخطو به وحاولت أن انكر الجغرافيا والتاريخ فى جعل ايران الفارسية الآسيوية دولة أوربية غربية وغلطة اخرى لا صلة لى فيها اننى ورثت العرش وسيرثه ابنى من بعدى واننى بسبب خوفى على ابنى حملت عنه اعباء كثيرة وتحسست طرقا غير مطروحة وحاولت المستحيل وهو أن أغير الذى لا يتغير وأن أبدل الذى لا يتبدل ، اقصد ان اختار لابنى أحسن المستشارين وأن افترض فيهم الاخلاص المطلق للجالس على العرش وكان ذلك نوعا من المستحيل واعترف اننى فشلت .

وقال : ان أكبر غلطة اننى ابتعدت عن الناس جدا فرأيتهم صغارا ولم أتبين انهم رأونى كذلك ولم اتنبه الى أن الحاكم عندما يخلق المسافات الهائلة بينه وبين الناس يغرى كثير من الناس حوله بأن يشغلوا هذه المسافة وينتحلوا صفاته ويستخدموا ادواته ويبتلعوا لسانه فيكون هناك اكثر من حاكم وأكثر من ملك وأكثر من عرش .

أكبر غلطة لم أعرفها أخيرا وبالرغم من اننى قلبت فى التاريخ كثيرا وعرفت صناعة العروش ودرست التزحلق على العرش والتسلل اليه فان هناك حقيقة

هامة جدا هى اننا لا نتعلم من التاريخ ، بل ان التاريخ علمنا اننا لا نتعلم منه ولذلك فسوف تتكرر الأخطاء .

أمريكي كبير نصح الشاه بأن يخرج من ايران ، وخرج الشاه ولم يعد . لم ينس الشاه ان الأمريكيين هم الذين اعادوه الى العرش وانهم هم الذين اسقطوه عن العرش ولم ينس ايضا أن ثمان من رؤساء امريكا قد اعتبروه صديقهم الاكبر فى الشرق الاوسط ولم ينس انه صدقهم ولم يفلح الشاه فى ان يفهم ان الصداقة كالعداوة درجات وانها مزاج شخصى ومزاج قومى .

تعددت وسائل الضغط الدولية فى الشرق الاوسط وحدثت حركات تنقلات بين المفردات السياسية فى القاموس وظهرت طبعات جديدة منقحة فى واشنطون وموسكو ولندن وباريس ولكن الشاه يتابع الثورات السياسية من حوله فبقى فى مكانه وتحرك كل الذين حوله بما فى ذلك الامريكيين .

قال كيسنجر : امبراطور ايران طاغية فعلا . وقال نيكسون وكيسنجر : ملك فاسد تماما وكان الواجب ان نتخلص منه . لم يبق لامريكا من اصدقاء فى المنطقة سوى ايران والسعودية . قال كارتر : ايران جزيرة امان فى طوفان من القلق . هل كان لا يدرى بالثورة الحبيسة فى ايران . قال الشاه فى كتابه (رد على التارخ) ان أمريكا خدعته واسقطته وطردته وباعته للامام الخومينى وكانت صفقة خاسرة . فقد دفع الشاه ٢٦ الف مليون دولارا ثمنا للاسلحة المتطورة فى الجيش الايرانى ولم يدفع لها الخمينى دولارا ولن يبيع لها برميلا ان كرامة الانسان لم تهدر فى دولة كما أهدرت فى ايران فقد ادخل الشاه الخضوع السجون والمعتقلات جرد رجال الدين من اموالهم وسلطانهم ، لقد تفرغت ايران وتعرت وتحالت وابتعدت عن الاسلام .

ان ايران لم يقتلها الفقر وانما قتلها التطوير العنيف الذى فرضه الشاه على الشعب . لقد ثارت ايران لا لأن الشاه احرق اعصاب الشعب ، بل لانه أعطى الشعب الكثير من المسكنات .

كان خطاه هو احساسه بأنه صاحب رسالة مقدسة سلطةالابوية علىكل الايرانيين، لمرعاية الهية ، اعتداده الشديد بنفسه ، الخبرة الفارسية لا الاسلامية ، جنون العظمة المسيطر عليه وعقدة النقص التى حكمت كثيرا من تصرفاته بسبب اصله المتواضع .

كان هدفه استعادة المجد القديم لايران مما دفعه الى تبنى القومية الآرية وهو مفهوم علمانى بطبعه الى جانب اعادة المجد الفارسى ، تحديث ايران على الطريقة الغربية يشمل الجانب الاجتماعى لا الجانب الاقتصادى والسياسى فحسب هكذا آمن أبوه فلم ير رجل ايران فى ايران ، فى محاولة لتغريب المجتمع الايرانى وابعاده عن جذوره الاسلامية .

لقد انفق ٥٠٠ مليون دولار فى مهرجان قورش العظيم (على عرش الطاووس) ٢٠ ألف مدعو فكانت هى بداية النهاية .

وأسرة الشاه لم تكن تخفى سلوكها المخالف لتعاليم الاسلام فى بعض الأحيان وكانت ظاهرة انهيار الاخلاق الدينية لدى اسرة بهلوى .

وكانت سياسة الشاه العلمانية المناقضة الدين من وجهة نظر الزعامات الدينية فى ايران ومحاولة تغريب ايران فان الشاه يصبح غير واجب للطاعة ومغتصبا للسلطة .

لقد انتجت ديكتاتورية الشاه آثارا بالغة القسوة دفعت المجتمع الى معاداته فالقمع . كان شديد الوطأة واحتكار الراى الآخر كان مذهبا للحكم والحزب الواحد الذى شكله الشاه بنفسه لقيادة العمل السياسى وجهاز السافاك .

وكان الفساد سمة كبرى من سمات نظام حكم الشاه على النحو الذى جعل تهم الأثراء دون وجه حق تحاصر الشاه نفسه ومعه أقاربه .

٢ — ازدرائه للديمقراطية على الطراز الغربى بالرغم من انه كان مرتبطا بالغرب الراسمالى اشد الارتباط وانه استعار الكثير من أساليب الحياة الغربية ليطبقها فى بلاطه وفى بلاده .

وقد بدأ الصدام المشروع من الزعماء الدينيين ومن ورائهم جماهير المؤمنين ، ابتداء من مسالة سفور المرأة وانتهاء بالغاء التقويم الهجرى ومحاربةتصفية نفوذ رجال الدين ، وبعض رجال الدين كانوا يروجوا ان الشاه يعتنق (الهاندسرا) يزيد الجديد : يزيد بن معاوية الذى قتل رجاله الحسين فى كربلاء وقد تضمنت الكتب التى صدرت قصصا محزنة عن الفساد داخل الأسرة المالكة

نفسها مما يثير معه القارىء ازاء تلك التهم غير العادية تجاه أمراء وأميرات ايران الامبراطورية ورجال الدولة .

قال الشاه فى مذكراته :

لقد وقف رجال الدين المتشددين من زعماء الشيعة ومعارضا للنظام الامبراطورى منذ تولى والدى الحكم ١٩٢٦ لأن هذا النظام الجديد سحب منهم نفوذهم على الشئون السياسية والاقتصادية فى البلاد فكانت هذه المعارضة وراء الاضطرابات ١٩٥٢/١٩٥٣/١٩٦٣ وآخرا ١٩٧٨ و ١٩٧٩ .

وكان زعيم المعارضة السوداء أمام مجهول اسمه الخومينى ، كان معارضا لمبدأ تحديد ملكية الأرض الزراعية ، كما كان معارضا لان تلعب المرأة الايرانية اى دور كما كان معارضا لتعليم المرأة فى ايران ووقف ضد ثورتى البيضاء .

***

(١٤٢)

قال راديو اسرائيل (٨ ايلول ١٩٧٨) ان اخطر ما يهدد مستقبل اسرائيل هو استيقاظ الروح الاسلامية من جديد . وقد كشف التعليق عن خوف اليهود ازاء تزعم علماء المسلمين للاحداث الاخيرة فى ايران . قال المعلق اليهودى : ان احداث ايران تشكل بادرة خطيرة جدا ، يجب على اسرائيل واصدقائها التنبه اليها مبكرا ذلك هو عودة الروح الدينية للظهور من جديد فى المنطقة يشكل تهديدا مباشرا لمستقبل اسرائيل ولمستقبل الحضارة الغربية بأمرها .

***

ان عودة الروح الدينية بهذا الشكل المفاجىء دليل على فشل جميع اساليب القمع التى استعملت للقضاء على الروح الاسلامية فى المنطقة مما يحتم على جميع الذين يعتبرون الاسلام عدوا تاريخيا لهم أن يعيدوا النظر فى الأمل للتوصل الى الاتفاق على اساليب جديدة وحاسمة لوقف الزحف الاسلامى الجديد الذى بدت بوادره فى ايران ويخشى أن يمتد الى تركيا ـ ذلك البعد الذى بذلنا نحن اليهود جهودا مضنية حتى استطعنا القضاء على الروح الاسلامية فيها على يد اعواننا واصدقائنا هناك .

ان بعض الناس من اليهود واصدقائهم يحاولون التقليل من اهمية ما يجرى فى ايران وتركيا باعتبارهما بعيدين عن اسرائيل ولاسرائيل فيهما اصدقاء وحلفاء كثيرون ولكن هؤلاء السذج ينسون ان اسرائيل محاطة بملايين المسلمين من العرب وان اخطر الحركات الاسلامية المتعصبة تنشط بينهم وينتظر الفرصة المواتية لتفاجىء العالم كله وتفاجىء اسرائيل بصيحات الجهاد كما فوجىء العالم بصيحات الجهاد المرتفعة فى ايران وتركيا .

ان على اليهود وأصدقائهم أن يدركوا ان الخطر الحقيقى الذى يواجه اسرائيل هو خطر عودة الروح الاسلامية الى الاستيقاظ من جديد ، وان كل المحبين لاسرائيل يبذلوا كل جهودهم لابقاء الروح الاسلامية خامدة لأنها ان اشتعلت من جديد فلن تكون اسرائيل وحدها فى خطر ولكن الحضارة الغربية ستكون فى خطر .

قال موشى ديان : ان على دول الغرب وعلى راسها أمريكا أن تعطى اهتماما أكبر لاسرائيل باعتبارها خط الدفاع الحضارة الغربية فى وجه اعاصير الثورة الاسلامية التى بدأت فى ايران والتى يكمن ان تهب بشكل مفاجىء وسريع ومذهل فى أية منطقة أخرى فى العالم العربى وربما فى تركيا وافغانستان ايضا وان عودة الروح الاسلامية لا تشكل خطرا شديدا على اسرائيل وحدها وانما على كل الأمم التى كان الاسلام وسيظل يشكل دورا تاريخيا .

***

يقول الصحفى السوفيتى : ان الاتحاد السوفيتى يراقب المد الدينى فى ايران الذى لا بد أن دقاته فى شوارع ايران قد سمعت فى طشقند وباكو وسهول سيبيريا حيث تعيش الملايين المسلمة المقهورة ويراقب ويراقب الاتحاد السوفيتى بقلق عودة المد الاسلامى فى تركيا .

***

ان للخمينى حسابا قديما مع الشاه فأبو الشـــاه قتل أبوه والشاه قتل ابنه ثم سجنه الشاه عشرة شهور ثم طرده الى تركيا وحاربه فى العراق عنـــدما استقر الخمينى فى باريس أخذ يشن على الشاه حرب الكاسيت يسجل عليها منشوراته الثورة وينقل الى الناس فى كل بيت شيعى فى ايران والعراق .

وجاءت ضربة الخمينى لأمريكا عندما الغى صفقة السـلاح دهمتها الوف الملايين من الدولارات (أنيس منصور) .

* ان امريكا بعد أن أيدت حكم الشاه سنوات عدة قبلت فى مقابل تحرير الرهائن طلب ترحيل الشاه الى ايران للمثول أمام المحاكمة .

* قبلت أمريكا ان يقام مؤتمر دولى لكتابة قرار اتهام يتضمن جرائم الولايات المتحدة فى مدة حكم الشاه وقد حضر المؤتمر امريكى حر هو (رمزى كلارك) .

* نشرت احـــدى صحف بالمريس وهى جريدة الأومانيه أسماء وصور جميع موظفى سفارة الولايات المتحدة (الرهائن) المقبوض عليهم فى طهران وامام كل منهم العملية الاجرامية التى وقعت على يديه فى عهـــد الشاه ضد الشعب الايرانى .

* * *

ان الشاه قد احتفل بمرور ٢٥ قرنا على انشـــاء الامبراطور قورش للدولة الفارسية قديما كل فلول العالم وقدم لهم لحم الطاووس والسجاجيد ومنارات دور الازياء فى صناعة الخيام المكيفة الهواء وكانت الطائرات تحمل الطعام ساخنا من مطعم ماكسيم فى باريس تكلفت أعياد الطاووس الف مليـــون دولار . كانت الاحتفالات هى العشاء الأخير لشعب أكثره لم ير الطاووس الا فى الكتب .

* * *

شاه ايران حاول ان ينتقل بايران من الشرق الى الغرب ومن دولة صغرى الى دولة كبرى مستخدما الوف الملايين من دولارات البترول ، حاول الشـــاه أن يبنى الجسور فوق المسافة الكبيرة بين الاغنياء والفقراء ومن المؤكد أنه فشل .

قال كيسنجر : ان الشاه هو الذى قام بتطـوير المجتمع الايرانى ونسى ان التطوير هذا يجب أن يسايره وتعبر عنه نظم سياسية واجتماعية ومن أهم هذه النظم أن يتخلص من الرجل الذى كان السبب . لقد حرك كل شىء وتجمد هو ، وكان لابد أن يحرقه التيـــار الذى صنعه .

كان لسقوط الشاه دوى فى كل قصور الملوك والأمراء العرب .

* * *

قال الباحث الأمريكى : ان المسلمين عندما أعادوا تقييم ما حصلوا عليه من الغرب وعندما أخذوا فى مراجعة تجربتهم مع الغرب خلال السنوات السبعين أو المـائة الماضية وجدوها فاسدة ومضطربة وفاشلة وان محاولة الغرب فى احتوائهم بقوانينه الوضعية واساليبه فى التربية والتعليم قد نتج عنه اضطراب شديد لم يحقق لهم أى تقدم حقيقى أو امتلاك ارادتهم . وقـد تبين لهم اليوم فساد هذه التجربة ، ظهر لهم ذلك فى تجربة اتاتورك فى تركيا والشاه فى ايران وفى تجربة الدكتاتوريين فى اجزاء أخرى وفى فساد تطبيق الديمقراطية فى بعض الدول وتطبيق الماركسية فى اجزاء أخرى ولذلك فهم يتطلعون الى افق جديد ويرون أن التماسهم لاصالتهم ولمنهجهم الاصـيل الذى نشأوا عليـه والذى يعطيهم من القوة والحيوية والاتساع فى مجال الفكر والقـانون ما لا يستطيع أن تعطيهم الايدلوجيات قد أصبح أمرا ضروريا وعلى الغرب ان يعرف وأن يعقد تنظيم حساباته على هذا النحو .

ان الثورة الايرانية انفجرت من جانب الاصـالة الاسلامية ضد الجانب المظلم من التحديث .

(١٢٥)

يقــول روبرت جراهام فى كتابه « ايران : وهم السلطة » :

عندما قررت الدول العربية المنتجة للنفطاستخدام سلاح النفط بتخفيض الانتاج ومنع تصديره للدول الغربية المؤيدة لاسرائيل اثناء حرب اكتوبر ١٩٧٣ قررت حكومة ايران ان تبيع النفط لمن يدفع اكثر وارتفع سعر الدولار من ١٢ دولار الى ١٧ دولار فقفز دخل ايران السنوى من ٥ آلاف مليون دولار الى عشرين الف مليون دولار .

ومن ثم بدأت الدعوة الى مرحلة الحضارة العظمى لكى تصبح ايران القوة الخامسة فى العالم .

وقــــد استخدم الشـــــاه الثروة لتدعيم النظام الامبراطورى وتثبت سلطته الشخصية (اسد بهلوى على عرش ايران) بصرف النظر عن أصول الاقتصاد وقدرة المجتمـــــع الايرانى على استيعاب أحـــدث مبتكرات التكنولوجيا .

وكان ضابط ايرانى مغمور اسمه رضا خان قــد استولى على السلطة ونصب نفســـه ملكا ــ ولم يكن « ضابطا » تلقى تعليمه فى مدرسة عسكرية ، بل كان متطوعا فى لواء القوازق الايرانى أميا لا يعرف القراءة والكتابة حول اسمه من خان الى بهلوى الرمز الفارسى . انتزع مساحات شاسعة من الأراضى بثمن رمزى .

كان كالسيارة التى تنتقل فجأة من السرعة الاولى الى الرابعة وهى تندفع الى أسفل منحـــــدر وجاء المغامرون للحصول على فرصة الاثراء السريع : مديرى الشركات وعجزت ايران عن استيعاب الاف الملايين من الدولارات وفقا للمشروعات الاقتصادية المرتجلة وذلك حين قال الشاه : اننا عبرنا الحدود بالفعل الى الحضارة العظمى .

أدب الخطط الاقتصادية التى تجاهل الأولويات الى تدفق الهجرة من الريف الى المدن عامة وعندما يختلط الحابل بالنابل يبدو الازدهار شاملا ، كان مقصورا على المحظوظين أو أصحاب العلاقات الوثيقة بالقصر الذين جمعوا عشرات المــــلايين فى وقت قاسى وراى غالبية الايرانيين أن ثورة ايران القومية تتسرب الى المغامرين الأجانب .

* * *

(١٤٣)

ايران وأزمـــة ١٩٧٨

قال جيمس بيل :

اتخذت حركة المعارضة للشاه مع بداية عام ١٩٧٨ شـــــكل الحركة الشعبية واجتــــاحت الاضطرابات والمظاهرات طهران وامتدت الى المدن والقرى واعلنت الأحكام العرفية وتساقط آلاف من القتلى تحت نيران قوات الشاه ولم تزد ذلك المقاومة الا اصرارا وعزما على تحدى نظام الحكم حتى النهاية .

لم تستطع القوى العالمية ان تنفذ الى ما وراء القشرة البراقة التى تمثل فى شمال طهران والتى يتحدث اهلها الانجليزية ويعيشون حياتهم على احدث الأنماط الغربية . كانت التقارير تعطيها صورة خاطئة عن طبيعة وعمق المعارضة فكانت تصورها كما لو كانت مجموعة من مثيرى الشغب الماركسيين أو مجموعـــــة من الزعماء الدينيين الذين ينفرون اساسا من برامج الشاه لتحديث ايران ولم تنتبه التقارير لبؤرة المعارضة الأساسية وهى الطبقة الوسطى التى تزداد عــــددا وتأثيرا على مر الأيام .

لكان الهيكل الرسمى لايران قد تشكل من زمن طويل من مؤسسات هشة مهتزة تدور جميعها حــول شخص الشـــاه ، وكانت المؤسسات كلها تقع تحت السيطرة البهلوية التامة ، والشخصيات الهامة تعين من قبـل الشاه ، وقد حكم الشاه حكما مطلقا لا حكما دستوريا قد جمع بين جراة الأسد ومكر الثعلب ، منهاجا يبطش

بقبضة لا تعرف الرحمة أو منسحبا مراوغا يلجأ الى المناورات السياسية المسحوبة ، لم يكن الشاه يتمتع بصفات الزعامة ولم تهبه الطبيعة الشخصية الجذابة وقوة التأثير ، فقام يعرض شخصه فرضا على أذهان الشعب وأحاط نفسه بهالة من القوة الغامضة ، وكان يأمر بوضع صوره وتماثيله فى كل مكان حتى الحشائش والشجيرات فى المتنزهات العامة ، كانت ترسم وتعلم على شكل الأحرف الأولى من اسمه بالفارسية وقد ارتكزت سياسته على محاولةاستيعاب خصومه وكسبهم الى جانبه وكان الشاه يدير بنفسه نظاما هائلا للامن مكونا من قوات المخابرات والبوليس والحرس الملكى والجيش ، وأسبغ على هذا الجهاز مميزات هائلة جعلته من الطبقات المترفة فى المجتمع الايرانى ، ظهر جهاز البوليس السرى المخيف (سافاك) عام ١٩٧١ فعرفت به ايران عهدا من الردع والقمع الوحشى للمعارضة ، وامتلأت السجون ونفذت أحكام الاعدام فى كثيرين وهوجمت المؤسسة الدينية هجوما مباشرا وكان انتهاج الشاه لهذه السياسة والسبب المباشر لتشكيل الحركات الارهابية وبداية العمليات الفدائية .

وكان تطوير الجيش وتسليحه بأحدث المعدات العصرية الغربية والأمريكية على وجه الدقة مع تخلف الأمة السياسية ، حتى قال عنها أحد الصحفيين الايرانيين انها عملاق الاقتصادى وقزم سياسى . نظام القضاء يقع تحت سيطرة الشاه تماما على أساس ولائهم له ، وليس على أساس كفايتهم أو نزاهتهم .

وكانت مؤسسة بهلوى مستودع الثروات الخرافية للأسرة البهلوية .

وقد عارض رجال الدين البرامج الاجتماعيةوحقوق المرأة وعمد الشاه الى استفزاز رجال الدين حتى النهاية فحاول سحقها ومنعها من جمع الزكاة وقاص مخصصاتها المالية واعتقل رجال الدين وتم تنفيذ حكم الاعدام فى كثير منهم وأصبح الدين رمزا للمعارضة .

طهران : تغير جو الموسيقى والرقص والغناء والمايوه البكينى بعد شهرين من رحيل الشاه ، بعد اكثر من عشرين عاما ظلت خلالها تعيش النهار حتى آخر الليل فى الملاهى الليلية وصالات الرقص ونوادى القمار ومع الفنانات ، ليل طهران اختفى وربما الى غير عودة ، اختفت الملاهى اللياية وغلب الرقص الغربى ، بعد أن كان الدليل السياسى يدعو الزائرين الى الرقص على انغام الموسيقى حتى الفجر ، فى الملاهى والنوادى الليلية وصالات الرقص ، وكان بعض هذه الملاهى والصالات قد احرق خلال الثورة فيما أغلق البعض الآخر بعدها كما لم يعد هناك بنات يبعن الهوى فى طهران واختفت المشروبات لم تعد طهران تدعو الزائرين الأجانب للتمرغ فى احضانها كما ضاعت هذه المتعة على الايرانيين الذين كانوا يجارون الاوربيين ، كما اختفت المايوهات البكينى التى كانت تتفوق على مثيلاتها فى أوربا ، التلفزيون يقدم جرعات قليلة من التسلية العامة بعد أن كان يدمر العلاقات الانسانية فى نطاق الاسرة .

* * *

(١٤٤)

قبل الأحداث

تواطىء النظام الشاهنشاهى مع اليهود وأمدهم بالنفط .

الاستراتيجية الاستعمارية الدولية ارادت أن تقوم ايران كحاجز صلب أو هوه عميقة بين العالم الاسلامى العربى والعالم الاسلامى غير العربى .

لقد ورث الشاه عرشه عن والده الذى وصل الى الحكم بواسطة انقلاب مشبوه فى ظروف غامضة تذكرنا بمحاولات حكماء صهيون وبروتوكولاتهم التى تقول : ولا بد أن يصل عملاؤنا الى أعلا المراكز .

فكثير من الانقلابات تكون عن تدبيرهم وتخدم خططهم ومن المؤكد لدينا ان جلالة الشاه من اكبر اعضاء الماسونية فى الشرق ولا يخفى انها منظمة صهيونية تعمل لاعادة هيكل سليمان وتعزيز سيطرة اليهود على العالم .

أعطى الشاه سلاحا حادا لأولئك المنحرفين الذين انطلقوا كالكلاب المسعودة يهاجمون الاسلام وكل ما له علاقة به ويطالبون بابعاده عن صراعنا مع اليهود .

٢ ـــ اثارة الشعوب والنعرات القومية بين العرب

والفرس وجميع العجم ان أمكن فتح معارك أجنبية تطوق عرب المشرق من خلفهم وتحمى دولة اليهود من أن توجه لها كل الطاقات وتعطى الانهزاميين فرصا ذهبية للانصراف عن صراع اليهود ويحدث فتنة فى الخليج لا تهدأ نيرانها الا بعد أن تصبغ مياهه بدماء المسلمين الذين سيذهبون ضحية الصراع القومى الشعوبى الذى يثيره أمثال الشاه ومن يقفون مقابله على أقصى الخط الآخر فيكون فخا يذبح فيه الاستعمار مئات الألوف من المسلمين بأيدى بعضهم البعض وبلا نتيجة كما حصل فى حرب اليمن .

ان الأمة الاسلامية يجب أن تعى ما يدبر لها وتعرف أصدقائها من أعدائها قبل فوات الأوان ، فكل دعاة النعرات لا يريدون وجه الله ولا مصلحة الأمة ، والمنقذ الوحيد لهذه الأمة هو الاسلام والتمسك به الذى يقلب مؤامرات الاستعمار رأسا على عقب .

ان شاه ايران لا يمثل شعب ايران ، ما يقاسيه الجياع والبؤساء والسجن فى سبيل لقمة العيش بينما ينعم الشاه ورهطه بالضياع والقصور والمعونات الأجنبية وعائدات البترول السخية وبعضها مدفوع بالليرة الاسرائيلية .

نواب صفوى وتأييد الآلاف من جماعته التى ساعد الاستعمار الأمريكى حكومة ايران على القضاء على تلك الزحوف التى داستها دبابات الشاه وحصدتها رشاشات ومدافع حرسه حين زحفت الى الاذاعة محتجة على مظالم الحكم وجرائمه .

والأطفال السبعة فى حزب الأمة الاسلامية السرى فى ايران الذين أعدمهم الشاه منذ سنين لم تتراحم حتى الصحف العربية التى كانت تخوض فى مهاترات الشاه لأن مصلحة الطرفين متفقة فى القضاء على الاسلام .

كان الشاه يملك ١٨ الف هكتارا من الأرض الزراعية و٣٥ مصنعا و٨ مناجم لاستخراج المعادن و٤٥ مصنعا للاغذية و٤٣ شركة معمارية و ١٠ جمعيات تجارية و٣٩ فندقا .

وكان يجبر الناس على اشراكه وهو وافراد أسرته .

وكان يهدف الى اضعاف العناصر الدينية . اغلق والده المدارس الدينية والمساجد والأوقاف التى لم تكن تحصل على اية مساعدة حكومية .

وتقول الصحف ان الاتحاد السوفيتى يراقب بقلق المد الدينى فى ايران الذى لا بد أن دقاته فى شوارع طهران قد سمعت فى طشقند وباكو وسهول سيبيريا حيث تعيش الملايين المسلمة .

فالانتفاضة الاسلامية طبيعية ومفهومه الدوافع بعد فشل العلمانية الفريدية والماركسية فى حل مشاكل الناس وعجزها عن طرح قيم ومفاهيم قادرة على كسب وتحريك ضمائر الجماهير وأن تسقط كل القيادات الحديثة التى ثبت عجزها عن التحدث باسم الاسلام (البلاغ ١٩٦٩) .

* * *

(١٤٥)

مطامع الشاه

دق ناقوس الخطر فى العواصم الفريد ان مصالحها قاب قوسين أو أدنى من الخطر . لقد كان تأييدها للشاه طيلة عقدين أو أكثر من الزمن مرتبطا بقدرته على حماية المصالح الغربية وأهمها ضمان ارسال البترول الى مصانع الدول الغربية . وكان التضحية بالشاه مقابل الأمل فى تهدئة الأمور واعادة ضخ النفط العربى . غادر الشاه ايران أوائل يناير ١٩٧٩ . استقبل خمسة ملايين ايرانى الزعيم الدينى (٧٨ سنة) سقط النظام الايرانى طيلة الفين وخمسمائة عام . نظام ملكى قديم يحاول التحديث بأشكاله المادية والخارجية دون أن يعبر عن جوهر العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمواكبة هذا التحديث . اللجوء الى أسلحة القمع ، تراكم المتناقضات ، سلطة الشاه مطلقة ، هذه النخبة ستكون من حوالى ٢٥٠ أسرة يسيطر افرادها على ستة قطاعات رئيسية ، عندما أعلن الشاه فى أوائل الستينات تحت اسم الثورة البيضاء . فشل فى أن يعيد جسور الحوار

مع المثقفين . ومضى فى اتهام كل ناقديه بالشيوعيـــة وتعقبهم على هذا الأساس . احتقار الشـــاه وكل من يحيط به لكل ما هو اسلامى وكما عزل المثقفين عن رجال الدين عن دائرة السلطة والتأثير . من المؤكد ان هنـــاك شيئا واحدا صحيحا : أن الاسلام اكثر حيوية من المسلمين واقدر على التحديات وعلى اصلاح الفساد دون التطبيق المحكم للاسلام القادر على حل مشاكل الناس .

مطامع الشاه كما جاءت فى كتاب (انفجار ١٩٧٩) بول أردمان : هى الحصول على ســلاح نووى بمعاونة اسرائيل وسويسرا والسيطرة الكاملة على منطقة الخليج وما بها من ثروات نفطية هائلة . نبهت هـــذه الثورة المسلمين وغيرهم الى أن الدين الاسلامى ما يزال حيا شابا من أربعة عشر قرنا من عمره لم تجعله كهلا فالديانة المسيحية عندما بلغت مثل هذا السن قد دعت الى التنوير فى أوربا ودفعت الى النهضة العام ولغن ولكنا نتأثر بما نقرؤه عن الاسلام فى صحف الحضارة الغربية التى هى خلاصة حضارات الاغريق واليهود والمسيحية .

ظن الجنرال الفرنسى الذى زار قبر صلاح الدين انه بعودته لن يقوم للاسلام دولة وصولة بعد ذلك وقد اخطأ هذا الجنرال وملايين غيره .

سوف تشجع ثورة الخمينى كل المسلمين على أن يدرسوا الصيغة الاسلامية لحل المشاكل الدنيوية وقـــد اتخـــذت الثورات التى ظهرت فى الشرق العربى كلها ، اتخذت طابعا دينيا اسلاميا أول الأمر ، كيف سحب بساطا أعجميا من تحت عرش الشاه ووراءه الخمسة والعشرون قرنا من عصر قورش الذى أعاد اليهود الى القدس وعفا عنهم ، فاقاموا فى ايران يحتكرون صناعة السجاد والزمرد والكافيار وكل البنوك ومؤسسة بهلوى التى يملكها الشاه واليهود والامريكان هم الذين ساعدوا الشاه على قيامه جيش لعله فى حالة الصراع مع العرب يحتل كل آبار البترول . واعلنت الثورة الايرانيـــة فى ايران ضرورة وحدة المسلمين سواء تكلموا الفارسية أم العربية ، شيعة أم سنة .

لقـــد الغى الشاه التقويم الهجرى واستبدل به تقويما فارسيا قديما يبدأ من ٥٠٠ قبل الميلاد تحديا رمزيا لجـــزء مهم من التاريخ الايرانى الذى أعطى الشعب والمجتمع هويته الحضارية فى الأربعة عشر قرنا الاخيرة وهو الاسلام . وكان الشاه دائم السخرية من أصحاب العباءات السوداء الذين يقفون حجر عثرة فى طريق التقدم (كما فهمه هو بالطبع) وهم رجال الدين الشيعة ثم ضيق عليهم الخناق بمنعهم من جمـــع الزكاة وتقليص مخصصات الاوقاف التى كانوا ينفقون منها على دور العبادة والبر والأعمال الخيرية وتحدى مشاعرهم باعترافه باسرائيل واقامة تعاون عسكرى واقتصادى وثيق معها .

ولرجال الشيعة (بعكس السنة) تقاليد راسخة وطويلة فى الاحتجاج على المؤسسة الحاكمة فقد بدأ المذهب نفسه كحركة احتجاج ضد أول اسرة حاكمة فى الاسلام وهم الأمويون وقد استمر هذا التقليد الى يومنا هـــذا وتضاعف من قوة الشيعة فى الاحتجاج والاســـتعداد الهائل للتضحية والاستشهاد فى سبيل ما يعتبرونه حقا . ساعد أئمة الشيعة على قيادة الثورة فى ايران وجـــود فراغ عقائدى من ناحية وقدرتهم على تحريك الجماهـــير من ناحيـــة اخرى فى مواجهة قيادات الديمقراطيـــة والماركسية الايرانية والتفاعل والاندماج مع عامة الشعب من خلال المساجد والمعازى ومن العوامل التى ساعدت سخط الطبقات الوسطى التى استفادت فى الخمسينات من النمو الاقتصادى وبدأت تسخط فى السبعينات . حيث تزايد ثراء الطبقة العليا بمعدلات فلكية واحس الشعب الايرانى رغم الطفرة بالفجوة بين الطبقات فزعم ان الدخل القومى الايرانى يصل الى أربعة أو خمسة أمثال فى بلد مثل مصر ، فان متوسط ما يحصل عليه الفرد فى ايران اقل من مثيله فى مصر وتركيا وسوريا .

ولقد ادى ذلك الى أن يفتح فى الغرب ملف الدين الاسلامى ، لقد اعتقد معظمهم لمدة طويلة أن دور الدين يتقلص تدريجيا من المجتمعات المعاصرة وان أى دور يحاوله هو أساسا فى اتجاه مضاد للتعبير الراديكالى فى أمور السياسة والاجتماع .

(مجلة اكتوبر ــ « دكتور سعد الدين ابراهيم »

***

متفـــرقـــات

* المخطوطات .
* الكعبة سرة الأرض .
* المصـــدر الاسلامى .
* خصـــائص الأمـــم .
* النكسة فى عهدها الحضارى .
* لطفى السيد ومصطفى كامل .
* محمد عبده وهربرت سبنسر .
* الباكســـــتان .
* فتنة ١٨٦٠ فى لبنان .
* مأســـاة الأندلس .

(١٤٥)

(المخطـوطات)

سجل الدكتور عبد السلام تدمرى فى بحث له فى مجلة (المسيرة) ان ثلاثة ملايين مخطوطة من التراث الاسلامى احرقها الصليبيون فى مكتبة طرابلس الشام ، التى اسسها قضاة بنى عمار فى القرن الخامس الهجرى.

وكانت مقصد العلماء والأدباء حيث كانت صناعة الورق مزدهرة فى طرابلس يصنعون منها الورق الجميل وقد اشار ابن الفرات فى تاريخه كيف ضاعت على يد الصليبيين حين دخلوا طرابلس عام ٥٠٢ هـ /١١٠٩ م وقد سجل هذا هنرى لامانس نقلا من مخطوطة ابن الفرات ان كان لطرابلس دار علم لا نظير لها فى العالم تحتوى على ثلاثة آلاف الف كتاب (أى ثلاثة ملايين) فى العقائد وتفسير القرآن الشريف والحديث وكان عدد المصاحف فيهـا يبلغ خمسين الفا والتفاسير عشرين الفـا وكان قضاة بنى عمار يهتمون بنجاح دار العلوم هذه ويصرفون الرواتب السنوية على مائة وثمانين من النسـاخ وكان بينهم ثلاثون ناسخا لا يبرحون الدار نهارا او ليلا . فلما وقعت المدينة عام ثلاث وخمسمائة فى أيدى الفرنجيقودهم ريمون ضجيل دخل احد كهنتهم دار العلم فتعجب من وفرة كتبها وكان أول خزانة رآها خزانة المصاحف فأخـذ الواحد منها فعرف انه القرآن وهكذا استقرى بقيةالكتب واذا هى كلها مصاحف فأعطى الأمر لرفقته فأضرموا فيها النار وحولوا المكتبة رمادا ولم يبق منها الا عدد قليل من التآليف تشتت شملها فى البلدان .

* * *

(١٤٦)

الكعبة سرة الأرض

يقول الدكتور محمد عوض محمد : لكى ندرك مغزى هذا الرأى علينا ان نذكر أن خطوط الطول والعرض هى الوسيلة التى توصل بها الجغرافيون منـذ العصـور القديمة لتحديد الأمكنة والاقاليم ومقارنتها بعضـها الى بعض .

ومنها راى يقول : ان يكون للعالم الاسلامى خط طول رئيسى خاص به وهو الخط الذى يخترق الكعبة من الشمال الى الجنوب .

ولا شك أن لهذا الرأى نصيبا من الوجاهـة من الناحية الجغرافية والتاريخية ولو صرفنا النظـر عن الاعتبارات الوطنية والسياسية فان هذا الخط يتوسط الشرق الأوسط كما يتوسط القارات ويخترق البلاد التى كانت مهد الديانات العظيمة ، كما كانت مهد الحضارة والمدنية .

ويتوسط الاقطار التى نشأت فيها اللغات السامية والآرية وهى أوسع لغات العالم انتشارا ويمر بالبلاد التى اخترعت فيه الكتابة ونشرت فى العالم نور العـلم والعرفان بل يمر بالبلاد التى كانت مهد النوع البشرى

ويقول : ان فكرة توسط الكعبة والبلد الحـرام للارض هى فكرة قديمة عالجها كثير من المؤرخين المعلمين فى الأزمان الغابرة وصرحوا بها ودللوا بما عليها كان فى امكاناتهم من الدلائل وقد جاء فى تفسير العلامة ابن كثير: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« دحيت الأرض من مكة » :

النيسابورى ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان عند تفسيره آية (ان أول بيت) وقيل ان مكة وسط الأرض والعيون والمياه تنبع من محلها فكان الأرض تمد من ماء مكة . وقد رسم بعض جغرافييهم خريطة الدنيا على هذا الأساس .

(الهلال اغسطس ١٩٥٣)

وقد طور هذا البحث وتوسع فيه الدكتور حسين كمال الدين وكشف مجموعة جديدة من الحقائق .

(١٤٧)

المصـــدر الاســـلامى

يقول الكاتب الفرنسى اليان فاينر :

اذا كانت الوطنية فى البلاد العربية والاســلامية قابلة للمفاهمة مع الأجنبى ، صابرة تحت الحجر ، متخذة لبعض الوسائل العصرية فهى لا تفل ذلك نزولا عن شخصيتها وانما تفل ذلك لتنهض وتتقوى وتجتاز هذه الفترة الصعبة وحينئذ تستعمل سلاحا ضد مستعبديها وتظهـــــر مميزاتها الجنسية وتؤسس مــرة ثانية تلك الامبراطورية العربية بمجدها السالف . فالمسلمون سواء كانوا فى الشرق الأدنى أو فى شمال افريقية أو فى الجزيرة أو فى فارس أو فى الأفغان أو فى الهنـــــد أو فى أواسط افريقية يولون وجههم شطر قبلة واحدة هى مكة وما مكة الا رمز الاسلاه واللغة العربية فهم مرتبطون بتلك العروة التى لا تنفصم مهما فرقتهم السياسة بحدودها المصطنعة وما دام فى قفار الصحارى حاد للعيش ينطق بالضــــاد ويؤذن فى مئذنته يسبح باسم الله وهذه الرابطةالاسلامية الخافية عن الأعين موجودة فليفعل الفرد ما شاء وليحاول تكسير هذه الكتلة المتينة المستندة الى اعتقاد عميق فمهما فعل فان الأجزاء تعود لوحدتها عن طريق سيبقى الغرب جاهلا لها .

* * *

(١٤٨)

خصائص الأمم

من أخطر المحاذير التى تحول دون دخول المسلمين والعرب الى مرحلة النهضة والرشد الفكرى ما صوره احد الباحثين بأنه متابعة على دراسات مقتبسة واعتماد على مناهج وافدة قدمها بعض الأجانب ســواء أكانت بحسن نية مع عجز اصحابها عن معرفة الفوارق بين أمتهم والأمة التى يدرسونها أو بسوء نية على أمل ايقاعها فى اشراك الخطأ والاضطراب .

يقول الباحث ان زعماء العرب الذين تصدوا لقيادة أمتهم فى العصر الحديث لم يدرسوا بأنفسهم حال الأمة وانما نقلوا دراسة الدارســـــين من الأجانب واعتبروا دراساتهم صحيحةقطعية وبنوا عليها خططهم ومعالجاتهم والدارسون من الاجانب فى جملتهم يقعون فريسة لواحد من الحالتين : الجهل أو الغرض والتعصب .

ولا شك أن لكل امة خصائص تختلف عن خصائص غيرها وميزات ينفرد بها عن سواها وتركيبا وبنية هما علامة وجودها ، هذه الخصائص ليست ظاهرة للعيان وانما تختفى وراء الظواهر العامة التى يتصف بها جميع البشر ، وكثيرا ما يقع الباحثون الأجانب فى الخطأ نتيجة لاعتبارهم الصفات البشرية صفات عامة ولقياسهم بنية سائر الأمم وتكوين أحكام عنها اعتقــــادا بأن البشر يتشابهون فى اكثر الخصائص ويمكن تعميم اكثر الصفات عليهم غير ان هناك أمورا دقيقة جدا لا يصح التســـاهل منها أو اهمالها أو عدم التعمق فى فحصها ووصفها .

والذين درسوا الأمة العربية قد اقتنعوا مسبقا وقبل الدراسة بأمور معينة وصفات مخصوصةتسربت اليهم عن طريق المناخ السياسى والفكرى الذى يعيشون فى ظلاله . وهم عندما يبحثون لا يبحثون لتصوير واقع وانما ينحصر سعيهم فى تثبيت ما علق فى أذهانهم من معرفة سبقت الدراسة ومنها تأثرهم بقناعات سياسية تقودهم الى اعطاء أحكام تتفق مع تلك الميول السياسية التى يحملونها .

* * *

(١٤٩)

النكسة فى بعدها الحضارى

يقول غازى التوبة : ان الأحداث التى سبقت حرب ١٩٦٧ حجج دامغة بأن دول المواجهة كانت تنظر للحرب على انها مناورة لا تستحق الاعداد ، الاعتماد على القوى الخارجية التى قادت الى الهزيمة ، أمريكا أوقعت العرب فى هذه الورطة ، بعدان جاء ذاء القومية العربيةوتجسدت فيه آمال العرب ، دور الروس فى صنع الهزيمة عندما صوروا أن اسرائيل قامت بتحشدات واسعة النطاق وانها سوف تبتلع سوريا ثم فقدت القوات المصرية ٦٥ فى المائة من طائراتها .

جربت أمتنا الديمقراطية منذ ١٩١٩ ثم بدأ يتساقط التطبيق الديمقراطى من دولة الى دولة وانهار فى مصر ١٩٥٢ ثم جربت أمتنا العقيدة الماركسية ففشلت . كما فشلت العقيدة القومية الى رفع شعارها الشريف حسين وأولاده .

الغزو الأوربى الحضارى رفع شعار التغريب واثاراتها للنعرات القومية كالسورية والفرعونية ومعاداتها للعقيدة الاسلامية واستغلالها للمرأة ، رغم كل ذلك فقد حافظت أمتنا على دينها الاسلامى .

حضارتنا لم تعرف المسرح الدرامى واستبعدت الأصنام وكل ما يتصل بالنحت والتمثيل والتصوير . وتجنبت الايغال فى الشعر ، لأن الشخصية الاسلامية ايجابية لا تحلق فى الخيال ولم تندمج وتذوب فى أثواب الأمم الأخرى .

شخصية متميزة ، عربية ، قرآن ، توحيد ، اقتصاد متميز ومنفرد عن الشيوعية والاشتراكية من جهة وعن الراسمالية من جهة أخرى .

ان امكانية التوفيق بين الدين والسياسة اعتبرها توينبى احدى معجزات الاسلام . التجريب الاسلامى الأصل ، شهد بذلك روجر بيكون وفرنسيس بيكون .

هناك بعد النكسة تصور يمينى وتصور يسارى وكلاهما خاطىء ، لا بد من مجتمع عقائدى جديد . ان هدف الغرب هو المحافظة على اسرائيل ، وربط المنطقة سياسيا بأمريكا ، واستغلال المنطقة اقتصاديا وربط المنطقة بالغرب حضاريا ولا بد أن يكون واضحا فى تقديرنا صلة اليهود بالشيوعية ودور اليهود فى السيطرة على العالم وافساده .

اقرأ : أعمدة النكسة لصلاح الدين المنجد .

المسلمون والحرب الرابعة لزهدى الفاتح

الشعوبية الجديدة : محمد مصطفى رمضان

* * *

(١٥٠)

لطفى السيد ومصطفى كامل

كان الخلاف بين لطفى السيد ومصطفى كامل عن الطريقة التى تبعث بها مصر من جديد بعد أن فشلت الثورة العرابية خلاف بين مدرستين . يرى مصطفى كامل بعاطفته المشبوهة : الجهاد الوطنى المتصل بمفهوم الاسلام ويرى لطفى السيد : الاصلاح الواقعى والعمل المرحلى المتدرج المرتبط بالفكر الغربى .

ولقد كان لطفى السيد موقفه العنيف من الاسلام والعروبة واشراكه فى الوزارات التى عطلت الدستور . وكانت مدرسة لطفى السيد هى وريثة الحركة الوطنية وهى البوتقة التى صهر فيها كرومر رجاله الذين حكموا وقادوا الحركة الوطنية بعد الحرب . ومن بعد كان الوفد وسعد زغلول وعدلى وثروت وهذا الطاقم كله من اتباع الجريدة ولطفى السيد : مدرسة الالتقاء بالانجليز فى منتصف الطريق وتقبل كل ما يسمحون به ، والايمان العقائدى بالمنهج الليبرالى الديمقراطى الغربى واعتباره أساس العلاقة والنموذج المقبول للحياة السياسية فى مصر .

والمعروف أن النفوذ الاستعماري في العالم الاسلامي كله والبلاد العربية قد أزاح قادة المنطقة الذين وقفوا في وجهه وقدم رجاله بعد أن شكل لهم « كادرا » .

ففي مصر أزاح الحزب الوطني (مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش) وقدم لطفي السيد وسعد زغلول وفي الشام أزاحوا شكيب أرسلان ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب ودعاة العروبة المرتبطة بالاسلام ووضعوا قادة البعث ورجال الحزب القومي السوري ورجال الجامعة الأمريكية (نبيه فارس وميشيل عفلق وقسطنطين زريق) وفي تونس أزاحوا عبد العزيز الثعالبي وفي الجزائر لم يمكنوا لعبد الحميد بن باديس أو رجاله أمثال الفضيل الورتلاني وغيره وفي المغرب حاولوا بين علال الفاسي ودعاة السلفية وبين أن يكون لهم نفوذ حقيقي .

* * *

(١٥١)

محمد عبده وهربرت سبنسر

في ١٠ اغسطس ١٩٠٣ كان لقاء محمد عبده بالفيلسوف الفرنسي هربرت سبنسر في مدينة بريتون وقد ذهب الى هناك مع ولفرد بلنت وكان المفتي قد ذهب الى انجلترا من اجل تعريب كتاب سبنسر عن التربية .

أظهر سبنسر حسرته على اختفاء الحق من عالم السياسة الأوربية الحديثة كما استنكر حرب الترنسيفال وعدها خروجا على مبادىء الانسانية وقال ان حكم القوة ات لا ريب فيه وأن حربا عامة ستقوم في سبيل السيادة العالمية تستعمل فيها كل انواع الوحشية .

سأل سبنسر المفتي : هل الشرق يسير في تفكيره على النمط الذي يسير عليه الفكر في أوربا . أجاب الاستاذ الامام على ذلك بقوله :

أن ما يتعلمه الشرق من الغرب هو الخبيث دون الطيب على انه لا يزال انضج الفكر عند الاثنين سواء .

قال سبنسر اذا رجعنا الى جوهر الأمور فاني اظن ان الفكرة السائدة عن القوة الحقيقية المحركة للعالم والتي يقولون عليها (الله) ونقول عنها

أي الرب ليس فيها خلاف بيننا .

أجاب الأستاذ عن ذلك اجابة أبان فيها الفرق بين الفكرتين مما لفت نظر سبنسر ولكن قال : أن التمييز في ذاك صعب الفهم والادراك ثم قال الأستاذ : يظهر لي أنكم تعتقدون بقصور الله وهي النظرية الموجودة بين كثيرين في أوربا .

اننا نعتقد أن الله كائن وانه ليس بشخصية وقال الامام ان الله يعلم كل شيء في كل وقت وليس له يوم وليس له غد وهو واحد أحد صمد وعلم دائم ولا تبديل لكلماته مدرك لكل شيء ، خالد لا يتبابه الحدوث .

(١٥٢)

الباكســـتان

قال السجاني الرباني (ازاد سجاني) مجلة الثقافة (١٧ يونيـة ١٩٤٧) انه احـــد الخمسة المؤسسين للباكستان واحد الثلاثة الأوائل منهم رحمت علي ، اقبال ، عبد اللطيف ، محمد علي جناح ، انما الثلاثة الأول هم : رحمت علي ، اقبال ، انا .

وقد سميت الباكستان منذ الأول الاسلامستان التي معناها : الدولة المسلمة (الاسلامية) لا الدولة المسلمة فقط .

وقد أوجبت أن يكون للباكستام ملحقا بالجامعـة الاسلامية اذا تحققت وأن يلحق بالخلافة الاسلامية ان

وجدت وأن تكــون دولة ربانية لا دولة نفسانية وان على الباكستان أن يشرع من نفسه فى تأسيـس الجامعــة الاسلامية وأن يشرع فى انشاء الخلافة الاسلامية بعد أن يؤسس الجامعة الاسلامية .

* * *

(١٥٣)

فتنة ١٨٦٠ فى لبنان

مخطوطة : نوادر الزمان فى ملاحم جبل لبنان الفها اسكندر ايكاريوس على اثر فتنة عام ١٨٦٠ التى اندلعت فى لبنان وامتد لهيبها الى دمشق . الفصل الثامن الذى سماه فى ملحمة دمشق الشام واما اجراه الأمـير عبد القادر الجزائرى فى حق النصــارى من مزيد العنــاية والاهتمام الذى تعرض فيه لشرح تلك الفتنة السوداء التى اشترك فيها الدروز والمسلمون ولعب فيها اليهود دور الثعالب المكار ، ليصطادوا فى الماء العكر وقد دامت تسعة أيام (من ٩ الى ١٨ تموز ١٨٦٠) بدافع من والى دمشق انذاك أحمد باشا الذى كان قصير النظر ، سىء المعاملة ولولا الأمير عبد القادر الجزائرى ومن حوله من المغاربة واعيان دمشق فى حى الميدان المعروف بشجاعة أهله وشهامتهم كسعيد النورى وصالح المهاينى لدامت الفتنة اطــول ولذهب ضحيتها أكثر من خمسة آلاف مواطن برىء .

أشار المؤلف الى الدور العظيم الذى لعبه هؤلاء الجنود الطيبون المجهولون فى حى الميدان بعكس ما كان متوقعا ، فقد كان كثيرون من المسلمين يحمون كثيرا من المسيحيين، وكانوا يقدمون لهم الأطعمة الفاخرةويصرفون عليهم المصاريف الوافرة وكان فى الميدان صـــالح اغا المهاينى ، سعيد اغا النورى وهما من أصحاب المروءة والدين فمنعا مسأمى الميدان أن يتعرضوا للعيسويين وكان صالح اغا انما يقبل فى بيته أفواجا من النصارى الهاربين ويقدم لهم الأطعمة والفواكه حينا بعد حين . . أما الامير عبدالقادر الجزائرى فقد خلع عليه المؤلف كثيرا من صفات التبجيل والتعظيم والاحترام فانه لما رأى تلك الأهوال وما وقع فى المدينة من الاختلال والبوار والنكال أخذته الشفقة والحمية ودعيه شيمته الأبية الى اغاثة الطائفة النصرانية وتخليصها من هــذه البلية فسارع مبادرا الى الأسواق وفرق ابطاله فى كل شارع وزقاق ، وخاص فى جمهور المردة وأطفأ تلك النار المتعددة وخلص عددا كثيرا وجمعا غفيرا من الرجال والصبيان والبنات والنسوان ورفع عنهم سيوف البغى والعدوان ، وابدل خوفهم بالأمان فانفق عليهم مبلغا عظيما ومقدارا من المال جسيما فتضاعفت فى الارتقاء مرتبته وارتفعت عند الملك منزلته .

هذا هو الوجه المشرق لتلك الفتنة النكراء وهؤلاء أصحاب الأيادى البيضاء ويشير المؤلف الى أن اهــل الميدان والمغاربة وبعض مسامى المدينة كانوا أكثر وعيا من أولئك المشاغبين حبا بالسلب والنهب والاستيلاء على الأموال وعلى اثر هذه الفتنة الطائفية عزل الوالى أحمد باشا وحل محله فؤاد باشا فتولى محاكمة الفوضويين والمعتدين فورا وفرض عليهم العقوبات الصارمة .

وقد أشارت المخطوطة الى بعض الأسر الكريمة المجهولة التى لم تحب أن تذكر أسماؤها ، لانها فعلت الخير من أجل الخير فآوت من لاذ بها هاربا من حــد السيف .

ويختم اسكندر ايكاريوس هذا الفصل مؤكدا أن هذه الفتنة الكلية لم ترض بها أمة الاسلام وانما هى صادرة عن الأوباش المتمردين الذين تجاوزوا بارتكاباتهم حدود الشريعـــة والدين والله الذى أمره بين الكاف والنون ، يجازى كل قوم بما يعملون » ا.هـ .

* * *

ماساة الأندلس

فى نهاية القرن العاشر الميلادى كانت الدولة العربية الاسلامية فى العصر الوسيط تشمل اسبانيا بينما قامت جماعات صغيرة فى الشمال الغربى على شـــاطىء البحر قوامها فرسان فروا من المعارك طلبا للنجاة وعاشوا فيها يقطعون الطريق ويهاجمون الحدود ثم يلوذون بقمم الجبال ونمت هذه الجماعات وتطورت واخذت شـــكل دويلات صغيرة دخلت التاريخ تحت اسم :

* * *

« ممالك الشمال المسيحية »

ومع الزمن قويت واخـــذت تستغل ضعف الدولة العربية فالتهمت مدنها واحدة وراء اخرى حتى كان القرن الثالث عشر حصرتها فى مثلث راسه غرناطة وقاعدته مدينتا المريه والجزيرة الخضراء وذلت دولة العرب فقام من ادركها من الهرم القاتل الذى يلحق الدول من وراء الجرى وراء المغانم والانتفاع بها وبسبب حركة الكثيرين فى الانطلاق مع كل وسائل الرفاهية والاستمتاع فكانذلك بداية الأفول المجد وضياع كل ما تم من انتصارات .

تم تسليم المدينة يوم الاثنين (٢ يناير ١٤٩٢) وصرح القائد المهزوم حاكم غرناطة فى طريقه الى ضياعه الجديدة التى قبضها ومعه ثروته التى حصل عليها .

« ابك كالنساء ملكا مضاعا لم تحـــافظ عليه كالرجال » .

« زفرة العربى »

تضمنت معاهدة التسليم شروطا هامة لحماية عامة الناس ثم بدأت اللحظة الرهيبة حين اخذ عراف الملكة على عاتقه ١٤٩٩ أن يقوم بحملة مكثفة لاكراه المسلمين على الكثلكة تحول المسجد الجامع الى كنيسة وعمد فى يوم واحد ثلاثة آلاف مسلم واصدر قراره بجمـــع كل ماعند المسلمين من كتب وطلب منهم تقديمها والا تعرضوا لأقسى العقوبات وجمع منها ما يتجاوز المليون مخطوطة احتفظ من بينها بالكتب الطبية وارسلها الى جامعة القلعة ثم اسلم بقيتها الى النيران فى حفل عام اقيم فى ميدان باب الرملة على مقربة من الحمراء .

وبدأ ينتزع الاطفال من آبائهم ليربيهم على العقيدة الكاثوليكية واستولى على أوقاف المساجد بعد أن حولها الى كنائس لينفق منها على هذه الأعمال واخـــذ بقية الاساقفة بوحى منه أو بدافع المنافسة يسابقون فى هذه الاعمال .

وادت هذه الاعمال المخالفة لمعاهدة التسليم الى ثورة سكان غرناطة فأطفأها الاسبان بقسوة . وانتهز الكردينال الفرصة ليقول ان السكان بثورتهم فقدوا كل الحقوق التى نصت عليها المعاهدة ومن ثم فليس أمامهم الا أمران : اما أن يصبحوا كاثوليكيا او أن يرحلوا وآثرت الاغلبية ن تبقى .

لم تنفذ بنود المعاهدة التى تضمنت الا يجبر أحد على تغيير دينه ، او تؤخذ بذنب غيره والا يرغم من أسلم من الكاثوليك على العودة الى دينه .

عمل اسقف غرناطة فى حمل المسيحيين على أن يصبحوا كاثوليكا واستجاب له فى البـــدء بعض الاسر الغنية والعريقة على حين قاومت جماهير العامة هذا الاتجاه بعنف وفى مواجهة قوة غاشمة .

* * *

اصدر الكاردينال اوامره بتعميد كل المسلمين والذين رفضوا الأمر فروا بجبال البشرات القريبة من غرناطة وهى منطقة جبلية صعبة الغاية .

اطلق على المســـلمين المتنصرين اسم المسيحيون الجدد ودخلوا التاريخ تحت اسم الموريكسوس ورغم قبولهم الدين الجديد ظاهرا كانوا موضع احتقار ظاهر ويعاملون كما لو كانوا رقيقا .

وسارت حملة الكثلكة فى بقية بلاد الاندلس على نحو ما سارت عليه فى بلاد غرناطة وسنة ١٥٢٦ لمحاكمة التفتيش أن كثلكة هؤلاء المسلمين عمل ظاهرى بحث ، القصة منه الافلات من الملاحقة .

وتبين انهم ازدادوا تمسكا باتخاذ وسيلة للحديث وانهم يجهلون اللغة الاسبانية .

وازاء ذلك تقرر اخضاع الموريسكوس لمحاكمة التفتيش وام يكونوا يخضعون لها من قبل . وبدات الأوامر بهدم الحمامات العربية أو التحدث باللغة العربية أو ارتداء الملابس العربية .

وتتبين اخيرا لمحاكم التفتيش بعد محاكمة أربعين الفا بأن كل الذين اعتنقوا الكاثوليكية مكرهين احتفظوا سرا باسلامهم تقية فصدر القرار بطردهم من وطنهم ١٦١٣ وكانوا قرابة المليونين وتخلف منهم عدة آلاف .

دكتور طاهر احمد مكى

* * *

قصاصـــات تاريخيـــة

« قـــد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » .

* * *

التاريخ الاسلامى لا يبدأ من محمد (صلى الله عليه وسلم) ولكن من آدم وتاريخ البشرية الحقيقى هـــو تاريخ الانسان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

* * *

يعتقد الانجلو السكسون انهم ورثة الرومان فى تأسيس المجد العالمى لذلك الف (جيبون) كتابه سقوط الامبراطورية الرومانية لكى تبقى بريطانيا مواطن الضعف الذى أصاب روما ولكن انجلترا اليوم تصل الى انحلال أشد فتكا من انحلال أوربا .

* * *

يتحدث المؤرخون عن قضية (دونمة) فى البلاد العربية نتيجة تخطيط طويل لليهود فى بلاد المسلمين .

* * *

النصارى العرب هم أول من نادى بالانفصال عن الخلافة العثمانية ودعوا الى القومية والوطنية والليبرالية والماركسية احدى الجمل التى كانت تزين ابواب المدارس والكليات فى الاندلس (اسبانيا الاسلامية) .

ان العالم يركز على أربعة أعمدة فقط :

(عام الحكماء ــ عدالة العظماء ــ صلاة الاتقياء ــ شجاعة الشجعان) .

وهى تعنى القيم الأربعة :
الحكمة ــ البطولة ــ الايمان ــ الجهاد .

وقف الاسلام على حدود بورما وعلى شـــواطىء خليج البنغال والمحيط الهندى وجبال الهملايا وأراضى التبت .

* * *

طبقات التعريب ثلاثة روافد متكاملة ملتقين :

(١) التبشير الغربى المسيحى .

(٢) الشيوعية الماركسية .

(٣) الصهيونية التلمودية .

* * *

كشفت كتب جون بارون ومايكل كوبلاند ــ الماسون بعد الأمم عن بعض الذين يشغلون مناصب كبرى قبل ١٣ مايو ١٩٧١ لحساب جاسوسية الدول الكبرى .

ثبت أن الفراعين والفينيقيين والكنعانيين رحلوا من قـــرية (بون) فى اليمن كما هو مسجل فى السجـــل الحجرى الجامد الناطق .

* * *

يقول انتونى ناتنج فى كتابه العرب (لندن ١٩٦٤) منذ أن جمع محمد أنصاره الأولين فى مطلع القرن السابع وبدأ أول خطوات الانتشار العربى ، أصبح على العالم الغربى أن يحسب حساب الاســـلام كقوة دائمـــة وصلبة تواجهه عبر البحر الأبيض .

ان قوى الغرب المسيحية كانت تواجه العـــالم الغربى على مدى ١٣٠٠ سنة فى نهضته وانهياره .

* * *

دفنت الحرب العالمية الثانية بضع وعشرين مليونا من خيرة شباب الغرب .

كانت فلسفة الماسونية وراء النظريات الآتية :

النظرية المادية ، هدم الأسرة والدين (دور كايم)

هدم الأخلاق (فرويد) التفسير المادى للتاريخ (ماركس) البهائية ، الدونمة وهدم الاسلام من الداخل ، الهبيئة ، الروحية الحديثة ، نظرية (تحديد النسل) الوالدين ، الربا ، تحرير المرأة ، المسرح والسينما والأغنية المكشوفة ، الانتربولوجيا ، الحوار .

* * *

توضع تحت تصرف البابا سنويا الف مليون دولار للانفاق منها على التبشير .

* * *

المتعصبون الغربيون : من بطرس الراهب وانوست وريكارد ولويس التاسع والقس الذى حرق مكتبة المسلمين شوارع قرطبة وغورو الذى وقف على قبر صلاح الدين (وقال ! نحن قد عدنا يا صلاح الدين) واللورد اللنبى .

* * *

فشلت التجربة مع أبناء اسرائيل فنقل الله تبارك وتعالى الملك والنبوة الى أبناء اسماعيل وكشف بنصوص صريحة فى القرآن الكريم أن بنى اسرائيل عجزوا عن حمل الأمانة وافسدوا فى الأرض .

وقد أعطى الله العرب الرسالة ووصفهم بأنهم أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكلفهم بأمرين :

الأول : القيام على أمر الله بالرحمة والعدل والخلق

الثانى : تأييد الحق ومعاداة أعدائه ومخاصمتهم ومجابهتهم .

ولا عبرة بأن أمما استعلت على المسلمين بعد أن تركز الاسلام وقوى ومضى عليه ألف عام فان ذلك لن يضيره شيئا ولن ينال منه الا بقدر ما يعطيه القدرة على التحدى مرة أخرى .

أخطأ الذين قالوا ان دعوة محمد صلى الله عليه وسلم كانت استجابة لظروف تاريخية معينة كان يحياها العالم فى القرن السابع الميلادى .

قال أرنولدتوينبى : لقد حرر الاسلام رجل البحر الأبيض المتوسط من سلطان اغريقى رومانى مسيحى من سوريا الى أسبانيا عبر شمال أفريقيا وكانت البلدان تحت الحكم الاغريقى الرومانى نحو الفا من السنين منذ فتح الاسكندر الأكبر للامبراطورية الف سنة واسقاط الرومانيين لقرطاجنة وذلك بين القرن الحادى عشر والسادس عشر .

لقد حمل الاسلام شعلة التوحيد بين المسيحيين والهندوس ان عقيدة التوحيد التى جاء بها الاسلام هى أروع الأمثلة على فكرة توحيد العالم وان بقاء الاسلام أمل العالم كله .

* * *

قال سعيد النورسى :

ان أوربا اليوم حاملة بالاسلام وستلده يوما وأن الدولة العثمانية حاملة بالنهج الأوربى وستلده يوما ما .

* * *

قال كرومر فى كتابه (مصر الحديثة) :

لو ترك عرابى وشأنه لما كان هناك شك فى نجاحه فعدم نجاحه راجع الى التدخل البريطانى .

* * *

اعترف الفاتيكان بخطأه مع جاليلو قبل ٣٥٢ عاما مقال فى بيان أصدره (ونشرته الصحف فى ١٩٧٥/١١/٣٠) ان ادانة الكنيسة الكاثوليكية للعالم جاليلو كانت خاطئة من الناحية الموضوعية . وكان قد تراجع عام ١٦٣٣ عن آرائه العلمية الى عالم آخر هو كوبنكوس وذكر ان الأرض تدور حول الشمس مخالفا بذلك الاعتقاد الشائع بأن الأرض هى مركز الكون وان الشمس هى التى تدور حول الأرض .

وتفتح هذه الفكرة مرة أخرى حقيقة المقاومة الخطيرة التى قامت بها الكنيسة ازاء العلم التجريبى الذى جاء به المسلمون ورأى فيه الكهنة أنه ينكشف خطأ ماجاء فى سفر التكوين وهو ما كشف عنه الطبيب موريس بوكاى .

دار العلوم للطباعة
القاهرة ٨ شارع حسين حجازى • قصر العينى •
ت: ٣٥٥١٧٤٨٠

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٧/٧٦٧١

الترقيم الدولى ٧ — ١٨٦ — ١٤٢ — ٩٧٧